

المملكة العربيـة السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعــــة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

اتجاهات الكتابة في السيرة النبوية
خلال القرن السابـــع الهجري
عـــرض و نقـــد

رســالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة

إعـــداد الطالب
صـالح بن أحمــد بن جاسر الضويحي

إشراف كل من:
د. جميل بن عبدالله المصري و د. علي بن نفيع العلياني

الجزء الأول

للعام ١٤١٦ - ١٤١٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

تعنى هذه الرسالة بدراسة الاتجاهات في كتابة السيرة النبوية في القرن السابع الهجري وقد مهدت لهذا الموضوع بالحديث عن حال العالم الإسلامي خلال هذا القرن وما واجهه من تحديات، كان لها الأثر على الحياة الفكرية التي تم العرض عنها بموضوع مستقل.

وقد عنى الفصل الأول بأثر العقيدة على كتابة السيرة وأوضحت فيه أثر عقيدة الشيعة ودورها في صياغة أحداث السيرة وفق معتقدها فتخرج من عندهم بلباس خاص، ييسر لهم استخدام أحداث السيرة في تحقيق أهدافهم والتي منها أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم. والطعن في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

كما بينت أثر عقيدة الصوفية الغلاة والمتمثلة بالتركيز على شخص الرسول صلى الله عليه وسلم وافتراء أحداث توافق مسلكهم، وأما عقيدة الفلاسفة وأهل الكلام فقد وضح منهجهم من خلال الطريقة التي كتب بها ابن النفيس السيرة النبوية.

وقد قام أهل السنة بمنهجهم الواضح يدافعون عن السيرة النبوية وعرضت لما وقع فيه بعضهم من خطأ كان للبيئة أثر فيه.

وفي الفصل الثاني حصرت المصادر التي يعتمد عليها أصحاب كل اتجاه، ورأيت أنهم يتفقون في المصادر العامة وهي القرآن الكريم والسنة النبوية وكتب المغازي والسير، ولكنهم يختلفون في الأخذ منها وفق تصوراتهم، ويزيد الصوفية بالرواية عن مشايخهم والشيعة ينقلون مرويات وأقوال أئمتهم، ثم أوضحت طريقة استخدام المصادر.

وفي الفصل الثالث بينت الطرق التي كتبت من خلالها السيرة النبوية فجاء ذلك من خلال تفسير القرآن الكريم وشرح أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وماجاء على هيئة نظم أو اختصار، كماجاء في عرض لبعض جوانب السيرة النبوية، ومن خلال الإطار العام للتاريخ الإسلامي وضمن توظيف أصحاب العقائد أحداث السيرة في مصنفاتهم.

وأما الفصل الرابع فعرضت نماذج للبدع والخرافات التي جاءت في الكتب المتعلقة بأحداث السيرة النبوية، وذلك من خلال عرضهم لأحداث السيرة النبوية وافتراء أقوال للنبي صلى الله عليه وسلم تحقق هدفهم.

وأما الفصل الخامس فكان عن أثر اتجاهات كتابة السيرة في القرن السابع الهجري على اتجاهات كتابة السيرة في القرن الثامن الهجري، واقتصرت الحديث فيه عن أثر الاتجاه السني من خلال ما كتبه الذهبي وابن سيد الناس كما أوضحت واقع الاتجاه الصوفي والشيعي في القرن الثامن وأثر أهل القرن السابع عليهم. وخلصت إلى نتائج من أهمها ملاحظة توجه أصحاب العقائد المنحرفة إلى أحداث السيرة وتوظيفها في خدمتهم، والحاجة المستمرة من أهل السنة للدفاع عنها، وأن الأمة الإسلامية مهما تكالب عليها الأعداء من كل جهة فلديها القدرة والسلاح لصد عدوها، بالإضافة إلى وجود تراث ضخم في السيرة النبوية يحتاج إلى الدراسة والتمحيص.

والله الموفق

الطالب/ صالح بن أحمد الصوفي

المشرفان

د. جميل عبد الله المصري

د. علي العليان

عميد الكلية

ثم اتبع هذا بالتحليل ، والدراسة والتمحيص للمرويات ، فجاءت كتابتها بطرق مختلفة وأنواع شتى .

ولمكانتها عند المسلمين ، وأثرها الفاعل في حياتهم كثرت المصنفات فيها في القرن السابع الهجري على وجه الخصوص . وفي القرون الأخرى بوجه عام .

ولقد كان لواقع المسلمين في ذلك الوقت أثر في التوجه إلى السيرة ، حيث أن تعدد أنواع التحديات التي واجهت الأمة في هذا القرن ، دفعت قادة الفكر في الأمة للتوجه إلى التخفيف من معاناتها ، وعرض طريق الخلاص أمامها ، بعرض سيرة المصطفى ﷺ بصور شتى .

وهذه العناية بالسيرة في هذا القرن عمقت من تأصيل الفرق في نظرتها لسيرة المصطفى ﷺ ، فجاءت كتاباتهم للسيرة تعبر عن معتقداتهم وتصوراتهم الخاصة لأحداث السيرة مما جعل مصنفاتهم تأخذ مناهج مختلفة ، فمنها ما اتخذ طريقة الرد على أصحاب الاتجاهات التي اتخذت السيرة وسيلة لتحقيق أهدافها ، ومنها ما اتخذ طريق الكتابة الخاصة بمواضيع السيرة منهجاً له فسار عليه ومنها ما استجاب لتلك التأثيرات الفكرية فجاءت كتابته متنوعة الاتجاهات .

ولهذا الواقع الذي ظهرت به كتابة السيرة في هذا القرن أثر دفعني لاختيار هذا الموضوع والكتابة فيه ، ومن أجل الآتي :

- أن سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) باب واسع تلج فيه الفرق المختلفة لتستخدمه في عرض مادتها للناس ، فلابد من تجلية النص من شبهاتها التي تثيرها حول بعض أحداث السيرة .
- دراسة تأثير تلك الفرق على مصنفي أهل السنة في صياغتهم لأحداث السيرة .
- معرفة الآثار التي خلفها واقع المسلمين في هذا القرن على كتابة السيرة .

وأما الدراسات السابقة لهذا الموضوع ، فالذي ظهر لي أنه لم يسبق أن تمت الكتابة من قبل في هذا الموضوع لا من حيث فكرته ، ولا من حيث زمن دراسته ، بل الموجود تناول عام لبعض تصورات الفرق المختلفة من الشيعة ، والصوفية عن بعض أحداث السيرة النبوية ، وذلك بغرض الحديث عن الفرق ذاتها ، أو الحديث عن كتب تناولت مواقف تلك الفرق عن أحداث تعنى بالسيرة .

من ذلك ما كتبه إحسان إلهي ظهير عن الشيعة والصوفية ، أو ما جمعه وعلق عليه الشيخ / محمد مال الله من كتب شيخ الإسلام في سلسلة سماها شبهات حول الصحابة والرد عليها .

وما كتبه محمد عبدالرحمن بن قاسم عن آل الرسول وأوليائه ، وذلك من كتاب منهاج السنة لابن تيمية .

كما أن تحقيق مرويات أحداث السيرة والذي تبنته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة يتناول تحقيق الروايات التي جاءت بأحداث السيرة .

مصادر البحث :

يعنى الموضوع بالاتجاهات التي ظهرت بها مصنفات السيرة في القرن السابع ، ولهذا ستكون مصادره كتب أصحاب تلك الاتجاهات .

فكانت المصادر موضوع الدراسة لأهل السنة قد تناولت أحداث السيرة تناولاً مباشراً سواء ما اقتصر منها على موضوعات السيرة على وجه خاص وهو الأكثر ، أو جاءت السيرة معه ضمن موضوعات ، أو ما اتخذ أحداث السيرة للرد بها على شبه المضلين .

وهذه المصادر منها ما هو مخطوط ، ومنها ما هو مطبوع فمن المخطوط كتاب نهاية السول في خصائص الرسول لابن دحية الكلبي ت ٦٣٣هـ . والذي عرض فيه خصائص الرسول ﷺ ومعجزاته ، وفضائله ، وكتاب مختصر السيرة النبوية لعبدالمؤمن بن خلف الدمياطي ت ٧٠٥هـ ، وقد عرض فيه كافة أحداث السيرة وركز على الجانب الخاص في حياة النبي ﷺ ، وعرض فيه للغزوات النبوية .

وكتاب عجالة الراغب في ذكر أشرف المناقب لمحمد بن علي بن عبدالواحد الزملكاني ت ٧٢٠هـ ، وقد خصصه لبعض خصائص النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعجزاته ، وقارن بينها وبين معجزات غيره من الأنبياء .

وأما الكتب المطبوعة فمنها كتاب الكامل لابن الأثير ت ٦٣٢هـ ، وقد ضمنه سيرة النبي ﷺ كاملة حيث انتقى رواياتها من الطبري وابن إسحاق .

ومنها الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، لسليمان بن موسى الكلاعي ت ٦٣٤هـ ، ولم يقتصر فيه على المغازي بل ذكر فيه كافة موضوعات

السيرة النبوية ، معتمداً فيه على ابن إسحاق على وجه الخصوص ، ويستعين في بعض المواضيع بمصادر أخرى من السيرة .

ومن المصادر أيضاً كتاب التاريخ الإسلامي (المظفري) لإبراهيم بن أبي الدم الحموي ت ٦٤٢هـ ، وجاءت موضوعات كتابه تحوي موضوعات السيرة المعروفة من ولادة النبي ﷺ ثم مبعثه وغزواته وختمه بأحوال النبي ﷺ الخاصة ، ولكنه اتبع طريق الاختصار في عرضه هذا بالإضافة إلى كتب المحب الطبري ، وكتب الإمام ابن تيمية وغيرها .

وأما مصادر الاتجاه الشيعي في هذا القرن فقد تناولت أحداث السيرة تناولاً مباشراً ، وفق منهج خاص يعرضون به أحداث السيرة لتحقيق هدفهم فيها ، والذي به تتغير عندهم عناوين موضوعات السيرة لتتفق ومرادهم في تلك الأحداث ، ومن أهم هذه المصادر (كشف المحجة لثمرة المهجة) لمؤلفه علي بن سعد ابن موسى بن جعفر والمتوفى سنة ٦٤٤هـ ، وقد وظف عناوين لأحداث السيرة تخدم معتقداته ، وأن لم يشمل كافة موضوعات السيرة .

ومن مصادرهم كتابه اليقين في إمرة أمير المؤمنين ، وقد حشد فيه روايات لأحداث في السيرة النبوية ليثبت من خلالها أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن المصادر (كشف الغمة في معرفة الأئمة) ، لعلي بن عيسى الأربيلي توفي سنة ٦٩٣هـ ، وقد اشتمل كتابه على مولد الرسول ﷺ وأسمائه ومعجزاته ، وعرض فيه لبعض الغزوات النبوية وجعلها تحت عنوان شجاعة علي عليه السلام ، ثم عرض لسيرته رضي الله عنه .

وأما مصادر الاتجاه الصوفي فكان منها ما يتناول أحداث السيرة تناولاً مباشراً ولكنه يقتصر على بعض موضوعات السيرة أو يختصرها .

وكتاب اختصار سيرة الرسول ﷺ لابن عربي ت ٦٣٨هـ ، والذي جاءت مادته مختصرة سواء ما بدأ الحديث به وهو سيرة النبي ﷺ الخاصة ، أو ما ختم به كتابه وهو (الغزوات النبوية) ، والتي كان الحديث عنها لا يتجاوز الذكر لها فقط .

وهناك مصادر للصوفية لم تختص بالسيرة ، ولكن أحداثها جاءت ضمن موضوعات تلك المصادر ، ومنها كتاب (عوارف المعارف) ، لعبدالقاهر

السهروردي ت ٦٣٢هـ ، ومن ذلك مخطوط (الروضة الناظرة في أخلاق المصطفى الباهرة) ، وهو ليحيى بن يوسف الصرصري ت ٦٥٦هـ ، والذي عرض لموضوعات السيرة في العهد المكي ومعجزات النبي ﷺ على هيئة نظم .وكتاب (لطائف المنن لابن عطاء السكندري ت ٧٠٩هـ .

وأما المصادر الخاصة للفلاسفة وأهل الكلام في هذه القرن فهي ما كتبه (ابن النفيس) علي بن أبي الحزم القرشي ، ت ٦٨٧هـ وسماه (الرسالة الكاملية في السيرة النبوية) ، وقد ساق فيه بعض أحداث السيرة وفق منهج قصصي استنباطي .

والكتاب الآخر مخطوط وهو بعنوان (الروضات البهية الوسيمة في الغزوات النبوية الكريمة) لأبي محمد حسن بن علي القطان كان حياً في منتصف القرن السابع وجاء كتابه سرد للغزوات النبوية مثل ما جاءت عند ابن إسحاق وغيره من كتاب السيرة ، وذكر في بعض الأحيان للخلافات بينهم .

وهناك مصادر أخرى استعنت بها في إعداد مادة هذا البحث ، وهي عدد من تفاسير القرآن الكريم كتفسير القرطبي والبغوي وابن كثير وكتب الحديث الصحاح والسنن ، والمصادر الأولى للسيرة النبوية وغير ذلك مما دعت الحاجة إليه وسيرد ذكره فيما بعد ومما لم يرد ذكره من مراجع أوحت إلي بفكرة أو دلتني على مادة في مصدر .

وقد اشتملت خطة هذا البحث على تمهيد وخمسة فصول :

وقد اقتصرت في التمهيد على عرض لأحوال العالم الإسلامي في القرن السابع بصورة موجزة وبدأت ذلك بالحديث عن التحدي الخارجي الذي واجه العالم الإسلامي في هذا القرن وأثره على مسار حياته ، كما أوضحت الواقع السياسي الداخلي وأشرت إلى فئات السكان وعناصرهم والتي كانت تقيم في البلاد الإسلامية وختمت هذا المبحث بعرض للحياة الفكرية السائدة آنذاك والتي أظهرت ازدهار الحياة العلمية في ظل تلك الظروف الصعبة .

الفصل الأول : والذي بعنوان أثر العقيدة على كتابة السيرة ، وتم في ثلاثة مباحث

فالمبحث الأول : أثر عقيدة الشيعة ومهدت بأصل هذه الفرقة ، ثم عرضت لعدد من الأسس التي دار حديثهم حولها في تناولهم لأحداث السيرة ، وهي الكذب على

الصحابة ، وتوظيف أحداث السيرة لإثبات إمامة علي رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ . والطعن في أبي بكر وخلافته ، والرد على مخالفيهم من خلال وقائع السيرة النبوية وإضافتهم على أحداث السيرة مما لم تنقله المصادر المعتبرة .

وفي المبحث الثاني : كان الحديث عن أثر عقيدة الصوفية على كتابة السيرة ، وقد بدأته بتمهيد عن جذور هذه الفرقة ، ثم عرضت فيه لمعالم تناولهم للسيرة النبوية ، والذي يتمثل بالتركيز على شخص الرسول ﷺ والاهتمام بقضايا جزئية من سيرته والغلو فيها ، وربط سلوكهم العبادي بأحداث السيرة بعد تأويلها ، وافتراء أحداث لم تقع في السيرة وذلك لنشر مناهجهم من خلالها .

وفي المبحث الثالث : عرضت فيه لأثر عقيدة الفلاسفة وأهل الكلام ، وبدأت ذلك بالتعريف بأصل هذه النحلة ، واستعرضت كتاب (الرسالة الكاملية) لابن النفيس ، والذي انفرد بعرضه للسيرة .

المبحث الرابع : وتحدثت فيه عن أثر عقيدة أهل السنة على كتابة السيرة وبينت فيه أصولهم التي بنو عليها كتاباتهم وتناولهم للسيرة النبوية في هذا القرن من خلال اعتمادهم على القرآن الكريم وتوظيفهم السيرة للرد على أعداء الإسلام ، وبيان مكانة الرسول ﷺ كما ختمته بعرض لما وقع فيه بعضهم من مشابهة لغيرهم في مجانبة الصواب .

وفي الفصل الثاني : كان الحديث عن المصادر التي اعتمدت عليها في بيان تناول الاتجاهات للسيرة النبوية في هذا القرن ، وتبين لي أن الاستفادة من المصادر تتفاوت من فئة دون الأخرى ، فاعتماد القرآن الكريم عند أهل السنة يختلف عن اعتماد الشيعة والصوفية ، حيث أن لكل فئة نظرة خاصة للقرآن الكريم تتميز عن غيرها ، وكذا الأمر بالنسبة للسنة النبوية ، فأهل السنة يعتمدون أحاديث الرسول ﷺ كما نقلتها كتب الصحاح والسنن ، لكن الشيعة يستدلون بالضعيف والموضوع ويحرفون معانيها ، وفق أهدافهم ، وكذا الأمر بالنسبة للصوفية لكنهم يزيدون بالتواصل مع النبي ﷺ بعد وفاته ، ويزيد الشيعة من مصادرهم بنسبة مرويات وأقوال لأئمتهم ، والصوفية يروون لمشايخهم .

وفي الفصل الثالث : والـذي عنـي بطـرق كتابـة السـيرة النبويـة ، حيث ظهـرت الكتابة في هذا القرن بطرق متعددة وهي النظم لأحداث السيرة النبوية ، والاختصـار كما جاءت ضمن الإطار العام لكتابة التاريخ الإسلامي وضمن الكتابـة عن زوجـات الرسول ﷺ وصحابته وقرابته ، وفي سياق التأكيد على ولاية علي رضي الله عنـه عند الشيعة ، وللرد على أصحـاب الشبه مـن المسلمين وغيرهم كمـا جـاءت وفـق المنهج القصصي وضمن الحديث عن تاريخ المدينة المنـورة ، ولـم يقتصـر الحديـث على التعريف بهذه الطرق وأصحابهـا بـل شمل تسمية المؤلفـات وانتقـاء الروايـات وتحليل النصوص .

وفي الفصل الرابع : والذي كان الحديث فيه عن البـدع والخرافـات التـي وردت في كتب السيرة في هذا القرن تم تقسيمه إلى عدة مباحث وبدأته :

بـالمبحث الأول : عـن تفسير آيـات مـن القـرآن ببدع وخرافـات تمس أحــداث السيرة النبوية .

وفي المبحث الثاني : عرضت نماذج من البدع والخرافـات التـي أضيفت علـى أحداث السيرة .

والمبحث الثالث : ذكرت الأقوال التي نسبت إلى النبي ﷺ .

وفي المبحث الأخير : عرضت لمظاهر الغلو بالنبي ﷺ وما صحب ذلك من بـدع وخرافات حول سيرته .

وفي الفصل الخامس :

تناولت أثر كتابة السيرة في القرن السابع على كتابـة السـيرة فـي القـرن الثـامن ، وفيه ثلاثة مباحث :

ففي المبحث الأول : تحدثت عن الذهبي ، وكتابه السـيرة النبويـة ، وأثـر شـيوخه من القرن السابع عليه .

وفي المبحث الثاني : عرضت لابن سيد الناس ، وكتابه في السيرة النبويـة وأثـر شيوخه من القرن السابع عليه في تلك الكتابة .

وفي المبحث الثالث : كان الحديث عن الغلـو بـالنبي ﷺ فـي القـرن الثـامن وأثـر أهل القرن السابع عليهم في هذا الجانب .

وضمنت هذا الفصل الحديث عن واقع الاتجاه الشيعي والصوفي في القرن الثامن الهجري حيال نظرتهم للسيرة النبوية وأثر شيعة وصوفية القرن السابع عليهم .

وفي الختام لا يسعني إلى أن أقدم شكري وتقديري لجامعة أم القرى ممثلة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية وقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، التي احتضنتني مدة هذه الدراسة ، وأتاحت لي فرصة البحث العلمي في هذه الرسالة ، كما أقدم شكري لشيخي الفاضلين كل من فضيلة الدكتور : جميل بن عبدالله المصري ، وفضيلة الدكتور : علي بن نفيع العلياني ، فقد غمراني بكريم فضلهما ، وشملاني بعطفهما ، ورعايتهما وتوجيههما ، وأنارا لي طريق العلم والمعرفة واكتسبت منهما سلوكيات طالب العلم ، وآدابه ، فلهما مني الدعاء الخالص بعظيم الأجر والمثوبة وحسن الخاتمة ، كما أشكر كل من أسدى إلي رأياً أو سهل لي طريقا أعانني على كتابة هذه الرسالة .

والله أسأل أن يسددنا في القول والعمل إنه سميع مجيب .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

التمهيد

تمهيد :

العالم الإسلامي خلال القرن السابع الهجري

التحديات الخارجية :

التحدي المغولي

التحدي الصليبي

للشام ومصر

للأندلس

للمغرب

الأحوال الداخلية :

في الأندلس

في المغرب

في الحجاز واليمن

في مصر والشام

في المشرق الإسلامي

عناصر السكان وفئاته :

في العراق

في مصر والشام

في المشرق الإسلامي

في المغرب والأندلس

في اليمن .

في الحجاز

الحياة الفكرية :

التعليم

التصنيف

واجه العالم الإسلامي في هذا القرن تحدياً كبيراً ، عرّض أرضه وأهله للخطر وكادت تلك القوى المضادة أن تقضي عليه .

فقد تكالبت عليه قوى الكفر والإنحراف من جميع الجهات معلنة أن لا بقاء للإسلام

ولكن عون الله وإيمان المسلمين بنصر الله لهم ، يسر لهم دحر تلك القوى وردها على أعقابها فلم تنل شيئاً من المسلمين .

وكان هذا العدوان على المسلمين بمثابة وقود داخلي للأمة أنهض همتها وقادها إلى الشعور بذاتها وإدراك حقيقتها .

والآن نعرض لهذا التحدي في كافة مواقعه ومواقف المسلمين منه .



التحدي المغولي التتري :

من أكبر التحديات التي واجهتها الأمة الإسلامية في المشرق الهجوم المغولي ، والذي اكتسح العالم الإسلامي في هذا القرن .

ولم يحمل أي معنى للقيم الحضارية ، لأن القائم به شعب بدائي ، ولذا فلم يُقمْ أي وزن لمظاهر الحضارة التي كانت تعيشها بلاد المسلمين والتي دخلتها قوات المغول

وتلقت ضرباتهم الأولى الدولة الخوارزمية منذ سنة (٦١٧هـ) فأبادوا مظاهر الحياة في البلاد التي دخلوها في تركستان وفارس (١) .

ثم وصلت طلائعهم إلى أقاليم أذربيجان وديار بكر والجزيرة سنة (٦١٨هـ)(٢) .

ولم تقف جيوشهم عند هذا الحد بل كان هدفها الوصول إلى حاضرة الخلافة الإسلامية مدينة بغداد حيث كان ذلك هدفاً لبعض حاشية الخليفة العباسي من الباطنية، والذين يسرهم القضاء على رمز الخلافة السنية ، كما قدمت الإسماعيلية التسهيلات للتتار فتمكنت قوة التتار بذلك من الوصول إلى بغداد سنة (٦٥٦هـ) ومحاصرتهم ، ثم دخولها بقيادة هولاكو حفيد جنكيز خان .

وقبض التتار على الخليفة العباسي المستعصم بالله وعلى أقاربه ثم قضى عليهم ، وأمام مظاهر الحضارة في بغداد لم يستطع هؤلاء الناس التعامل بها سوى ما يعرفونه من أساليب القتل والتدمير لكل نبض حياة ، وكان لدخولهم بغداد أثره البالغ على الأمة ، حيث قضى على مقومات حضارتها بقتل علمائها وإحراق كتبها ووسائل علمها ومعرفتها(٣) .

وكان لهذا الفعل أثره في توقف جهود الأمة في بناء نهضتها كما أسهم في تردي وضعها السياسي .

---

(١) ابن الأثير : على بن أبي الكرم : الكامل في التاريخ جـ١٠ص ٤٠١ ، دار الكتب العلمية – د/ جميل المصري – حاضر العالم الإسلامي ص ٥٨ دار أم القرى عمان ١٤٠٩هـ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج١ ص ٤٢٤ .

(٣) بيبرس المنصوري : التحفة الملوكية في الدولة التركية ص ٤٣ . نشر الدار المصرية اللبنانية القاهرة ١٤٠٧هـ ابن الوردي : زين الدين بن عمر : تتمة المختصر في أخبار البشر جـ٢ ص ٢٩٧ – دار المعرفة بيروت د، ت ، وابن كثير : إسماعيل بن عمر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٠٠ – مكتبة المعارف – بيروت ١٩٧٧م .

ولم يكن هدف هولاكو تحطيم العاصمة بغداد فقط بل هدف إلى القضاء على الوجود الإسلامي في المنطقة كاملاً والهيمنة عليه ، ولهذا واصل زحفه على بلاد الشام ، فدخلت قواته حلب ، ثم دمشق ، وقبل أن يبسطوا نفوذهم على غالب البلاد الشامية قرروا الزحف إلى مصر لكونها مركز الثقل السياسي آنذاك وكان ذلك سنة ٦٥٨هـ (١) .

وكانت مصر تشهد ظروفاً وتغيرات في تلك الفترة ، من سقوط الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك ، مما يعني وجود نظام سياسي جديد ، سيحمل مهمة الدفاع عن البلاد الإسلامية ، ليثبت للناس قدراته على مواجهة التحديات وحمايتهم من تلك الاعتداءات التي مرت بها بلاد الشام والعراق .

ولهذا لما استنجد الحاكم المملوكي المظفر قطز(٢)بالناس في مصر ودعاهم إلى الخروج لمقاومة هذا العدو ، قبل أن يصل بلادهم ويفسدها ، استجابوا لهذا الطلب ، واستطاع (قطز) أن يقف بهم في وجه التقدم المغولي إلى مصر ، ثم يلاحقهم في (عين جالوت) (٣) سنة (٦٥٨هـ) ويوقع بهم هزيمة نكراء جعلتهم يرتدون على أدبارهم(٤) .

وهذا الانتصار أكسب المماليك ثباتاً على الساحة السياسية ، وأمكنهم على وراثة الملك الأيوبي ، كما أن هذا التحدي الكبير الذي واجهوه في البداية جعلهم يدركون خطورة هذا العدو ويحسبون الحساب المناسب له .

وقد كان لهذا الانتصار أثر على عموم المسلمين ، حيث رفع من معنوياتهم ، وحط من مكانة المغول في نفوسهم ، وأبان لهم أن الأمة لا تستطيع الدفاع عن نفسها

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٣ ص ٢١٨-٢١٩ .

(٢) هو سيف الدين قطز المصري بطلاً شجاعاً قهر التتار قتله الظاهر بيبرس سنة (٦٥٨هـ) ، الذهبي : العبر جـ ٣ ص ٢٩١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥هـ .

(٣) عين جالوت : بلدة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين (ياقوت الحموي معجم البلدان جـ٤ ص ٧٧ ، دار إحياء التراث العربي : بيروت ١٣٩٩هـ) .

(٤) ابن الوردي : تتمة المختصر في أخبار البشر جـ٢ ص ٢٩٧ . ابن كثير البداية والنهاية ص ١٣ ، ص ٢٢٠ .

وقد بقيت قوة التتار في بلاد الشام وما جاورها تهدد المدن الشامية بين وقت وآخر فهاجموا حلب سنة ٦٥٩هـ ، ولكنهم ردوا على أعقابهم[١] . وبقيت قوات التتار وبمساعدة من الصليبيين تقوم بالغارات على بلاد الشام وتهدد استقرارها وأمنها ، في حين حمل المماليك راية الجهاد ، وساعدهم العلماء في إثارة الأمة والوقوف في وجه التحدي فكان الصمود والثبات ، كما كان العمل على إعادة الخلافة العباسية على يد الظاهر بيبرس في القاهرة من المظاهر التي مكنت للمماليك في مصر والشام والحرمين مصارعة التحديات ، فحطمت الجهود التي قام بها التتار من سعي إلى مهاجمة الأقاليم الإسلامية دون انقطاع مستغلين أي ظرف يمر بتلك الأقاليم .

فقد هاجموا الموصل سنة ٦٦٠هـ ولكنهم منوا بخسارة كبرى[٢] . ثم أعدوا حملة كبرى سنة ٦٦٨هـ ، ولكن جيوش المماليك في الشام ومصر قاتلتهم في حمص فهزمتهم[٣] .

ولهذا كانت الجبهات الإسلامية التي يتعرض لها التتار أشبه ما تكون بحرب استنزاف للمسلمين ، بسبب ما يقدم عليه التتار من الإغارة على البلاد الإسلامية ، ونهب خيراتها ، وإفساد مصالحها ، وقتل رجالها ، وسبي نسائها ، وكان لضعف السلطة المركزية للمماليك في بعض الأحيان والتنافس عليها من قبل أمرائهم دور في إضعاف المسلمين أمام التتار مما يطمعهم بالإغارة المستمرة على المسلمين .

ولهذا كان للعلماء دور في شد أزر الولاة حين اعتدى التتار عليهم ، ومن ذلك ما قام به الإمام ابن تيمية رحمه الله سنة ٦٩٧هـ حين دعا الناس إلى مقاومة العدو ، فاستجابوا لذلك ، وصد عدوانه[٤] .

ولما قدم التتار في سنة٦٩٩هـ بلاد الشام قابلهم المسلمون وهزموهم[٥] . وكان

---

[١] ابن الوردي : تتمة المختصر في أخبار البشر جـ٢ ص٣٠٢ .

[٢] ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٣ص٢٣٤ .

[٣] ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٣ص٢٩٥ .

[٤] ابن الوردي : تتمة المختصر جـ٢ص٣٤٦ . ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٣ص٣٥٢ .

[٥] ابن الوردي : تتمة المختصر جـ٢ص٣٥٣ . ابن كثير البداية والنهاية جـ ١٤ص ٨،٧ .

دور العلماء فاعلاً في مثل هذا الظرف ، فقد دعا الإمام ابن تيمية وعدد من العلماء الناس في بلاد الشام إلى مقاومة العدو فاستعدوا واستطاعوا رده عن بلادهم(١) .

ونتيجة لحال الضعف التي مني بها المسلمون في بلاد الشام أمام حكم بعض الأمراء المماليك ، أصبح الناس بحالة من الفزع والذعر ، فكانوا يدعون بلادهم فارين إلى بلاد أخرى خشية على أنفسهم وذلك حين العلم بأي تحرك من التتار عليهم حتى ولو لم يصلوا إليهم كما حدث عام ٧٠٠هـ لما وصل الخبر بمقدم التتر إلى الشام فهاجر الناس إلى الكرك ومصر وغيرها (٢) ، لكن استعداد الأمة بقيادة علمائها قوى من عزائمها ، واستطاعت أن تحد من تقدم العدو على بلادها .

التحدي الصليبي للشام ومصر :

وأما التحدي الخارجي الآخر الذي عانى منه المسلمون في بلاد الشام ومصر فهو التحدي الصليبي الأوربي ، والذي سبق أن قدم قبل القرن السابع الهجري وأقام له كيانات سياسية متفرقة في الأقاليم الإسلامية ، وكانت هذه الكيانات تقل وتكثر حسب قوة الأمة المسلمة ومقاومتها لها .

وقد أصبح مَنْ في طرابلس منهم يهدد إمارة حمص وما والاها ، فاستنجد حاكمها أسد الدين(٣) شيركوه بالولايات القريبة منها ، فاستجابت له أمارة حلب ، واستطاع أن يوقف هذا التهديد ، وكان ذلك في سنة ٦٠٤هـ(٤) .

ومن صور التحدي الصليبي تهديد من أقام منهم في عكا لما حولها ، فما كان من الأيوبيين إلا أن صالحوهم ، وتوالت الهجمات الصليبية على البلاد الإسلامية ، ففي

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١١ .

(٢) ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣٥٥ . ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٦

(٣) هو أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين تولى حمص سنة ٥٨١هـ وكانت في غاية الأمن والعدل وقد هابه الفرنج والعرب وله منزلة عند بني أيوب توفي سنة ٦٣٧هـ (ابن كثير البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٥٤ ، الذهبي العبر جـ ٣ ص ٢٣٠) .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ١ ص ٣٤١ .

سنة ٦١٥هـ أغاروا على مصر واستطاعوا بسط نفوذهم على مدينة دمياط المصرية لكن جيوش بني أيوب استطاعت استرجاعها منهم وردهم على أعقابهم(١) .

ثم إن الصليبيين في سنة ٦٢٥هـ جددوا الاعتداء على الشام ، واستطاعوا الدخول في كل من عكا وصور وصيدا . وفي سنة ٦٢٦هـ ظهر تخاذل المسلمين أمام الصليبيين بشكل فاضح حتى أنهم صالحوهم على تسليم بيت المقدس لهم(٢) .

ومن عوامل عدم القدرة على مقاومة التحدي الخارجي للأمة الخلافات التي كانت تنشب بين حكام بني أيوب ، فتصب قوتهم في تلك الخلافات ويترك العدو يتصرف كيف شاء .

وبوصول المماليك إلى السلطة تغيرت موازين القوى لصالح المسلمين حيث ولي السلطة أمراء أقوياء ، فقاموا بجهد كبير لتوحيد مصر والشام تحت راية واحدة(٣) .

واستطاع الظاهر بيبرس طرد الصليبيين من مدن الساحل الشامي ، توج ذلك بفتح أنطاكية(٤) وكان ذلك سنة ٦٦٦هـ(٥) .

وتلي ذلك الإغارة على عدة حصون وذلك للحد من تطاول الصليبيين على السكان المسلمين المجاورين لهم(٦) .

ولم يقف الظاهر بيبرس عند مهاجمة المدن الداخلية التي أقيم فيها إمارات صليبية بل هاجم الموانئ الشامية التي يسيطر عليها الصليبيون ففي عام ٦٦٩هـ حاصر

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٣٧٥-٣٧٨ ، ٤٢٨ . ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٢٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ١٠ ص ٤٨١ . ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٢٢٣ .

(٣) ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٢٦٣ . ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٧٧

(٤) أنطاكية : مدينة قديمة بالشام بينها وبين حلب يوم وليلة (وهي الآن تتبع تركيا) ، (ياقوت الحموي معجم البلدان جـ ١ ص ٢٦٦،٢٦٧) .

(٥) ابن الوردي : المصدر السابق جـ ٢ ص ٣١٣ . ابن كثير : المصدر السابق جـ ١٣ ص ٢٥٦ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٥ .

موانئهم قرب ساحل اللاذقية(١) ففتح حصوناً مهمة واضطر غيرها إلى طلب المصالحة خشية منه(٢) .

ولم يهنأ الظاهر بيبرس بتلك الانتصارات بسبب عدم استقرار جبهة الشام ، حيث أن التتار والصليبيين كانوا ينتهزون الفرصة للإغارة على البلاد المجاورة لهم وتهديدها ، وأصبح الناس يغادرون المدن الشامية كحلب وحمص خوفاً من إغارة التتار عليها في بعض الأوقات مما حدا بالظاهر بيبرس أن يقود المعارك بنفسه في سنوات متعددة ضد الصليبيين والتتار(٣) فأوقع الرعب في نفوسهم بعد هزائمهم المتكررة منه .

ولما ولي السلطان قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ) أدرك أن اشتغاله بالقضايا الداخلية يقوي عدوه بالهجوم عليه واستغلال الظروف لصالحه ، فما كان منه في سنة ٦٨٨هـ ، إلا أن أعد جيشاً هاجم به طرابلس والتي كانت خاضعة للصليبيين فدخلها فاتحاً منتصراً وأخرج منها الصليبيين(٤) . ولما خلف الأشرف خليل بن المنصور قلاوون والده (٦٨٩-٦٩٣هـ) سار على منهاجه في مقارعة الصليبيين ، فقضى على نفوذهم في عكا ، ثم واصل سيره فقضى على كافة الوجود الصليبي في الساحل الشامي باستعادة عكا آخر معاقل الصليبيين سنة ٦٩٠هـ ، وقال ابن كثير في ذلك : (ولم يبق بالسواحل ولله الحمد معقل للفرنج إلا بأيدي المسلمين)(٥) . ثم تلى ذلك فتح قلعة الروم(٦) سنة ٦٩١هـ والتي كانت لها ميزة خاصة في قوتها فدكتها

---

(١) اللاذقية : مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال حلب بينهما ستة فراسخ وهي الآن ميناء سوريا الرئيس على البحر المتوسط ، ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص٥، هزاع الشمري : المعجم الجغرافي لبلاد العالم ص٢٨٦. دار أميه الرياض ١٤١٠هـ .

(٢) ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣١٥ . ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٦

(٣) ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣١٩ . ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦

(٤) ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣٣٥ . ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣١٣

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص٣٢١ .

(٦) قلعة الروم : غربي الفرات مقابل البيرة ، بينها وبين سمسياط ، وبها مقام بطريك الأرمن ، (ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٤ ص ٣٩٠) .

أسلحة خليل بن قلاوون ثم أعيد بنائها من جديد(١) .

التحدي الصليبي للأندلس :

مع الظروف الداخلية التي كانت تمر بها بلاد المسلمين في الأندلس والمغرب . واجه المسلمون تحدياً قوياً عرض وجودهم في بلاد الأندلس للخطر ، وذلك أن القوى النصرانية هنالك ، أخذت تجمع عدتها وعتادها لمواجهة المسلمين بعد معركة الأرك(٢) سنة ٥٩١هـ التي هددت مدناً كانت الإمارات النصرانية تفرض وجودها عليها(٣) .

فانطلقت أصوات الوحدة من الإمارات النصرانية بجمع الشمل والوقوف أمام قوة المسلمين في الأندلس ، واستنجدوا بأوربا لهذا الغرض وبارك البابا هذا التجمع الصليبي(٤) . وما أن أهل عام ٦٠٩هـ حتى كانت قوات النصارى على أهبة الاستعداد لحرب المسلمين(٥) .

وأما القوة الإسلامية في الأندلس فكانت في حال لا تحسد عليها من شيوع الفرقة والاختلاف بينها .

ولهذا لما تمت المواجهة بين الطرفين في مكان يسمى بالعقاب(٦) سنة ٦٠٩هـ مني المسلمون بهزيمة كبيرة كانت بداية النهاية للوجود الإسلامي في الأندلس

---

(١) ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣٣٨ . ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٢٧

(٢) الأرك : قلعة حربية تقع على نهر وادي يانه وقعت فيها معركة انتصر الموحدون فيها على نصارى الأندلس ؛ (السلاوي : أحمد بن ناصر : الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى جـ ٢ ص١٦٩ . القاهرة ١٣١٢هـ) .

(٣) الحميري : محمد بن عبدالمنعم : الروض المعطار ص ١٣ . تحقيق إحسان عباس – مكتبة لبنان – بيروت ١٩٨٤م .

(٤) الحميري : الروض المعطار ص ١٣٧ .

(٥) الحميري : الروض المعطار ص ١٣٧ . السلاوي : الاستقصاء جـ ٢ ص ٢٢٤ .

(٦) العقاب : سهل مليء بالتلال الصخرية القليلة الارتفاع (عصام الفقي : تاريخ المغرب الأندلسي ص ٢٧٥ ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة د ، ت) .

فتسابق النصارى للاستيلاء على حصون المسلمين(١) . وبعدها أصبحت المدن الإسلامية تتساقط بأيديهم .

ولما انشغل المسلمون في المنازعات والحروب عنهم ، سارع النصارى إلى بسط نفوذهم على عدد من المدن الإسلامية كقرطبة وبلنسية(٢) .

ولما آلت السلطة في المغرب إلى بني مرين(٣) كان الأمراء في الأندلس هم النصريون من بني الأحمر ، وأصبحوا يتعرضون لهجمات النصارى الأسبان ، فما كان من المرينيين إلى أن عبروا البحر إلى الأندلس لمناصرتهم أكثر من مرة .

ففي سنة ٦٦٨هـ انتقل إليهم من فاس قوة كبيرة اكتسحت قوات النصارى .

وفي سنة ٦٧٦هـ حاصرت القوى الإسلامية المرينية مدينة أشبيلية ودخلت حصوناً عدة لهم ، وفعل ذلك في سنتي ٦٨١و ٦٨٤هـ(٤) .

كما لبى الحفصيون نداء الإمارات الأندلسية الشرقية سنة ٦٣٦هـ وبعثوا أسطولاً بالأطعمة والأسلحة لتخفيف حصار النصارى عليهم(٥) .

وهذه الأحداث تدل على مدى التحدي الذي لاقاه المسلمون في هذا القرن من قبل النصارى الأسبان والذين كانوا يشنون هجماتهم الشرسة بين وقت وآخر واضعين أمامهم هدفاً كبيراً وهو إخراج المسلمين من الأندلس وفق مراحل تبدأ بضم المدينة الواحدة تلو الأخرى مع استنفار الصليبيين الأوربيين لهذا الغرض .

التحدي الصليبي للمغرب (الشمال الأفريقي) :

واجهت الدولة الحفصية حملة صليبية بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا وذلك سنة ٦٦٨هـ وكان هدفها الأول القدس لكنها انحرفت إلى تونس .

وقد حاصرت هذه الحملة تونس فترة من الزمن لكنها فشلت في تحقيق هدفها وهو

---

(١) السلاوي : الاستقصاء جـ ٢ ص ١٩٩ .

(٢) د / سيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الإسلامي ص ٧٤٤ . نشر مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية . د، ت .

(٣) بنو مرين من قبائل زناته البربرية ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٧ ص ٩ ، دار الكتاب اللبناني ١٩٨١م .

(٤) سيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص ٧٨٥ .

(٥) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٦٠١ .(سيأتي التعريف بالحفصيين في ص (٢٤) .

الدخول إلى تونس[١] بسبب الوباء الذي انتشر بين أفرادها ، فوقعت معاهدة مع الحفصيين تنص على المصالحة مع الحملة ، وتوفير امتيازات للنصارى المقيمين في تونس والقادمين إليها مع دفع إتاوات مالية للصليبيين[٢] .

وبعد هذه الحملة دخلت الدولة الحفصية بعلاقات متنوعة مع مملكة أرجونه الأسبانية ، والتي حولتها في بعض الأحيان إلى وصاية على الحفصيين ، وتدخل في شؤونهم الداخلية ، وفرض معاهدة عليهم ، والتحالف مع أعدائهم في الداخل والخارج[٣] .

---

(١) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٦٧٠ روباريرتشفيك : تاريخ أوروبا في العهد الحفصي . جـ ١ ص ١١٣ ترجمة حماد الساحلي - نشر دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٣٨٨هـ - .

(٢) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٦٧١ .

(٣) روبارير تشفيك: تاريخ أوروبا في العهد الحفصي جـ ١ ص ١٠٨،١٢٤،١٢٦،١٢٨ .

الأحوال الداخلية في

أقاليم العالم الإسلامي في هذا القرن

وكما عانى العالم الإسلامي في هذا القرن من التحدي الخارجي له ، كذلك كان واقعه الداخلي عامل تثبيط لهمم الناس ، بسبب الفرقة والنزاع الذي استشرى بين الناس بهدف كسب سلطة أو مال ، استنزفت القوى ، واستثارتها في آن واحد .

وسنعرض الآن لحال أقاليم العالم الإسلامي في هذا القرن من حيث أحوالها السياسية الداخلية وعناصر سكانها .

الأحوال الداخلية في الأندلس :

مع بداية إنهيار قوي لدولة الموحدية انتقلت عدوى عدم الاستقرار من المغرب إلى الأندلس حيث ظهرت فيها أحداث تحاكي أحداث المغرب في نزعة الاستقلال للأقاليم وعدم الولاء للدول التي كانت على وشك النهاية أمثال دولة الموحدين ، فظهرت دويلات الطوائف مرة أخرى ، فقد أعلن الأمراء الذين يحكمون شرق الأندلس الثورة والاستقلال بأقاليمهم ، فاستقل ابن هود(١) في أشبيلية في سنة ٦٢٦هـ عن الموحدين .

ولم يقتصر الأمر في عدم الاستقرار على طلب الاستقلال من قبل إمارات الأندلس ، بل نشب بينها صراع هدفه تحقيق نسبة أكبر من المساحة والممتلكات(٢)فقد نشب صراع بين ابن هود وابن الأحمر(٣) في محاولة منهما لبسط نفوذهما على أشبيلية ، واستطاع ابن الأحمر في أول الأمر تملكها ، ولكنها انتقضت عليه ودانت بالولاء لابن هود(٤) .

وبعد وفاة ابن هود سنة ٦٣٥هـ حدث اضطرابات في أشبيلية ثم استقر أمرها بمتابعة الدولة الحفصية بتونس ، إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً حيث دخل بنو الأحمر في هذا الصراع ونابذوا الدولة الحفصية وأعانوا أعداءها عليها ، فبسط النصارى نفوذهم على أشبيلية سنة ٦٤٦هـ(٥) ، فما كان من ابن الأحمر إلا أن أعلن ولاءه للحفصيين رغبة في نصرتهم ، ثم ما لبثت مالقه(٦) أن خرجت عن طاعته ، وقد

---

(١) محمد بن هود من سلالة بني هود الجذاميين أصحاب سرسقطه في عصر الطوائف توفي سنة ٦٣٥هـ ، عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب الإسلامي ص ٧٤٤ .

(٢) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٦١٢ .

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد الخزرجي ولد سنة ٥٩١هـ وأعلن إمارته سنة ٦٣٥هـ في غرناطة توفي سنة ٦٧١هـ ابن الخطيب : محمد بن عبدالله : اللمحة البدرية ص ٣٣ ، دار الآفاق – بيروت ١٩٧٨م .

(٤) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٦١٣ .

(٥) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٦١٣ .

(٦) مالقه : مدينة بالأندلس على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية ، ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٤٣ .

عجز عن ضمها إلى نفوذه ، حيث حالت وفاته سنة ٦٧١هـ عن إكمال آماله في كسب أقاليم جديدة لدولته(١) .

ولما خلفه ابنه محمد(٢) أعلن ولاءه لبني مرين وكان ذلك سنة ٦٩٢هـ ، واستمر في حُكمه لغرناطة وعقد معاهدات مع الإمارات النصرانية في سنة ٦٩٥هـ(٣) .

الأحوال الداخلية في المغرب :

كانت بلاد المغرب في مستهل القرن السابع الهجري تخضع للموحدين ، حيث كانوا هم القوة الكبرى فيها ، وحينما آلت قيادة الموحدين إلى يعقوب(٤) المنتصر بالله سنة ٦١٠هـ سهل ضعفه تنامي قوة بني مرين ، حيث سرت الفوضى في دولة الموحدين، بتولى خلفاء ضعاف سهل على أعدائها القضاء عليها وبالذات بني مرين الذين تعاقب أمراؤهم على حرب الموحدين فتقابلوا معهم عدة مرات(٥) .

ففي سنة ٦٣٧هـ تلقى الموحدون هزيمة قاسية(٦) ولكنهم ردوا على ذلك بانتصارهم على بني مرين سنة ٦٤٢هـ(٧) ، ثم استطاع المرينيون أن يعدوا أنفسهم ويأخذوا بزمام الأمر فتوالت مدن الموحدين تتساقط بأيديهم(٨) .

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطه جـ ٢ ص ٦٥ – تحقيق محمد عنان – مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٧٣م .

(٢) هو أبو عبدالله محمد بن محمد بن يوسف ولي الأمر بعد وفاة والده سنة ٦٧١هـ وتوفي سنة ٧٠١هـ ، ابن الخطيب : اللمحة البدرية ص ٣٣ .

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة جـ ١ ص ٥٦٩ .

(٤) هو أبو يعقوب بن محمد الناصر بويع بالخلاقة وعمره ١٦ سنة ، وتوفي سنة ٦٢٠هـ في عهد كثر الخارجون عليه ، (عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب ص ٧٤٠) .

(٥) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٥٢٣، ٥٢٤ .

(٦) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٥٣٧ .

(٧) السلاوي : الاستقصاء جـ ص ١١ .

(٨) إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ص ١٦ – دار الحرمين – الدار البيضاء ١٣٩٨هـ .

وتم القضاء على دولة الموحدين سنة ٦٦٧هـ(١) بدخول المرينيين قاعدتهم مراكش(٢) ، كما استطاع المرينيون هزيمة بني عبدالواد(٣) ملوك المغرب الأوسط سنة ٦٥٨هـ(٤)

أحوال الدولة الحفصية :

وقد خصصت الدولة الحفصية بالحديث لأنها ساهمت بأحداث المغرب الداخلية ، فقد نافس الحفصيون بني مرين على خلافة دولة الموحدين بحكم العلاقة التي تربطهم مع الموحدين .

استطاع عبدالواحد(٥) بن أبي حفص قيادة هذه المنافسة وتأسيس الدولة الحفصية في تونس(٦) ، ولكنها وبعد وفاته سنة ٦١٨هـ عاشت فترة عدم استقرار إلى أن أعلنوا الاستقلال عن الموحدين سنة ٦٣٤هـ ، بعد أن زادت رقعة الأرض التي دان أهلها بالولاء لهم(٧).

ثم ما لبث أن عادت إليها حالة عدم الاستقرار ، بسبب الاختلاف بين أفراد الأسرة الحاكمة من جهة ونزاعهم مع قوة الموحدين الباقية من جهة أخرى ، والثورات الداخلية التي أعلنت ضدهم من جهة ثالثة . وكادت هذه الظروف أن

---

(١) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٦١٨ .

(٢) مراكش : من أكبر المدن المغربية تقع وسط بلاد البربر أختطها يوسف بن تاشفين : ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٩٤هـ .

(٣) بنو عبدالواد من أمراء القبائل الرحل في صحراء المغرب الأوسط فكانوا أمراء للموحدين ، ثم استقلوا بعد سقوط دولة الموحدين ابن خلدون : العبر جـ٦ ص ٦١٨ .

(٤) إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ص ١٩ .

(٥) عبدالواحد بن أبي حفص من قبيلة المصامده ، كان قائداً للمهدي بن تومرت ، ثم لخليفته عبدالمؤمن ، ابن خلدون العبر : جـ٦ ص ٥٧٨ .

(٦) النويري : نهاية الأرب ج ٢ ص ٢٢١ إلى ٢٣٤ – القاهرة ١٩٤٣م .

(٧) الغبريني : أحمد بن محمد : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ص ١٤٩،١٩٣ – تحقيق عادل نويهض – بيروت د، ت .

تودي بالدولة إلى السقوط(١) .

وقد حاولت الدولة الحفصية الاستفادة من إعلان القوى الإسلامية في الأندلس والحجاز ومصر تبعيتهم للحفصيين من أجل تثبيت دولتهم ورفعة شأنها (٢) ، إلا أن ذلك لم يدم طويلا فقد قام الظاهر بيبرس في مصر بإعلان الخلافة العباسية ومركزها القاهرة .

---

(١) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٦٧٦ إلى ص ٧١٤، ابن الشماع الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ص ٨٢،٧٦ - تحقيق الطاهر محمد - الدار العربية للكتاب - طرابلس الغرب ١٩٨٤م .

(٢) ابن الشماع : الأدلة البينية النورانية ص ١٦٣،٦٤،٥١،٤٨ . الزركشي : محمد بن إبراهيم : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ص ٧٣ - تحقيق محمد فاظر ط ٢ تونس ١٩٦٦م .

الأحوال الداخلية في الحجاز :

انشغل حكام الحجاز في القرن السابع الهجري بالحروب بينهم ففي سنة ٦٠١هـ حاصر أشراف مكة بجيوشهم المدينة المنورة ، ثم رفعوا الحصار بعد فشلهم في تحقيق نتيجة لصالحهم ، فدفع ذلك أشراف المدينة باللحاق بهم وفرض حصار على مكة ولكنهم لم يحققوا شيئاً منه سوى رد الاعتبار لهم(١) .

وقد شارك الأيوبيون في هذا النزاع فدخلوا في صراع أشراف الحجاز ، فساندوا أشراف المدينة الحسينيين سنة ٦١٢هـ ضد بني عمهم الحسنيين في مكة فتحقق لهم نصر عليهم(٢) ، ثم أعانوا أشراف مكة سنة ٦١٣هـ فهزم أشراف المدينة(٣) ، وقد استطاع أمير مكة قتادة الحسني ضم الطائف سنة ٦١٣هـ ولكنه فشل في الحفاظ على استمرار تبعيتها له(٤) .

ثم دخل الأيوبيون مباشرة في قضايا الحجاز فقدمت حملة لهم من اليمن ، والتي كانت تخضع لنفوذهم ، واستطاعت أن تستولي على مكة وذلك سنة ٦١٩هـ وتعيين والٍ من قبلها بديلاً عن أمراء مكة الأشراف(٥) وبعد أن ضعف النفوذ الأيوبي في اليمن بسبب منافسة الدولة الرسولية انتقل الصراع بينهم إلى بلاد الحجاز ، وأصبحت مكة ساحة منافسة بينهم منذ سنة ٦٣٥ إلى سنة ٦٥٣هـ(٦) . فتارة تخضع للنفوذ الأيوبي وتارة لنفوذ الدولة الرسولية ، وتارة للأشراف .

---

(١) الفاسي : محمد بن أحمد : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين جـ ٤ ص ٦٠٧هـ تحقيق حامد الفقي – مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٦هـ – .

(٢) أبو شامة : عبدالرحمن بن إسماعيل : الذيل على الروضتين ص ٩٢ ، دار الجيل بيروت ١٩٧٤م .

(٣) الفاسي : العقد الثمين جـ ٧ ص ٤٥ .

(٤) قتادة ابن إدريس بن مطاعن صاحب مكة وينبع ، ولي الحكم عشرين سنة ت ٦١٨هـ (الفاسي : العقد الثمين جـ ١ ص ٣٩) .

(٥) الفاسي : العقد الثمين جـ ٧ ص ١٧٣، ١٧٤ .

(٦) بامحزمه : عبدالله الطيب : تاريخ ثغر عدن جـ ٢ ص ١٧٧ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٤١١هـ ، الفاسي : العقد الثمين جـ ١ ص ٤٥٨ .

وبعد ما ظهرت قوة المماليك راسل الظاهر بيبرس (٦٥٨،٦٧٦هـ) حكام الحجاز تمهيداً لفرض نفوذه عليهم ، ولكنه وجد الفرصة مناسبة حين أتيح له الدخول في النزاع بين الأشراف في مكة والمدينة[١] ، وبعد وفاة الظاهر بيبرس أصبحت علاقة أشراف الحجاز مع المماليك بين مد وجزر ، فتارة يعلن الأشراف ولاءهم للرسوليين، وتارة للمماليك حتى وفاة الشريف أبي نمي[٢] سنة ٧٠١هـ[٣] .

ولقد أثرت تلك الأوضاع التي مر بها الحجاز في القرن السابع الهجري على الحجاج الذي يفدون إلى بلاد الحرمين في كل عام لأداء الفريضة ، فأصبح الخلاف سمة ظاهرة بين أمراء الحج والأشراف ، وقد يتطور إلى حالة من الحرب بينهما كما وقع سنة ٦١٧هـ حين قتل أمير الحج العراقي أقباش[٤] وفي سنة ٦٨٩هـ حين اختلف أهل مكة والحجاج فقتل في الحرم من الفريقين أربعون رجلا[٥] .

الأحوال الداخلية في اليمن :

دخل القرن السابع الهجري واليمن تحت حكم بني أيوب ، ولكنها لم تهنأ بالاستمرار حيث الصراع بين بني أيوب وبين إمام اليمن عبدالله بن حمزة[٦] ، والذي انتهى بالصلح سنة ٦٠٢هـ[٧]، ولكن هذا الصلح لم يكن منهياً بشكل عام لذلك الصراع .

فقد سعى الإمام إلى توسيع رقعة المنطقة التي تخضع له ، مما أوقد الحرب مرة

---

(١) الفاسي : العقيد الثمين جـ ١ ص ٤٥٩ .

(٢) هو محمد بن حسن بن علي بن قتادة بن إدريس الحسني كانت ولايته على مكة خمسين سنة ت ٧٠١هـ . الفاسي : العقد الثمين جـ ١ ص ٤٥٩ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين جـ ١ ص ٤٦١ ، الخزرجي : علي بن الحسن العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٣٣٥،٣٣٧ ، تحقيق محمد الأكوع – نشر مركز الدراسات والبحوث اليمني ١٤٠٣هـ .

(٤) ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٢١٣،٢١٤ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين جـ ١ ص ٤٦٦ .

(٦) عبدالله بن حمزة بن سليمان بن حمزة من أئمة الزيدية في اليمن بويع سنة ٥٩٣هـ له عدد من المصنفات توفي سنة ٦١٤هـ (الخزرجي العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٣٣) ، (الزركلي : خير الدين : الأعلام جـ ٤ ص ٨٣ . دار العلم للملايين ١٩٨١م .

(٧) زبارة : محمد بن محمد : أئمة اليمن جـ ١ ص ١٤٢ . تعز ١٩٥٢م .

ثانية مع الأيوبيين ، ولكن لم يحسمها أحد لصالحه ، وأصبحت الحال غير مستقرة في اليمن ، بسبب هذا الصراع الذي لم يتوقف على الأيوبيين مع أعدائهم بل ومع أنفسهم ، فقد تشتت قوة الأيوبيين واختلفت فيما بينها ، وأصبح بعضها لا يدين بولائه للأيوبيين في مركزهم بمصر(١) . وبسبب ذلك بعثت حملة من مصر بقيادة المسعود ابن(٢) الكامل إلى اليمن لإعادة سلطان الأيوبيين من جديد(٣) .

وأما الزيدية فقد ضعف نفوذهم ، وتفرقوا بعد إمامهم عبدالله بن حمزة ، وبقيت الأمور غير مستقرة مع وجود المسعود بسبب الصراع مع الزيدية(٤) .

وما لبث أن عاد المسعود الكامل من اليمن إلى مصر ، وعين نور الدين عمر بن رسول والياً عليها ، والذي استغل ضعف الدولة الأيوبية ، فأعلن تأسيس الدولة الرسولية باليمن ، ودخل صنعاء سنة ٦٢٧هـ ، وأعلن ولاءه للعباسيين والاستقلال عن الأيوبيين سنة ٦٢٨هـ(٥) .

وحارب نور الدين عمر بن علي الرسولي المماليك في اليمن ، واستطاع بسط نفوذه على مناطقها تدريجياً(٦) ، ولكنه واجه ثورة الأشراف الزيدية ضده ، وفي عام ٦٤٥هـ أصبحت كافة الأقاليم بيده إلا نزر يسير تحت نفوذ الزيدية .

ثم أعاد الزيدية ثورتهم مرة ثانية ، ولكن نور الدين قضى عليها سنة ٦٤٧هـ(٧) .

وقد أضعف قوة الرسوليين الاختلاف بينهم بعد وفاة نور الدين ، وانتقلت العدوى إلى الزيدية ، فنشب بينهم خلاف سهل على الدولة الرسولية الوقوف ضدهم .

---

(١) المسعود بن الكامل الأيوبي قاد حملتين إلى اليمن أحدها سنة ٦١١هـ والثانية ٦٢٤هـ توفي في مكة سنة ٦٢٦هـ ، (المقريزي : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ص ٧٨ ، تحقيق د / الشيال ، القاهرة ١٩٥٥م) .

(٢) جميل حسن : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ص ١٠٩ – تهامة جدة ١٤٠٥هـ .

(٣) اليافعي : عبدالله بن سعد مرآة الجنان جـ ٤ ص ٦٣ طبع حيدر أباد ١٣٢٩هـ .

(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ٢ ص ٣٤،٣٣ .

(٥) الخرجي : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٥٤ .

(٦) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٥٨،٥١ .

(٧) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٩٣،٩٢،٩١ .

وهكذا استمر الخلاف بين الرسوليين والزيدية يستنزف طاقاتهم حتى وفاة المظفر(١) سنة ٦٩٤هـ ، والذي يسر للزيدية ولغيرهم تحقيق وجودهم بعد استمرار النزاع بين حكام بني رسول حتى سقوط دولتهم(٢) .

الأحوال الداخلية في مصر والشام :

خلفت وفاة صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٩٨هـ(٣) شرخاً كبيراً في دولة بني أيوب التي بسطت نفوذها على الشام ومصر .

وزاد من هذا الشرخ قيام صلاح الدين بتولية أبنائه وإخوانه إمارات البلدان مما زاد الفرص لنشوب الخلاف بينهم وانعدام الاستقرار لديهم .

وقد استطاع العادل الأيوبي وهو أخ لصلاح الدين أن يستثمر هذا الخلاف لمصلحته فيؤول الحكم إليه(٤) .

وكان الوقود لهذا الصراع هم المماليك ، مما زاد من نفوذهم على السلاطين الأيوبيين ، وجعلهم يتصرفون في العزل والتولية بهؤلاء السلاطين ، ووصول الحال إلى هذه المنزلة يدل على فقدان الاستقرار للدولة الأيوبية في هذا الوقت .

وفي سنة ٦١٥هـ توفي العادل الأيوبي فخلفه الكامل(٥) فما كان منه إلا أن أساء المعاملة مع المماليك ، مما جعل ذلك فرصة لهم للدخول في شأن التولية للسلاطين ، فحرموا ابنه من السلطة بعد وفاته سنة ٦٣٥هـ وولوا الذي لم يعهد له(٦) .

ولم يقتصر دور المماليك في إثارة عدم الاستقرار ، وزعزعة أمن البلاد ؛ بل في الدخول مع سلاطين بني أيوب في خلافهم ، فقد استاء أمراء بني أيوب من تصرف

---

(١) هو المظفر يوسف بن الملك المنصور عمر بن رسول حكم ما يزيد على أربعين سنة ت ٦٩٤هـ (الذهبي : العبر جـ ٣ ص ٣٨٤) .

(٢) زباره : أئمة اليمن جـ ١ ص ٢١٢ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ٤١٦ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ص ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٥ ص ١٥٣ .

(٦) المقريزي : السلوك ومعرفة دول الملوك جـ ١ ص ١٥٥ ، القاهرة ١٩٥٧م .

العادل بن الكامل ، وكانت فرصة المماليك لخلعه وتولية الصالح الأمارة سنة ٦٣٧/٦٤٧هـ(١) .

ونتيجة للصراع الداخلي في أسرة بني أيوب ، وعدم مقدرتها على بناء نفسها لانشغال أصحابها بالخلافات بينهم تهيأت الفرصة لامرأة الصالح الأيوبي شجرة الدر(٢) أن تتولى السلطة بعد وفاته ثم آل الأمر بعد ذلك إلى المماليك ، حيث ولي الأمر عز(٣) الدين أيبك ، وهذا التشكيل الجديد للحياة السياسية يظهر المماليك بديلاً عن الأيوبيين(٤) وكان هذا الصراع والتنافس استنزافا لمقدرات الأمة الإسلامية في ذلك الوقت الذي تحتاج فيه إلى ما يشد أزرها .

ولم يكن ذلك هو النهاية بل إن الخلاف قد انتقل إلى المماليك أنفسهم ، حيث أجهز الظاهر بيبرس على المظفر قطز ليقوم مقامه في السلطة(٥) سنة ٦٥٨هـ بعد معركة عين جالوت ، وقد سعى الظاهر بيبرس إلى توطيد دعائم حكمه داخلياً وخارجيا(٦) ، ولكن وفاته سنة ٦٧٦هـ أضرت بالمماليك ، حيث لم يكن خلفاؤه على درجة من القوة في ضمان استقرار البلاد ، حيث تكرر الخروج(٧) على السلطان قلاوون(٨) ، ثم بعد وفاته عاشت البلاد في حالة اضطراب سياسي بسبب النزاع على السلطة(٩)

---

(١) ابن واصل : مفرج الكرب جـ ٥ ص ٢٦٢ ، المقريزي : السلوك جـ ١ ص ٢٩٤،٢٩٥ .

(٢) شجرة الدر : أم خليل من جواري الملك الصالح نجم الدين أيوب وليت الحكم لمدة ثمانين يوماً ثم قتلت سنة ٦٥٥هـ ، الذهبي : العبر جـ ٣ ص ٢٧٦ ، ابن العماد الحنبلي : عبد الحي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب جـ ٥ ص ٢٦٨ ، دار إحياء التراث العربي : بيروت د.ت .

(٣) عزالدين أيبك التركماني كان ذا عقل ودراية تملك سنة ٦٤٨هـ تم قتلته زوجته شجرة الدر سنة ٦٥٥هـ (الذهبي : العبر جـ ٣ ص ٢٧٥) .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢١٨ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٢٣ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٣٠ .

(٧) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٨٨،٢٨٩ .

(٨) هو أبو الفتوح قلاوون التركي الصالحي تملك سنة ٦٧٨هـ وهزم التتار في هجومهم على حمص وغزا الفرنج أكثر من مرة ت ٦٨٩هـ (الذهبي :العبر جـ ٣ ص ٣٧٠) .

(٩) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٩١ ، جـ ١٤ ص ٣ .

الأحوال الداخلية في المشرق الإسلامي :

دخل القرن السابع الهجري وأقاليم المشرق الإسلامي متفرقة لا تجمعها وحدة واحدة ، فالخلافة العباسية في بغداد لا يتجاوز نفوذها سوى مساحات قليلة من بلاد العراق .

وهناك دولة الخوارزميين(١) في إيران وما جاورها ، والغورية(٢) في أفغانستان(٣) ، وقد أدى هذا الوضع إلى كثرة المنازعات والحروب فيما بينها وسهل ذلك للعدو المغولي التتري فرصة الهجوم عليهم والنيل منهم .

وكان الخليفة العباسي في مستهل هذا القرن هو الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضئ وتوفي ٦٢٢هـ(٤) .

وقد استطاع الخوارزميون بسط نفوذهم على أملاك الدولة الغورية ، وضموا أقاليم في بلاد ما وراء النهر(٥) ثم هددوا الخليفة العباسي بأن يخضع لهم وإلا تعرض لغزوهم ، ولكنه رفض ، وأثناء استعدادهم للتوجه إلى بغداد حال ثلج تساقط عليهم في موقعهم من التقدم وردهم على أعقابهم . وكان ذلك سنة ٦١٤هـ(٦).

---

(١) دولة الخوارزميين : أسسها نوشنكين أحد الأتراك في بلاط ملكشاه السلجوقي وتنسب إلى أقليم خوارزم ومنذ سنة ٤١٠هـ وهي تتوسع (ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ٩ الفقي : الدول المستقلة في المشرق : ص ٢٩٧ ، دار الفكر العربي . القاهرة د.ت .) .

(٢) الدولة الغورية : نسبة إلى الجنس الغوري الذي يسكن بين هراة وغزنه في أفغانستان ، وقد بدأو الاستقلال عن الغزنويين من عام ٥٤٣هـ الفقي الدول الإسلامية المستقلة في المشرق ص ٣٣٤ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٦٧ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٠٧ .

(٥) ما وراء النهر : يراد به ما وراء نهر جيحون ، وهي بلاد غنية بالزراعة والمعادن (ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٤٦ .)

(٦) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٣٧٧،٣٦٦ .

وقد خلف المستنصر(١) بالله الخليفة الظاهر الذي توفي سنة ٦٢٣هـ، فعين العلقمي(٢) وزيراً سنة ٦٣٠هـ(٣) ، مما يدل على ضعف الدولة وعدم إدراكها لأعدائها الذين يتربصون بها . وقد كان له الدور الفاعل بتقديم نصائحه للخليفة العباسي بشأن عدم التفكير في مقاومة التتار ، كما كان له دور في إذكاء الفتنة بين أهل السنة والشيعة في بغداد .

وكان لوجود الإسماعيلية في المشرق دور في استنزاف قوة المسلمين وتهيئة السبل للتتار أثناء غزوهم(٤) .

ومن صور النزاع في المشرق ما تم بين الخوارزميين والأيوبيين سنة ٦٢٧هـ حيث مني الأيوبيون بهزيمة كبرى(٥) .

كما التقى الخوارزمية مع الأيوبيين يساندهم الصليبيون الذين يقيمون بالشام ، ومع ذلك حلت بهم الهزيمة(٦) . ولم يستمر نفوذ الخوارزمية طويلاً فقد كانت معركة بحيرة حمص بداية النهاية لتفرقهم وزوال ملكهم سنة ٦٤٤هـ(٧) .

وأما في بغداد فقد توفي المستنصر بالله سنة ٦٤٠هـ فخلفه المستعصم بالله(٨) . وكان آخر خليفة عباسي في بغداد قضى عليه التتار سنة ٦٥٦هـ(٩) لتبقى بلاد المشرق الإسلامي تحت النفوذ التتري بقية القرن السابع الهجري .

---

(١) المستنصر بالله : هو أبو جعفر منصور بن الظاهر بويع بالخلافة سنة ٦٢٣هـ ، عرف بالتواضع والعبادة ت ٦٤٠هـ (ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١١٣، ١٥٩ .

(٢) هو محمد بن أحمد بن العلقمي حصل على مكانة كبرى في عهد المستعصم وهو رافضي المعتقد فمكن للتتار من تحقيق مرادهم في الخلافة العباسية (ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢١٣) .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٣٥ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١١٧ .

(٥) ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢ ٢٥٤ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٦٤ .

(٧) ابن كثير : المصدر السابق جـ ١٣ ص ١٦٤ .

(٨) المستعصم بالله : هو أحمد بن عبدالله بن المستنصر بالله ولد سنة ٦٠٩هـ بويع بالخلافة سنة ٦٤٠هـ ، وقتله التتار سنة ٦٥٦هـ (ابن كثير جـ ١٣ ص ٢٠٤) .

(٩) ابن العبري :غريغوريوس :تاريخ مختصر الدول ص ٢٧١ نشر منابع الثقافة قم . د. ت

عناصر السكان وفئاته في أقاليم العالم الإسلامي

خلال في القرن السابع الهجري

ومن الإيضاح لواقع المجتمع الإسلامي في القرن السابع الهجري ، سنعرض لعناصر السكان التي تكون منها المجتمعات الإسلامية ، والفئات التي شكلتها طبيعة أحوال المجتمع المتغيرة ، حتى يزداد وضوح الحالة الداخلية للمسلمين في ذلك القرن ، وأثر الحركة السكانية على متغيراتها المستمرة .

فقد كان المجتمع الإسلامي يحوي عناصر مختلفة ، فيها العربي والكردي والقبطي ، والفارسي ، والبربري ، والتركماني وغيرها .

وقد انصهرت هذه العناصر في بوتقة واحدة ، بفعل عقيدة الإسلام التي تذيب الفوارق بين الناس ، لكن الظروف التي جدت على الناس من ضعف التزامهم بدينهم وتكالب العدو عليهم من كل جانب ، جدد في بعض الأماكن تجمع كل عنصر في وحدة واحدة ، وكان لهذا أثره في حياة الأمة الفكرية ؛ والذي أفرز واقعاً مختلفاً ومتضاداً في بعض الأحيان ، وكان له دور في التأثير على كتابة سيرة النبي ﷺ .

عناصر السكان وفئاته في العراق :

تعود الأصول السكانية في العراق إلى العناصر التالية :

الفرس : وقد دخلوا في بلاد العراق حينما دان للحكم الساساني(١) ، وصبغوا البلاد بصبغتهم الدينية والثقافية(٢)، ولكنهم وبعد الفتح الإسلامي للعراق ، دخلوا في الإسلام وامتزجوا مع الناس .

الأكراد : وينتشرون في المنطقة الجبلية شمال العراق ، وهي ديار بكر والجزيرة والموصل وخلاط وأذربيجان ، وقد عملوا لدى الخلافة في العراق وذلك في سلك الجندية(٣) .

العرب : وقد استقرت القبائل العربية المهاجرة إلى العراق في أماكن تضمن لها الحفاظ على نمط حياتها ، وهو الرعي ، الذي يؤلف بين أفرادها ، وشارك من سكن المدن في الحياة العامة(٤) .

وأما فئات المجتمع في العراق فتتكون من : الفئة الحاكمة وأعوانها :

وهم : أبناء البيت العباسي ، وقد اختلطوا مع غيرهم في التزاوج ، وبالذات من حاشيتهم ، وشاركهم العرب في المساندة والمساعدة متى دعت الحاجة ، كما في سنة ٦٤٣هـ ضد المغول(٥) .

وانخرط الأكراد معهم في الجيش(٦) ، كما تسنموا وظائف أمارة البلدان والحج(٧)

---

(١) دخل الحكم الفارسي للعراق سنة ٢٢٣م واستطاع مؤسس الدولة الساسانية أردشيربن بابك تمكين حكمه في العراق (حمزة الاصفهاني : تاريخ الأمم ص ٦٥ ، ألمانيا) ، د . ت .

(٢) جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٦ ص ٢٨٧ – بيروت ١٩٦٨،١٩٧١م

(٣) ابن الأثير : الكامل جـ ١ ص ١٦ ، ابن واصل : مفرح الكروب في أخبار بني أيوب جـ ١ ص ٧ .

(٤) ابن الأثير : جـ ٩ ص ٧٦ ، ابن جبير : محمد بن أحمد : الرحلة ص ١٦٢،١٦٣ . دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٤هـ .

(٥) ابن القوطي : عبد الرزاق : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، ص ٨٥،٢٠٠ ، تحقيق : مصطفى جواد ، بغداد ١٣٥١هـ .

(٦) ابن الأثير : جـ ٨ ص ٢٤٨ .

(٧) ابن القوطي : الحوادث الجامعة ص ١٨٩، ١٩٠ .

فئة العلماء والفقهاء ورجال الفكر :

وقد كان لهم الدور الفاعل في المجتمع من حيث توجيه الناس وتأصيل المعتقدات في نفوسهم .

فأهل السنة وهم الغالبية يدعون الناس إلى الالتزام بمنهجهم ، وإلى التمايز عن غيرهم حتى في أماكن السكنى ، وكانوا يعقدون مجالس الوعظ للناس في المساجد(١)، وساندوا الخلافة العباسية ، وساد بين أهل السنة مذهب الإمام الشافعي(٢)وكذا الأمر بالنسبة لفقهاء الشيعة ، فقد استطاعوا كسب الخلفاء إلى جانبهم، ولهم مفت يرجعون إليه وله اعتراف من قبل السلطة(٣)، ومع ذلك قاموا بتسهيل مهمة المغول ودخولهم بغداد سنة ٦٥٦هـ . وهذا يظهر وجودهم الفاعل في هذا القرن .

عامة الناس :

وهذه الفئة هم أصحاب الحرف المختلفة ، فأفراد القبائل العربية تعتمد على رعي ماشيتها في الأماكن التي استوطنتها ، ومد يد العون للسلطة متى دعت الحاجة إلى ذلك(٤) ، ولكن هذه القبائل كانت تكدر صفو الاستقرار في بعض الأحيان ، فتعتدي على الحجاج ، وتقطع الطرق ، ومن ذلك ما وقع سنة ٦٢٦هـ و٦٣٢هـ(٥) .

وأما الأكراد فيعملون بالرعي والزراعة ، ويحملون منتجاتهم إلى مدن العراق ، وهناك من كان يعمل بالتجارة والمهن اليدوية الأخرى في المدن والتجمعات السكانية(٦) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ٢٨٣ .

(٢) ابن القوطي : الحوادث الجامعة ص ٧٨،٧٧ .

(٣) د / محمد قزاز : الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير ص ١٦٩ . بغداد ١٣٩١هـ .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ١٧٩ .

(٥) ابن القوطي : الحوادث الجامعة ص ٦، ٦٠ .

(٦) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ٣٧٥ ، ابن الجوزي :عبدالرحمن : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم جـ ١٠ ص ٢٤٧ - تصحيح هاشم الندوي وآخرين ، حيدر أباد ١٣٥٨هـ .

عناصر وفئات السكان في الشرق الإسلامي :

يعيش في المشرق الإسلامي عناصر متعددة ، تشكل منها واقعه الاجتماعي ويجمعه الإسلام ومن هذه العناصر :

العنصر التركي :

ويشمل قبائل الغز الخوارزمية . وهؤلاء كانت بداياتهم خدم لدى سلطان السلاجقة(١) ، ثم استطاعوا تأسيس كيانات مستقلة ، أصبحت بعد ذلك دولاً توارثها أحفادهم .

الفرس :

وهم السكان الأصليون في بلاد فارس وخراسان وأقاليم الجبال(٢)، ومنهم فئات متعددة من السكان كالوزراء وأهل الفكر وعامة الناس .

العرب :

وهم قلة في المشرق الإسلامي بالنسبة لبقية العناصر الأخرى ، ويقيمون في الحواضر ، ومنها مدينة قم وهي مركز هام للتشيع(٣) . ولذها يتضح تأثرهم بهذا المعتقد ومن ثم حمله في نشاطهم الفكري خلال هذا القرن .

عناصر وفئات السكان في مصر والشام :

لن نفرد الحديث عن فئات السكان لأنها تتجلى من خلال العناصر .

(أ) عناصر السكان في مصر :

يتألف المجتمع المصري من عناصر متعددة ، ومرد ذلك إلى ظروف الحياة المختلفة التي من خلالها تشكلت عناصره وهي :

أهل البلاد الأصليين وهو الأقباط وكانت ديانتهم النصرانية ، وبعد الفتح الإسلامي دخل غالبهم في الإسلام(٤) وتعربوا .

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٨ ص ١٧٤ جـ ١٠ ص ١٠ .

(٢) المسعودي : علي بن الحسين : التنبيه والإشراف ص ٩٤ – نشر مكتبة الهلال ت بيروت ١٩٨١م .

(٣) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٦ وجـ ٤ ص ٣٩٧،٣٩٨ – نشر دار إحياء التراث – بيروت .

(٤) على إبراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ص ٤٦٤ ، مكتبة النهضة مصر ١٩٤٩م

الأكراد وهم بني أيوب الذين عملوا لدى العبيديين ثم استطاعوا الانفراد بالحكم(١)

الفرنجة : واستوطنت الثغور(٢) .

المماليك : وهم أجناس متعددة فمنهم التركي ، والجركسي ، والمغولي ، والصيني والأسباني ، واليوناني ، والسلافي ، وقد كانت بدايتهم في البيت الأيوبي(٣) .

العرب : وكانت القبائل العربية قد استوطنت مصر بعد الفتح الإسلامي وأصبحت تقيم في أقاليم الصعيد والشرقية ، وقد قاموا بثورة على المماليك سنة ٦٥١هـ(٤) .

فئات المجتمع المصري :

يتكون المجتمع المصري في القرن السابع من فئات عدة هي :

الفئة الأولى :

الحكام : وهي فئة عسكرية انفردت بالسلطة في مصر بعد القضاء على الوجود العبيدي فيها .

وقد بدأ ذلك بنو أيوب ، ثم خلفهم مماليكهم ، بعد أن ضعفت قوتهم وأصبحوا فئة متميزة في المجتمع من حيث الجنس والواقع فلا يتزوجون من غيرهم ، ولا يختلطون بأحد سوى جنسهم(٥) .

الفئة الثانية :

هي التي تشغل الوظائف الديوانية والفقهاء والعلماء ، والأدباء والكتاب ، وقد امتازت طوال عهد الأيوبيين والمماليك بميزات معينة لاعتماد الأمراء عليهم لأنهم من أهل البلاد الأصليين(٦)، والذين كانوا يستطيعون الوقوف أمام أي مشكلة تحدث ومن ذلك مواقف كل من العز بن عبدالسلام ، والإمام بن تيمية في وقت الشدة التي

---

(١) القلقشندي :أحمد بن علي : صبح الأعشى جـ ١ ص ٤٦٥ - دار الفكر بيروت ١٤٠٧هـ .

(٢) علي إبراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ص ٤٩٦.

(٣) المقريزي : السلوك جـ ١ ص ٥٣٥ .

(٤) المقريزي : الخطط جـ ١ ص ٢٩٦ ، دار الاصفهاني - بيروت .

(٥) ابن تغري بردي : جمال الدين يوسف : النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة جـ ٩ ص ٩٢ - دار الكتب المصرية د . ت - سعيد عاشور ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ص ١٦٥ - دار النهضة - بيروت د. ت .

(٦) المقريزي : السلوك في معرفة الملوك جـ ٣ ص ٣٨٣ ، القاهرة ١٩٥٧م .

تصيب الأمة من جراء تسلط عدوها عليها من التتار والصليبيين(١) . وقد أثرت هذه الفئة بنوع النشاط العلمي للأمة وأثره فيها .

فئة التجار :

وهم فئة مقربة من السلاطين ، لاعتمادهم على أموالهم في مناسبات عدة ، ولهذا يسر لهم السلاطين سبل العمل ، كما كانوا يتعرضون للظلم في بعض الأحيان وذلك بالسطو على أموالهم وممتلكاتهم(٢) .

عوام الناس :

وهم أصحاب الحرف والصناعات اليدوية ، وتمر بهم ظروف بين وقت وآخر فلا يجدون طعاماً ولا كساءً ولا مسكناً ، فيقومون بالتسول ، وقد برزت في القاهرة ظاهرة هؤلاء(٣) الفقراء .

العاملون بالزراعة :

وهؤلاء بعيدون عن السلاطين ، فلا ينالون من خيرهم شيئاً بل تثقل كواهلهم بالضرائب ، كما يتعرضون للسلب والنهب إذا ضعف الأمن(٤) .

(ب) عناصر وفئات السكان في بلاد الشام .

لن نفرد الحديث عن فئات السكان لوضوحها من خلال العناصر .

يقطن الشام عناصر متعددة من السكان ، أسهمت في تكوينها الأحداث التاريخية المتلاحقة عليها . ومن هذه العناصر : القبائل العربية الوافدة على بلاد الشام ، ومنها

---

(١) ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٤٠١ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٧ ص ٢٣٥

(٢) ابن حجر : أحمد بن علي : أنباء الغُمر بأبناء العمر جـ ١ ص ٣٦٥ – القاهرة ١٩٧٢م ، المقريزي : السلوك جـ ٤ ، ص ٤٤٤ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥ ، ص ٤٦٤ ، سعيد عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ص ٣٨ ، القاهرة عام ١٩٦٢م .

(٤) ابن إياس : محمد بن أحمد : بدائع الزهور وقائع الدهور جـ ٢ ٣٠٢ ، طبعة بولاق ١٣١٢هـ ، دار المعرفة – بيروت .

الأسر التي استطاعت أن تحتل مكانة بين سكانه ، ومن ثم وصلت إلى دفة الحكم .
ومن ذلك أسرة المرداسيين(١) الذين أسسوا إمارة لهم في حلب(٢) .
وبني عمار(٣) الذين كانت إمارتهم في طرابلس(٤) وأمارة بني منقذ(٥) في قلعة شيزر في حوض نهر العاصي الأوسط .

الأتابكــــه :

وهي مجموعات لا يربط بينها سوى الاتصال بالبيت السلجوقي ، وقد كانت في حصون وقلاع ، ثم تطور شأنها واستطاع بعضها الحكم في الشام والجزيرة(٦) .

الأكــــراد :

وهو عنصر أصبح يقيم على أطراف الشام ، وقد دخل في تاريخ الشام أثناء الحروب الصليبية ، وكان لهم دور فاعل في حكم المماليك(٧) .

الأتراك السلاجقة :

وهم من إقليم ما وراء النهر ، وقد دخلوا جنوداً في خدمة الأمراء ، وحصلوا على مراعي لدوابهم ، وقد استطاعوا الوصول إلى الخلافة واستوزروا للخلفاء(٨) .

---

(١) ملك محمود بن فضل بن صالح بن مرداس حلب سنة ٤٥٢هـ وتعاقب على حكمها أفراد عائلته حتى سنة ٤٧٣هـ (ابن الوردي : تتمة المختصر جـ١ ص ٥٧٤،٥٥١) .

(٢) أبو الفداء : إسماعيل : المختصر في تاريخ البشر جـ ١ ص ٢٢ .، المطبعة الحسينية القاهرة ١٣٢٣هـ .

(٣) ملكت أسرة بني عمار طرابلس وما حولها وحاربوا الصليبيين وردوهم عن مدينتهم طرابلس حتى سنة ٥٠٣هـ ، حيث قضى الصليبيون عليهم (ابن الوردي : تتمة المختصر جـ٢ ص ٣٤،٢٢) .

(٤) ابن الوردي : تتمة المختصر ج ٢ ص ٢٢ .

(٥) ملك على بن مقلد بن منقذ قلعة شيزر سنة ٤٧٤هـ وقد انتهت هذه الأمارة بزلزال عام ٥٥٢هـ ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٩١،٨٨ .

(٦) ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٥٧ .

(٧) القلقشندي : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٦٢ .

(٨) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٤٧ ، عماد الدين الأصفهاني : دولة آل سلجوق ص ٨٢ – دار الآفاق بيروت ١٩٧٨م .

الأراتقـــة :

من الأسر التركمانية ، وقد حكموا بعض مـدن الشـام وتعـاونوا مـع غيرهم(١) .

وكان قادة الفكر والأدب من جميع هذه العناصر .

عناصر السكان في الأندلس والمغرب

يتكون المجتمع الأندلسي من العناصر التالية :

أهل البلاد الأصليين وكان غالبهم من النصارى ، وقد انتشر الإسلام بينهم(٢) .

القبائل العربية : المهاجرة عبر عصور تـاريخ الأندلس الإسـلامي ، وقـد وصـل بعضهم إلى الحكم في فترات من التاريخ(٣) ، كما أن هناك أسر علوية وعباسـية قـد وصلت إلى الأندلس واستقرت بها(٤) .

البربر : وهي فئة من السكان المغربية وقد هاجروا مع الجيوش التي كانت تغـزو الأندلس بين وقت وآخر ، أو تجبرها ظروف الحياة للهجرة(٥) .

الموالي : وهم موالي الحكام الأندلسيين مـن أجنـاس متعـددة ، أو مـن الأندلسـيين الذين خدموا لدى السلاطين(٦) .

يتكون المجتمع المغربي من العناصر التالية :

البربر : أهل البلاد الأصليين ، وهم قبائل عدة منها :

صنهاجه : وتنتشر في كافة البلاد المغربية ، ومنها تأسست دولة المرابطين .

وقبائل لمتونه: وقد استقرت في المغرب الأقصى وشاركت مع دولة المرابطين .

المصامدة : ويقيمون في المغرب الأقصى ومنها قامت الدولة الموحدية(٧) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٣٦٢ ، الذهبي : العبر جـ ٢ ص ٣٨،٤٠ .

(٢) ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة جـ ١ ص ٣ .

(٣) ابن الأبار : أبو عبدالله محمد : الحلة السيراء ١ جـ ١ ص ٣٠ ، الدار العربيـة للطباعـة – القاهرة ١٩٦٣م .

(٤) ابن حزم : علي بـن محمـد : جمهـرة أنسـاب العـرب ، ص ٢٦، ٣٢،٤٣،٤٤ – دار الكتـب العلمية ت بيروت ١٩٨٣م .

(٥) ابن الخطيب : الإحاطة جـ ١ ص ٣ .

(٦) ابن القوطية : أبو بكر محمد تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٦٩، ط بيروت ١٩٥٨م .

(٧) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ١٠١ .

وهتانه : ومنها قامت الدولة الحفصية(١) .

العرب : وقد وصل العرب إلى المغرب من حين وطئت أقدام جيوشهم الفاتحة تلك البلاد وسكنتها ، ومع مرور الزمن تزايدت أعدادها ، ووصلها قبائل كثيرة في القرن الخامس الهجري ، وأشهر هذه القبائل بني هلال وبني سليم(٢) .

السودانيون : وهم من العناصر السكانية التي استوطنت المغرب(٣) لقربها من بلادهم ومجاورتها لها . وهي الممالك الأفريقية الإسلامية المتاخمة لبلاد المغرب .

الروم الصقالبة : وهم الأسارى لدى المسلمين في الأندلس(٤) .

فئات السكان في المغرب الأندلس :

الفئة الحاكمة وأعوانها : فقد حكم المغرب في هذا القرن الموحدون ، وهم من قبيلة المصامدة(٥) ، كما حكم الحفصيون وهم قبيلة هتانة(٦) وبنو مرين ، وقد شاركهم العرب في الحرب وساهموا في شؤون الدولة(٧)، كما شارك السودانيون(٨) والروم والصقالبة في الجيش(٩) .

فئة العلماء والفقهاء وأهل الفكر : وقد تبوأت مكانة رفيعة في المجتمع المغربي ويعود ذلك إلى اعتماد دول المغرب على العلم وأهله في تأسيس دولهم . كما هي الحال مع دولتي المرابطين والموحدين ، ولهذا كان عدد العلماء ينسب إلى قبائل

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٦ ص ٢٧٥ .

(٢) السلاوي : الاستقصاء جـ ٢ ص ٦٧ .

(٣) ابن القطان : حسن بن علي : نظم الجمان ص ١٠٩ – تحقيق : محمود مكي – الرباط ، ١٩٦٤م .

(٤) ابن عذاري المراكشي:أبو العباس أحمد : البيان المغرب جـ ١ ص ١٠٣،١٠٢ ، دار الثقافة – بيروت ١٤٠٠هـ

(٥) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ١٠١ .

(٦) ابن خلدون : المصدر السابق جـ ٦ ص ٢٧٥ .

(٧) السلاوي : الاستقصاء جـ ٢ ص ٦٧ .

(٨) ابن القطان : نظم الجمان ، ص ٢٠٩ .

(٩) ابن عذاري : البيان المغرب جـ ٤ ص ١٠٣،١٠٢ .

البربر(١) ، والتي منها المرابطون والموحدون وساعد هذا الانتساب إلى القرب من السلاطين(٢) وخدمتهم .

أصحاب المهن : كالتجار ، وكانوا على علاقة مع السلطة ويعيشون ظروف البلاد(٣) وتتعرض ممتلكاتهم للنكبات ، إما من السلطان أو من جهات أخرى ، كما حصل سنة ٦٠٧هـ حين احترق جزء كبير من سوق مراكش(٤) .

ومنهم من يعمل بالفلاحة . وقد كان العرب ينصرفون للزراعة حين تحجب عنهم المجالات(٥) ، بالإضافة إلى حرف أخرى متعددة يزاولها الناس لسد حاجاتهم .

عناصر وفئات السكان في اليمن :

أطل القرن السابع الهجري على اليمن وهو يضم عنصرين أساسين من السكان لهما الدور الفاعل في مجريات أموره .

أ - العرب : الذين تتألف منهم قبائل اليمن ، وهم قبائل وعشائر مختلفة ، منها الحاضرة التي تقيم في المدن كصنعاء وجنوب اليمن إلى عدن ، حيث الاستقرار ومظاهر التحضر لتأثرهم بما حولهم ممن يصل إليهم ، وهناك البادية التي تسكن في الجبال ، وتدين بالولاء لزعيم القبيلة ، وقد يفقدون الاستقرار بسبب تنقلاتهم لضعف مواردهم .

وكانت لهم مشاركات في إدارة البلاد فمنهم الكتاب والوزراء والقضاة والأمراء(٦) وكانت لهم مشاركة في إدارة البلاد مع الأيوبيين تصل إلى قيادة الجيش في اليمن(٧)

---

(١) ابن عذاري : المرجع السابق جـ ٤ ص ١٠٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ١٦٥ ،المراكشي : عبدالواحد بن علي : المعجب في ملخص أخبار المغرب ، ص٢ ، القاهرة ١٩٤٩م .

(٣) ابن القطان : نظم الجمان ص ١١٦،١١٧ .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ٤ ص ٢٣ .

(٥) حركات المغرب عبر التاريخ ، ص ٢٨٣ .

(٦) ابن حاتم : بدر الدين السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من العز اليمن ص ٣٧، تحقيق : ركس سمث – لندن ، لوزك ١٩٧٤م .

(٧) ابن حاتم : السمط الغالي ص ٣٧ .

ويعتقد عرب اليمن بمذهب أهل السنة والجماعة ويسيرون على مذهب الإمام الشافعي(١)، وتوجد فئة أخرى تعتقد الزيدية ، وقد كانت تناوئ السلطة المركزية ، وتسعى إلى تأسيس كيان لها مستقل ، ويوجد فرقة إسماعيلية ولكنها ضعفت عما كانت عليه من قبل . وهذا ما أسهم في تنوع التراث الفكر لهم .

ب - الغز : هي لفظه يطلقها أهل اليمن على الأيوبيين وغيرهم من العناصر الغريبة على مجتمعهم ممن جاء في الحملات العسكرية كالترك والأكراد ، وهؤلاء يعملون في خدمة أمراء بني أيوب وأمراء الدولة الرسولية ، سواء أكان ذلك في الجيش أو في وظائف أخرى(٢) ، وأما المماليك فقد زاد عددهم في عهد بني رسول(٣)، وخالطوا الناس وامتلكوا العقار والأراضي ، وكثرت أعدادهم في المدن الرئيسية ، وكثرت هجرتهم إلى اليمن من جنسيات مختلفة(٤) .

عناصر وفئات السكان في الحجاز :

لقد كان لواقع الحجاز المتميز دور في تشكيل سكانه حيث أن كثرة الوافدين إليه قد طبعته بسمة خاصة أثرت عبر العصور التاريخية في تركيبة السكان والتي أصبحت كالآتي :

فئة الأمــراء :

وهم من نسل الأشراف ، وكانت الأمرة بمكة والمدينة ، وما جاورها بأيديهم ، وشكل الصراع والخلاف بينهم على السلطة سمة ظاهرة لهم ، فكثرت نزاعاتهم وحروبهم(٥) .

---

(١) ابن سمرة :عمر بن علي طبقات فقهاء اليمن ، ص ٨٨ ، تحقيق ، فؤاد سيد ط١ القاهرة ١٩٥٧م .

(٢) ابن الديبع : عبدالرحمن بن علي : قرة العيون في أخبار اليمن جـ ، ص ٤٠٦ ، تحقيق : محمد علي الأكوع المكتبة السلفية القاهرة د . ت .

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٨٢ .

(٤) ابن المجاور : محمد بن مسعود : تاريخ المستبصر جـ ١ ص ١٣٠ ، ليدن ١٩٥١م .

(٥) ابن فهد : عبدالعزيز بن نجم الدين اتحاف الورى جـ ٢ ص ٤٦٩،٤٧٠ ، تحقيق : فهيم شلتوت ، مكة ١٤٠٤هـ .

سكان مكة الأصليين :

وهؤلاء من بقايا القبائل الأولى كقريش ، والقبائل الأخرى التي تسكن قرى ومراعي الحجاز كهوازن وثقيف(١) ويعملون بالزراعة ويعتمد عليهم أمراء الحجاز في بعض الأحيان لتثبيت سلطتهم(٢) .

المجاورون والوافدون :

وهو الذين يقدمون إلى مكة والمدينة للحج أو التجارة أو الإقامة بجوار الحرمين فيبقون بالمدينتين المقدستين(٣) ، أو ينتقلون منها لغيرهما ، حسب ما تدعوه حاجتهم وهؤلاء لا يحصرهم جنس واحد بل كافة الأجناس البشرية المسلمة(٤) ، وإن كان يكثر جنس ويقل جنس آخر حسب الظروف ، وقد اختلطوا مع أهل البلاد وتزاوجوا معهم(٥) .

---

(١) الإدريسي : أبو عبدالله محمد : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ٢ ص ١٤٥ ، نابولي ايطاليا د . ت .

(٢) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص ٢٣،٢٢ .

(٣) السليمان حسين : العلاقات الحجازية المصرية ص ٢٨٠ ، القاهرة ١٣٩٧هـ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٩٨ .

(٥) ناصر خسرو : سفر نامه ص ١١٢ ، ترجمة يحيى الخشاب المكتبة العلمية بيروت د . ت ، إبراهيم رفعت مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٠٠ ، القاهرة ١٩٢٥م .

الحياة الفكرية :

على رغم الظروف التي كان يمر بها العالم الإسلامي في هذا القرن والتي منها تعدد القوى الخارجية ، والتي أظهرت عداوتها للأمة المسلمة وسعت ما تستطيع إلى فرض نفوذها وهيمنتها على أراضي المسلمين ، وهم المغول وصليبيوا أوربا ونصارى الأندلس ، والظروف الأخرى مثل تشتت البلاد الإسلامية وغرقها تحت رايات متعددة همها في الغالب استمرار سلطتها أو زيادة رقعة الأرض التي تحكمها فأرهقت هذه الحال العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، واستنزفت طاقاته البشرية ، والمادية نتيجة لكثرة الحروب فيما بينها ، كل هذا لم يضعف من قوة الأمة الذاتية والتي ترى أن مصدر عزها وقوتها في منهجها السماوي الذي بين يديها ، وهو ما سنراه واضحاً جليا في حياة الأمة الفكرية ، فمع تلك الظروف آنفة الذكر ، كان هذا الجانب من حياة الأمة مزدهرا ومضيئا .

فالمدارس تعم أرجاء العالم الإسلامي ، وينفق عليها بسخاء عبر جهود فردية وجماعية ، ويهب العلماء أنفسهم في التدريس للناشئين وحلق الذكر والتعليم في المساجد والنتاج الفكري المكتوب يضم كافة العلوم المختلفة .

ودور العلماء يفرض نفسه في بعض الأحيان وعلى قدر الاستطاعة في توجيه القرار الذي يؤثر في مصير الأمة .

وهي بهذا أدركت سوء واقعها فسعت إلى تغييره ولكنها وهي تتلمس الطريق الذي سينقذها مما هي فيه واجهت صعوبات متعددة كان من أهمها وجود الانحراف العقدي لدى فئة منها ، وهو نتاج عصور مختلفة ساهم ذلك في التأثير السلبي على سلامة طريقها الذي ترى فيها خلاصها .

كما أنه في بعض الأحيان استنزف طاقاتها للوقوف أمام تقدمه في حياتها ، بل أن بعض القادة السياسيين قد التبس عليه الأمر ، فرأى أن خير وسيلة لمقاومة التيار المضاد استخدام تيار آخر ، وهذا ما حمل بني أيوب على دعم التصوف بصوره المتعددة طمعاً في رد ظاهرة التشيع .

ومكمن الخطأ أنه في النصف الثاني من القرن السابع قد أصبح التصوف مسلكاً فكرياً منحرفاً يعضده المسلك السلوكي .

فرأى أنصار هذا التوجه سلامته في نقل الأمة إلى واقع أحسن مما هي فيه ، وكان من الوسائل والتي بدا أنها سلكت لإحياء الأمة وبعث الأمل فيها عرض سيرة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) أمام الناس بطرق شتى حتى تترسم الأمة طريقها من خلال هذه السيرة .

فجاء هذا العرض متعدداً ومختلفاً ، كل يرى أن الملائم ما قدمه .

وربما يتكرر الجهد بسبب ضعف التنسيق بين مفكري الأمة ، لكون هذا العمل مبادرات فردية أو جماعية مصغرة .

وهذا لا ينقص من قيمة الجهد ، لكن الذي ينقص هو التأثير بما يطرحه أصحاب المعتقدات الأخرى ، مما يؤثر على سلامة المنهج .

وكما كان لأهل السنة جهود في ذلك فإن أصحاب الاتجاهات الأخرى كالشيعة والصوفية وأهل الكلام كانت لهم آراؤهم وفق مناهجهم التي يسيرون عليها مما صرف جهداً من الأمة في رد تلك التصورات الخاطئة ، وبيان الحق الذي يجب أن يتبع .

التعليم :

حظي التعليم في هذا القرن بعناية كبيرة سواء أكان ذلك من القوى السياسية الحاكمة في ذلك الوقت أو من أغنياء المسلمين الذين ساهموا في هذه النهضة العلمية أو رجالات الدولة ذوي الثراء ، وذلك ببناء المدرس والقيام على رعايتها وخدمتها . ومن هذه المدارس :

المدرسة الصلاحية : في دمشق للشافعية ودرس فيها عبدالرحمن ابن عساكر توفي سنة ٦٢٠هـ وقد تنافس بنو أيوب في تقديم الخدمات لها(١) .

المدرسة السفينية بجامع دمشق : وهي مدرسة خاصة بالحنفية ودرس بها عبدالرحمن بن محمد بن عساكر(٢) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٠١ ، عبدالقادر النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس جـ١ ص ٣٣١ ، تحقيق : جعفر الحسني ، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة د . ت .

(٢) ابن كثير : المصدر السابق جـ ١٣ ص ١٠١ ، عبدالقادر النعيمي : المصدر السابق جـ ١ ص ٥٢٩ .

المدرسة الفاضلية بدمشق : وبناها القاضي(١) الفاضل سنة ٥٨٠هـ ووقفت على المالكية والشافعية ، وفتح الإمام الشاطبي جزءاً منها لتعليم القرآن الكريم(٢) .

دار الحديث الكاملية : نسبة إلى الكامل الأيوبي توفي سنة ٦٣٥هـ، وفتحت سنة ٦٢١هـ بالقاهرة وقد ولي الإشراف عليها ابن دحية الكلبي ثم خلفه عليها أخوه عثمان ، كما وليها . عمر بن دحية ت ٦٦٧هـ(٣) .

دار الحديث النورية : وبناها نور الدين محمود توفي سنة٥٦٩هـ بدمشق وهي أول مدرسة للحديث ، وتولى مشيختها علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ٦٢٠هـ ثم وليها بهاء الدين النابلسي ت ٦٦٣هـ كما وليها جمال الدين الصابوني ٦٨٠هـ(٤) .

المدرسة المستنصرية : وقد كمل بناؤها سنة ٦٣١هـ ولم يكن مدرسة مثلها في بغداد وقد جعل فيها دار حديث ، وهيء سكن لطلابها فيها ، وممن درس فيها عبدالرحمن بن مقبل الواسطي ت ٦٤٩هـ(٥) .

دار الحديث الأشرفية : وتم إنشاؤها سنة ٦٣٠هـ بدمشق وقف الأشرف موسى ابن العادل الأيوبي وأملى بها الشيخ تقي الدين بن الصلاح الحديث ت ٦٤٣هـ كما تولى مشيختها أبو شامة توفي سنة ٦٦٥هـ(٦) .

---

(١) وهو عبدالرحمن بن علي بن الحسن العسقلاني صاحب فصاحة وبلاغة وتوفي سنة ٥٢٩هـ النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ط ١ ص ٩٠ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٤٦،٢٥٥ .

(٣) ابن كثير : المصدر السابق جـ ١٣ ص ١٤٦،٢٥٥ .

(٤) النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس جـ ٩٩،١٠٤،١٠٦،١١٠.

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٥٩ .

(٦) النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس جـ ١ ص ١٩ .

المدرسة الشرابية (نسبة إلى إقبال الشرابي ت ٦٥٣هـ[١] :وتقع في سوق العجم ببغداد وفتحت سنة ٦٢٨هـ ، وكان بها عدد من الفقهاء ، ولها جراية يومية لمنسوبيها[٢] .

المدرسة الشرفية : وتقع بجبلة في اليمن ، وقد تولاها يحيى بن عثمان بن يحيى المليكي ت ٦٧٨هـ وكان يصرف على طلاب العلم من كد يده[٣] .

ومن مظاهر الاهتمام بالتعليم في هذا القرن العناية بالكتب والمكتبات ، فقد عني بالمكتبات الخاصة والعامة ، ومن ذلك مكتبة أسرة بني الفرس في الأندلس ، وتم التوارث لهذه المكتبة منذ سنة ٥٦٧هـ حتى وصلت إلى أحد أحفادهم ويدعى عبدالرحمن بن عبدالمنعم المتوفى ٦٦٣هـ، وكانت مليئة بالكتب من مختلف الفنون ولكنها انتهت بهجوم النصارى على الأندلس[٤] .

ومن صور العناية بالكتب والمكتبات في هذا القرن :

قيام يعقوب[٥] بن عبدالله ت ٦٢٣هـ ، بوقف كتباً كانت في جامع دمشق بلغ عددها ٧٦١ مجلداً على ولده من بعده ثم غيره من العلماء[٦] .

وفي حلب خزانة كتب الشرفية بجامع حلب وتحتوي على الكثير من الكتب في مختلف التخصصات[٧] .

---

(١) هو شرف الدين أبو الفضائل إقبال شرابي ، أحد قادة الخليفة المستعصم في مقاومة المغول عرف عنه بناؤه للمدارس والربط والوقف عليها ، (ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص ٧٦،٩٨،٩٩، ١٠٩) .

(٢) النعيمي : ط١ ص ١٥٩ ، ابن العماد الحنبلي شذرات الذهب جـ ٥ ص ١٤٣ ، دار إحياء التراث ، بيروت ، وعبدالله الحسين الرحيم ، الخدمات العامة ببغداد ص ٣٢ ، نشر دار الشؤون الثقافية بغداد (١٩٨٧م) .

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلوية جـ ١ ص ١٨٩ .

(٤) أبو الحسن النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ص ١٣ ، المكتب التجاري - بيروت .

(٥) هو نجيب الدين متولي الشيخ تاج الدين الكندي وله أدب وشعر توفي سنة ٦٢٣هـ (ابن كثير جـ ١٣ ص ١١٦ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية جـ جـ ١٣ ص ١١٦ .

(٧) محمد كرد علي : خطط الشام جـ ٦ ص ١٨٦ مطبعة المدني دمشق ١٣٤٧هـ .

وفي حماة جمع الأمير نور الدين محمد بن عمر بـن شاهنشـاه صـاحب حمـاة مـن الكتب ما لا نظير له لكثرته ، وكانت مكان اجتماع للفقهاء والأدباء والنحاة(١) .

وكانت بالموصل المدرسة البدرية وقد احتوت على نفائس من الكتب والمصنفـات التي أوقفت على طلبة العلم(٢) .

وفـي بغـداد وقـف الخليفـه العباسـي المسـتنصر باللـه المتوفـى ٦٤٠هـ كتبـاً فـي المدرسة المستنصرية(٣) .

هذه أمثلة فقط على كثرة المدارس والمكتبات التي عمـت العـالم الإسـلامي آنـذاك في مشرقه ومغربه وخاصة أقاليم العراق والشام ومصر والحجاز .

وأما التعليم في الأندلس فكان غالب ما ذكرته المصادر فـي المسـاجد ، ولـم تشـر إلى مدارس نظامية على غرار المشرق(٤)

---

(١) محمد كرد : خطط الشام جـ ٦ ص ١٩٣ .

(٢) محمد كرد : خطط الشام جـ ٦ ص ١٩٣ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٥٩ .

(٤) العريني : الحياة العلمية في الأندلس ص ١٢٢ .

ولم يكن النشاط العلمي خاصاً بأهل السنة بل كان لأصحاب الاتجاهات الأخرى أنشطة خاصة بهم ، فقد هيمن على العالم الإسلامي قبل القرن السابع الهجري قوى سياسية شيعية مكنت للمعتقد الشيعي الانتشار على الساحة الإسلامية وتمثل ذلك في قوى البويهين . في بغداد والعبيديين في مصر(١) .

وبعد أن زالت هذه القوى بقي أنصار هذا المعتقد في البلاد الإسلامية ينافحون عنه وينشرونه بين الناس ، ويقدمون الحلول لمشاكلهم وفق تصوراتهم ، وينظرون إلى بدء تاريخ الأمة بمنظارهم الخاص .

ولهذا وجدت مراكز فكرية في البلاد الإسلامية في هذا القرن للشيعة تحافظ على هذا المعتقد وتنميه بين الناس ، ووجد لهم مصنفات في كافة المعارف الإسلامية في إطار معتقداتهم ، وسنعرض الأمثلة من ذلك .

مدرسة شرف الدين إقبال الشرابي : والتي أنشأها شرق واسط ، ودرس فيها عماد الدين ذي النقار ت ٦٤٨هـ(٢) .

منشأة نصير الدين الطوسي : وقد نقل إليها كتباً كثيرة من أوقاف بغداد ، وجعل فيها دار حكمة للفلاسفة ودار طب ، ومدرسة للفقهاء ودار حديث(٣) .

وفي اليمن حيث التشيع يضرب أطنابه منذ القدم ، وجد مراكز تعليمية فيه ، ومنها مدرسة هجرة سناع ، وتقع في ضواحي صنعاء الجنوبية – وممن قام بالتدريس فيها عالم الزيدية جعفر بن عبدالسلام ت ٥٧٣هـ(٤) .

كان للتصوف الغالي وجود في العالم الإسلامي قبل القرن السابع ، ولهذا وجدوا أعلام منه في هذا القرن ، ساهموا في تأصيل مبادئه ونشرها بين الناس ، وذلك من

---

(١) الاسفرائيني : عبدالقادر البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٧٨ ، تحقيق محيي الدين عبدالحميد ، نشر دار المعرفة – بيروت ، ابن الأثير الكامل جـ ٢ ص ٥٤٢،٥٤٣،٥٤٩ .

(٢) أغازبرك الطهراني : طبقات أعلام الشيعة في القرن السابع ص ١٢٢ ، نشر دار الكتاب – بيروت ١٣٩٢هـ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢١٥ .

(٤) محمد عسيري : الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي ص ٣١٩ ط ١ جدة ١٤١٥هـ .

خلال المصنفات التي يؤلفونها أو الدروس التي يقيمونها – من أشهرهم ابن عربي وابن سبعين ، وغيرهم .

وهؤلاء وغيرهم حرفوا التصوف عن معناه السلوكي إلى معنى فكري منحرف ، وكان القرن السابع مناخاً مناسباً للتصوف فاستغل أصحاب هذا الإنحراف هذا المناخ لتحقيق مآربهم .

والسبب الذي وفر هذا المناخ هو رغبة السلطة الأيوبية استغلال التصوف لرد تيار الشيعة الذي ورثه المجتمع الإسلامي عن العبيديين ومن قبلهم وزراء الخلافة العباسية آل بويه وغيرهم ، فأنشأت مراكز الصوفية المختلفة من المدارس والزوايا والأربطة مما يسر لهذا التوجه بالظهور على الساحة ، وذلك بكثرة أصحابه وإنتاجه الفكري . وكانت السيرة النبوية مرتعاً خصباً لهم ، في غالب أحوالهم لتفسير أحداثها وفق مرادهم .

وكان للصوفية مراكز تعليمية خاصة بهم بل أن طريقتها في التعليم كانت وفق المنهج الصوفي . ولهذا وجدت لها مسميات خاصة بها هي الزوايا والأربطة ، وهي أماكن إقامة لمشايخهم الذين ينهلون مما عندهم فيبقى الشيخ في هذه الزاوية فيتردد عليه أتباعهم فيعلمهم العلم الذي لديه كما يرون حالته الخاصة فيحاكونه بها .

ومن زوايا الصوفية :

زاوية ابن منظور : وتقع خارج القاهرة – وهي لجمال الدين محمد بن أحمد بن منظور الشافعي الصوفي ت ٦٩٦هـ له أتباع ومريدون . كانوا يفدون عليه بزاويته وعنده معرفة بالحديث(١) .

زاوية نصر : تقع خارج القاهرة ، وقد أنشأها نصر بن سليمان أبو الفتح الصوفي ت ٧١٩هـ وكان فقيهاً فيتردد عليه الناس وأعيان الدولة ، فيحدثهم فيها . ويغالي في محبة ابن عربي ، ولهذا جرت بينه وابن تيمية خصومات(٢) ، وهذه من مظاهر العناية بالتصوف الفكري الغالي .

---

(١) المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جـ ١ ص ٣٤١ . دار صادر – بيروت ، د . ت .

(٢) المقريزي : المواعظ والآثار جـ ٢ ص ٤٣٢ .

زاوية الجبري : وتقع في القاهرة وتنسب إلى برهان الدين بن معضاد بن شداد الجبري ت ٦٨٧هـ ، وكان يجلس فيها فيجتمع عليه الناس فيعظهم ويذكرهم ويروي الحديث ، وكان أصحابه يبالغون في اعتقاده ويغالون في أمره(١) .

كما أن هناك أماكن تعليمية للصوفية هي الأربطة التي يرد المتصوفة إليها للإقامة ويتعلمون من مشايخ تلك الأربطة ومنها في هذا القرن :

رباط دار الروم : ويقع في الجانب الشرقي من بغداد ، وقد افتتحه الخليفة العباسي المستنصر (ت ٦٢٣-٦٤٠هـ) وكان ذلك عام ٦٢٦هـ وجعل مشيخته لنصر بن عبدالرزاق الكيلاني(٢) ت ٦٣٣هـ وأقام فيه جمع من الصوفية(٣) .

الرباط التكريتي : ويقع في دمشق بالقرب من جبل قاسيون ، وبناه وجيه الدين محمد بن علي التكريتي ت ٦٧٠هـ وكان رجل ذا مال وله علاقه بالسلاطين في ذلك الوقت ، وقد دفن برباطه(٤) .

رباط الشرابي في مكة : ويقع تحت منارة بني شيبة وبجانب الخدمات التي يقدمها هذا الرباط لمرتاديه فهو مركز علم للصوفية في مكة فقد فتح مكتبة تضم فنون العلم المختلفة وأصبحت وقفاً فيه(٥) .

رباط الشيخ أبي الغيث بن جميل : ويقع بعدن باليمن ، وقد تولاه الشيخ فيروز ت ٦٧١هـ وقد خَلَفَ شيخه بهذا الرباط فقام بجهد كبير فيه(٦) .

وهنا يلاحظ أن مراكز الصوفية لم تقتصر على بلد معين بل شملت كافة أقطار العالم الإسلامي مما يوحي نماء هذا الفكر وانتشاره بين الناس ، ونلاحظ تبنيهم لمذاهب أهل السنة الفقهية المشهورة ، الشافعية ، والحنفية ، والمالكية والحنبلية .

---

(١) المقريزي : المواعظ والاعتبار جـ٢ ص ٤٣٤ .

(٢) هو نصر بن عبدالرزاق الجيلي الحنبلي ، ولي القضاء مدة يسيرة وعرف عنه النزاهة والورع (الذهبي : العبر ٣ ص ٢١٨ .

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥١١ . ابن القوطي : الحوادث الجامعة ص٢ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٢ . النعيمي : الدارس جـ ٢ ص ١٩٣ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين جـ ١ ص ٣٢٥،٣٢٤ شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣٠ .

(٦) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ١٦٤ .

وحين ظهرت في نهاية هذا القرن الدولة العثمانية التي اتسمت بالسمة الصوفية اتخذت المذهب الحنفي من مذاهب أهل السنة واعتنت بمذاهب أهل السنة الأخرى .

المصنفات في هذا القرن :

شمل التصنيف في هذا القرن العلوم المختلفة ، وبرز عدد من العلماء الذين صنفوا في فنون الشريعة المتعددة والعلوم الأخرى مما يدل على سمو الواقع العلمي الذي ظهر في هذا القرن مع ظروفه السياسية والتي فقدت الاستقرار في غالب أحوالها مما يعطي دلاله واضحة لمستوى مصنفي هذا القرن ، وقدرتهم على تحمل الصعاب التي كانت تواجههم ، واستطاعوا تجاوز تلك الظروف بمظهر يوحي بعدم الاستكانة للوضع العام ، بل والوقوف أمام العوائق ورسم الطريق الواضح للأمة ، والذي يجب عليها السير عليه لتصل في نهايته إلى تجاوز الحالة التي تعيشها ، وهذا لا يعني وقف التصنيف على أهل السنة ؛ بل نجد أن لأصحاب الاتجاهات المختلفة نشاط في هذا الجانب وفق معتقداتهم وتصوراتهم ، ومن مصنفات أهل السنة في العلوم المختلفة :

علم القرآن وتفسيره :

وممن كتب في هذا المجال محمد بن أبي القاسم بن تيمية الحراني ت ٦٢٢هـ وكان عالماً واعظاً ، جمع تفسيره عدة مجلدات(١) ، والإمام القرطبي وقد سمى كتابه في التفسير أحكام القرآن(٢) .

كما صنف علي بن محمد السخاوي ت ٦٤٣هـ كتابه في التفسير ، الذي وصل فيه إلى سورة الكهف ، كما صنف محمد بن يوسف بن عمران ت ٦٥٥هـ تفسيراً للقرآن(٣) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٠٩ .

(٢) القرطبي : محمد بن أحمد : الجامع لأحكام القرآن ، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض . د . ت .

(٣) السيوطي : جلال الدين : طبقات المفسرين ص ٢٦ . مكتبة وهبه القاهرة ١٣٩٦هـ .

مصنفات علوم السنة :

وكما ازدهرت علوم الشريعة فإن علم الرواية والدراية لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم كان له نصيب من هذا الإزدهار ، فقد صنف عدد من العلماء في هذا المجال :

فعبد الرحيم بن نصر الله الواسطي ت ٦٢٣هـ كان أحد المعدلين ببغداد(١) .

وكتب الحافظ محمد بن عبدالغني البغدادي ت ٦٢٩هـ كتابه التعليل في تراجم رواة الكتب والمشاهير من المحدثين(٢) .

كما اختصر الحافظ زكي الدين المنذري ت ٦٥٦هـ صحيح مسلم وسنن أبي داود(٣) ، وشرح أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ت ٦٥٦هـ صحيح مسلم وسماه المفهم ، كما اختصر الصحيحين(٤) ، وشرح الإمام النووي صحيح الإمام مسلم .

وممن كتب في علوم السنة ابن رشيد المغربي ت ٧٢١هـ ، وذلك في كتابه الذي سطره من خلال رحلته إلى المشرق وسماه ((ملء العيبه في ما جمع بطول الغيبة في الوجهة إلى الحرمين مكة وطيبة)) ، وقد عرض فيها ما ساق من الأحاديث بأسانيدها الطويلة(٥) .

علم الفقه وأصوله :

وقد نال هذا العلم قسطه من العناية في هذا القرن فبرز عدد من العلماء الذين صنفوا فيه ومنهم :

عثمان بن عيسى بن درباس ت ٦٢٢هـ وله شرح اللمع في أصول الفقه وكان بارعاً عالماً(٦) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١١٠ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٣ ص ١٣٣ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ١٣ ص ٢١٢ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢١٣ .

(٥) ابن رشيد : محمد بن عمر : ملء العيبه بما جمع بطول الغيبة في الوجهة إلى الحرمين مكة وطيبة ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه – نشر الدار التونسية للنشر ١٤٠١هـ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١١٠ .

وعبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة ت ٦٢٠هـ وله كتاب المغني والمقنع في الفقه والروضة في أصول الفقه[١] .

وصنف علي بن إبراهيم العطار ت ٧٢٣هـ أحكام شرح عمدة الأحكام وحكم الأحكام عند غلاء الأسعار ورسالة في أحكام الموتى وغير ذلك[٢] .

وممن صنف في هذا الفن ناصر الدين بن عبدالله الشيرازي عالم أذربيجان وتلك النواحي ت ٦٨٥هـ ، من مصنفاته المنهاج في أصول الفقه والغاية القصوى في دراية الفتوى وشرح المنتخب والكافية وغيرها[٣] .

علوم اللغة العربية :

وقد حظيت في هذا القرن بمكانة مرموقة ، ولا عجب فهي آلة العلم الشرعي وشعار تتميز به الأمة المسلمة عن غيرها من الأمم الأخرى ، لا سيما في هذا القرن الذي لقيت فيها الأمة المسلمة تحدياً كبيراً من قبل أعدائها استهدف دينها وثقافتها .

فممن كتب في علم اللغة : يحيى بن معطي بن عبدالنور ت ٦٢٨هـ حيث له الألفية في النحو ، وغيرها من المصنفات الأخرى في هذا المجال[٤] .

كما شرح علم الدين أبو القاسم بن أحمد اللغوي النحوي ت ٦٦١هـ الشاطبية شرحاً مختصراً ، وشرح المفصل في عدة مجلدات ، وشرح الجزرية[٥] .

كما صنف الشيخ جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك النحوي ، ت ٦٧٢هـ ، الكافية الشافية ، وشرحها ، والتسهيل وشرحه ، وكذا الألفية التي عرفت بألفية بن مالك في النحو ، وشرحها ولده بدر[٦] .

---

[١] ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٠٠ .

[٢] ابن حجر الدرر الكامنة جـ ٣ ص ٥ ، تحقيق : محمد سيد،مطبعة المدني – القاهرة ١٩٦٦م

[٣] ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٩ .

[٤] ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٢٩ .

[٥] ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٤١ .

[٦] ابن كثير : المصدر السابق جـ ١٣ ص ٢٦٧ ، ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٢١٨ .

السير والتراجم والتاريخ :

صنف عدد من العلماء في هذا الجانب الذي يعتبر رافداً من روافد علوم الشريعة فقد صنف أبو عبدالله بن عمر بن حمويه ت ٦٤٢هـ كتاباً في ثماني مجلدات ذكر فيه أصول السياسة الملوكية صنفها للكامل محمد الأيوبي(١) .

كما كتب يوسف بن الأمير حسَام الدين سبط بن الجوزي ت ٦٥٤هـ كتابة مرآة الزمان في عشرين مجلداً(٢) .

وصنف ابن العديم ت ٦٦٠هـ كتابه تاريخ حلب(٣) .

وصنف الشيعة في هذا الجانب وفق تصوراتهم العقدية ، ومن ذلك سعد الدين بن نجم الدين بن الحسن بن علي الطبري ت ٦٧٣هـ ، فقد كتب مصنفه الذي سماه تفضيل القرابة على الصحابة(٤) .

وكتب عبدالعزيز بن المبارك الجنابذي ت ٦٢٤هـ كتابه ، معالم العترة النبوية العلية ومعارف أهل البيت الفاطمية العلوية(٥) .

ومن المصنفات ما خصه أصحابه في بيان نحلهم فقد كان للصوفية والشيعة إسهام في هذا الجانب ، ومن ذلك ما كتبه الصوفي محمد بن المؤيد بن أبي الحسن الحموي من مصنفات اقتصرها على بيان مصطلحات التصوف ومنها بحر المعاني ، وحقائق الحروف وسفينة الإبرار وسفينة الصالحين ومحبوب المحبين(٦) .

كما كتب عدد من شيعة هذا القرن مصنفات عنيت في بيان التشيع وشرح كتبه ومعانيه ومن ذلك ما قام به ميثم بن علي بن ميثم ت ٦٩٩هـ في شرحه لنهج البلاغة وشرحه لكتاب النجاة يوم القيامة في الإمامة . وشرح الاشارات(٧) ، كما صنف

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٦٥ .

(٢) ابن كثير : المصدر السابق جـ ٣ ص ١٩٤ .

(٣) أبو شامة : الذيل على الروضتين جـ ٢ ص ٢١٧ .

(٤) أغابزرك الطهراني : طبقات أعلام الشيعة في القرن السابع ص ٧٣ ، دار الكتاب العربي ١٩٧٢م .

(٥) أغابزرك الطهراني : طبقات أعلام الشيعة في القرن السابع ص ٩٠ .

(٦) أغابزرك الطهراني : طبقات أعلام الشيعة في القرن السابع ص ١٧٦ ،١٧٧ .

(٧) أغابزرك الطهراني : طبقات أعلام الشيعة في القرن السابع ص ١٨٧ .

يحيى بن محمد بن ظافر بن علي الكائي ت ٦٣٠هـ كتاب فضائل الأئمة في أربع مجلدات وخلاصة الخلاص في آداب الخواص بعشر مجلدات(١) ، وهذا يعطي دلالة على تنامي هذه المعتقدات في المجتمع الإسلامي في القرن السابع والذي له الأثر في وجود اتجاهات مختلفة لكتابة السيرة النبوية .

السيرة النبوية :

لقد نالت سيرة النبي ﷺ في هذا القرن مكانة خاصة ويلاحظ ذلك من كثرة المصنفات فيها حيث تزيد على ١٤٠ مصنفاً ، وكتب فيها أهل العقائد فنجد لأهل السنة مصنفاتهم فيها ، كما لغيرهم من الشيعة والصوفية وأهل الكلام وفق رؤيتهم الخاصة(٢) .

---

(١) أغابزرك الطهراني : طبقات أعلام الشيعة في القرن السابع ص ٢٠٥ .

(٢) لقد أفرد الباب الثالث ، لطرق كتابة السيرة النبوية في هذا القرن ، فليراجع .

الفصل الأول

" أثر العقيدة على كتابة السيرة "

المبحث الأول

أثر عقيدة الشيعة .

تعريف التشيع ونشأته

عرض لفرق الشيعة

منهجهم في تلقي القرآن والسنة

نموذج من كتاب الشيعة في هذا القرن (الأربيلي) .

أثر التشيع على كتابة السيرة في هذا القرن

- استخدام حوادث السيرة للكذب على الصحابة والنيل منهم
- استخدام حوادث السيرة في فرض امامة علي رضي الله عنه بعد الرسول صلى الله عليه وسلم .
- استخدام حوادث السيرة للطعن في خلافة أبي بكر رضي الله عنه .
- استخدام حوادث السيرة في الرد على مخالفيهم
- الوضع والافتراء في حوادث السيرة .

تعريف التشيع :

الشيعة لغة الأتباع والأنصار (وشيعة الرجل بكسر الشين أشياعه وأنصاره) وأصل الشيعة الفرقة من الناس[١].

وقال الشهرستاني في تعريفه لهم :

" الشيعة هم الذين شايعوا عليا على الخصوص ، وقالوا بامامته وخلافته ، نصا ووصية اما جليا أو خفيا ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده ، وان خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده " [٢].

وقال ابن حزم في تعريفه للشيعة :

" من وافق الشيعة في أن عليا أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحقهم بالخلافة والإمامة ، وولده من بعده ، فهو شيعي ، وان خالفهم فيما عدا ذلك بما اختلف فيه المسلمون ، فان خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا " [٣].

وقد اختلفت[٤] الآراء حول نشأة التشيع ، ولكن معظم كتاب الفرق يرون أن

---

(١) ابن منظور : محمد بن مكرم : لسان العرب ج٤ ص ٢٣٧٧ دار المعارف : بيروت د . ت ، الفيروز أبادي : محمد بن يعقوب : دار الاصفهاني بيروت – القاموس المحيط ج٣ ص ٤٩ . دار صادر ، بيروت د . ت .

(٢) الشهرستاني : محمد بن عبدالكريم : الملل والنحل ج١ ص ١٤٦ .دار المعرفة بيروت ١٤٠٢هـ .

(٣) ابن حزم : علي بن أحمد الفصل في الملل والأهواء والنحل ج٢ ص ١١٣ .

(٤) ومما قيل فيه : أن التشيع بدأ مع الإسلام من حين وجد ، فنمت بذرته مع نمو الدين في تجمعاته الأولى ، ورعى هذا التوجه الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويستدل أصحاب هذا الرأي بالأحاديث التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم تعنى بعلي رضي الله عنه وتميزه بمنزلة خاصة تؤهله للخلافة من بعده . محمد الحسين الكاشف – أصل الشيعة وأصولها ص ٥٣ ، ٥٤ . المطبعة العربية . القاهرة ط ١٠ د . ت .

ومنهم من يرى أن ظهور التشيع ، بدأ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، حين تعددت المواقف حول من يخلفه ، فكان للأنصار رأيهم ، وللمهاجرين رأيهم وأنهم الأحق بالخلافة من غيرهم بها . ويرى رهط من الصحابة أمثال عمار بن ياسر ، والمقداد بن الأسود ، وأبي ذر ، وسلمان الفارسي والعباس بن عبدالمطلب مع رهط من بني هاشم أن عليا أحق =

التشيع بدأ منذ ظهرت الفتنة في عهد عثمان رضي الله عنه(١) .

= بالخلافة ، فتلك نواة التشيع. اليعقوبي : أحمد بن يعقوب تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ١٢٤ . دار صادر بيروت . د. ت .

ويذهب آخرون بأن الأحداث التي تلاحقت آخر خلافة عثمان رضي الله عنه كانت نذير خروج فكرة التشيع والتي قادها عبدالله بن سبأ . وقد بلغت درجة الغلو حينما ألهت علي رضي الله عنه ، فما كان منه إلا أن أقدم على حرقهم بالنار ، وفي ذلك يقول :

" لما رأيت الأمر أمرا منكرا ، أججت نارا ودعوت قنبرا " .

وقد ركز عبدالله بن سبأ لعدد من أفكار الشيعة في خلافة علي رضي الله عنه ومن ذلك ، القول بوصية الرسول صلى الله عليه وسلم بالإمامة ، والقول برجعة علي بعد موته ، وبرجعة الرسول صلى الله عليه وسلم . وأخذ ابن سبأ يطوف أرجاء العالم الإسلامي لينشر تلك المعتقدات . الشهرستاني – الملل والنحل ج١ ص ١٧٤ . العودة – عبدالله بن سبأ ودوره في أحداث الفتن في صدر الإسلام من ص ٩٣ إلى ٩٦ . نشر مكتبة طيبة الرياض . د ت .

وقد رد عدد من كتاب الشيعة المحدثين هذا الرأي ، وأشاعوا عدم حقيقة عبدالله بن سبأ ، وأنه اختلاق من خصومهم ، ومن قال بهذا العسكري ومحمد جواد ومحمد الحسن آل كاشف الغطاء ، وعبدالله الفياض . عرض بهذه الآراء الدكتور / سعدي الهاشمي في كتاب ابن سبأ حقيقة لا خيال ص ١٦-٢٤ مكتبه الدار المدينة المنورة ١٤١٦هـ .

لكن الحقيقة التاريخية تؤكد صحة وجوده ، ودوره الفاعل في إثارة الفتنة بين المسلمين ، وأنه جزء من مخطط يهودي لإيجاد مشكلات عقائدية وفكرية في أوساط المسلمين . د / جميل المصري – الإسلام في مواجهة الحركات الفكرية ص ١٠٣ دار أم القرى عمان ١٤١هـ سعدي الهاشم – ابن سبأ حقيقة لا خيال ص ٧٦ .

كما أن هناك من يذهب إلى أن التشيع بدأ بعد حادثة التحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وأن نواته شكلتها حالة الحرب التي قامت بينهما في معركة صفين ، وهي رد فعل للخوارج الذين ذهبوا إلى أن الإمامة غير واجبة ، فرد الشيعة بأن الإمامة واجبة بالنص لآل البيت . احسان الهي . الشيعة والتشيع ص ٢٥ ، لاهور ١٤٠٤هـ .

لكن الروايات التاريخية التي نقلت حادثة التحكيم لا تعطي صورة للتشيع المقصود ، فقد أشارت تلك الروايات إلى شيعة علي ، وشيعة معاوية أيضا ، مما يدل على أنه مصطلح عام لا يعنى به الشيعة على وجه الخصوص . الطبري : محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك ج٥ ص ٥٣ ، ٥٤ . تحقيق : محمد أبو فيصل إبراهيم ، القاهرة ط ٤ د . ت .

(١) ابن حزم – الفصل في الملل ج٢ ص ٦٥ ، الشهرستاني – الملل والنحل ج١ ص ٢٩٠ .

ونتيجة للتدرج الذي مر بـه التشيع من اتفـاق علـى مصطلحـه العـام ، ومرورا بالتكتل الذي أصبح سمة لازمة لأصحابه يحقق غايتهم وهدفهم ، ثم ما تبع ذلك فيما بعد من سعي إلى تأسيس فكري وعقدي ، جعل الشيعة تنحرف بمناهجها ومعتقداتها عن أهل السنة .

وقد بدأ هذا التوجه بالنظر إلى الصحابـة رضـوان الله عليهـم ، فيرى البعض الأولوية لكل من أبي بكر وعمر رضـي اللـه عنهمـا ، ثم يقدم عليـا علـى عثمـان رضي الله عنهما .

ومنهم من يرى أهلية علي للولاية بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنها جـاءت بـالنص ، ولكنهـم يعتـبرون ولايـة أبـي بكـر وعمـر ، وأنهمـا أحـق النـاس بـالرأي والمشورة .

وقد ظهر مع غلـو الشـيعة فـي الخليفـة علـي رضـي اللـه عنـه وتأليهـه ، شيوع المعتقد الشيعي بين النـاس مقعداً ، فظهـرت مصنفـاتهم فـي كتـب تعنـى بالإمامـة ، والرد على من قال بامامة المفضول ، والوصية والرد على من أنكرها (١).

وقد تعددت فرق الشيعة تعددا كبيرا ، وانقسمت كل فرقـة إلـى فـرق أصغـر ، فمنها :

– **الغلاة** : وهم الذين غلو في حق أئمتهم ، حتى أخرجوهم مـن الاطـار البشـري إلى مرتبة الألوهية ، فمنهم من شبه الأئمة بالأله ، ومنهم من شبه الأله بالمخلوقين ومن هؤلاء :

– السبئية : أصحاب عبدالله بن سبأ ، الـذي قـال لعلـي رضـي اللـه عنـه : أنت أنت. يعني الإله .

– الخطابية : أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب ، وهم يقولون ينبغي أن يكون في كل وقت إمام ناطق وآخر صـامت ففـي عهد مـن رسـول اللـه ، أحدهمـا ناطق هو النبي صلى الله عليه وسلم ، والآخر صامت هو علي رضي اللـه عنـه . ثم بعده أصبح علي ناطق .

---

(١) ابـن النديـم – الفهرست ص ٢٦٧ ، ٢٦٤ ، أحمـد جلـى – دراسـة عـن الفـرق وتـاريخ المسلمين ص ١٦٢ . نشر مركز الملك فيصل : الرياض ١٤٠٨هـ .

- البيانية : أصحاب بيان[١] بن سمعان التميمي ، وزعم بأنه نبي ، وأنه المشار اليه في قوله تعالى : ﴿ **هذا بيان للناس** ﴾[٢] .

- **المفوضة** : ويقولون أن الله فوض أمر تدبير الخلق إلى الأئمة ، وأنه لم يخلق شيئا بل هم الخالقون .

- **المغيرية** : أصحاب المغيرة[٣] بن سعيد العجلي ، غلا في حق علي رضي الله عنه غلوا لا يعتقده عاقل . قال أن جعفر بن محمد اوصى الله اليه بالإمامة بعده إلى خروج المهدي ، ثم ادعى النبوة وزعم أنه يحيي الموتى [٤].

وأما فرق الشيعة الرئيسية فمنهم :

- **الكيسانية** : وينسبون إلى كيسان مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وقيل إلى محمد بن الحنفية .

ويقولون عن محمد بن الحنفية[٥] : " أنه مات وسيرجع " .

ومنهم من قال : " أنه لم يمت ، بل هو حي بجبل رضوى ، وعنده عينان يجريان بماء وعسل ، وعن يمينه أسد ، وعن يساره نمر ، يحفظانه من أعدائه وقت خروجه " .

---

(١) بيان بن سمعان : دجال ظهر في العراق في أوائل القرن الثاني الهجري ، ادعى النبوة فقتله خالد بن عبدالله القسري (الأسفرائني . الفرق بين الفرق ص ٤) .

(٢) سورة آل عمران آية ١٣٨ .

(٣) المغيرة بن سعيد : كان ساحرا كذابا ، قتله خالد بن عبدالله القسري . الفرق بين الفرق ص ٢٣٨ ، ٢٤٢ . دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٠هـ .

(٤) الشهرستاني – الملل والنحل ج١ ص ١٨٠ .

(٥) محمد بن الحنفية : هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب ، توفي عن سبعين عاما سنة ٨١هـ . وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان ، ودفن في البقيع . (ابن سعد – الطبقات ج٥ ص ١١٦ ، دار صادر – بيروت ، الذهبي – العبر ج١ ص ٦٨ . دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـ) .

ومن الكيسانية الفرقة التي قادها المختار[١] بن عبيد الثقفي[٢] .

- **الإمامية** : فرقة ينضوي تحتها عدد كبير من فرقهم ، وسموا امامية لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية لهم ، ودارت حولها معظم عقائدهم .

وقد وقعوا في الصحابة وطعنوا بهم وكفروهم .

ولم تستقر الإمامة عندهم بعد الحسن والحسين وعلي بن الحسين ، بل كثرت اختلافاتهم ، حتى قيل أنهم بلغوا نيفا وسبعين فرقة . ومن فرقهم الاثنا عشرية والاسماعيلية والموسوية والشمطية [٣].

- **الزيدية** : أتباع زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وجعلوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها ، ويرون امامة المفضول مع وجود الفاضل ، ولكن الزيدية مالت عن ذلك فيما بعد ، وطعنت في الصحابة ، وهي ثلاث طوائف ، جارودية وسليمانية وتبرية[٤].

---

[١] المختار الثقفي : قتله مصعب بن الزبير سنة ٦٧هـ ، وكان كذابا . الذهبي : العبر ج١ ص ٥٥ .

[٢] الأسفرائيني - الفرق بين الفرق ص ٣٨ ، الشهرستاني - الملل والنحل ج١ ص ١٤٧.

[٣] الشهرستاني - الملل والنحل ج١ ص ٦٢ - ١٧٣ ، الاسفرائيني - الفرق بين الفرق ص ٥١ - ٧٢ .

[٤] الشهرستاني - الملل والنحل ج١ ص ١٠٤ - ١٥٧ .

منهج الشيعة في تلقي القرآن والسنة :

للشيعة منهج خاص يتلقون به القرآن الكريم ، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي نأى بهم عن جماعة المسلمين ، لأنه يصعب الاتفاق معهم ، والخلاف على أصول .

وقد تمثل ذلك المنهج بدعوى بعضهم أن القرآن الكريم قد شابه التحريف ، ويردون هذا التحريف إلى أعدائهم ،الذين سعوا إلى حذف الآيات والسور التي تعنى بفضائل آل البيت ، وتدعو إلى أتباعهم والبعد عن مخالفتهم ، ولهذا فقد اختلقوا النصوص التي تؤكد هذا المنهج في التعامل مع القرآن الكريم ، فمنها (ما رواه الكليني عن محمد بن الحسن ، إلى أن قال عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال:

" ما يستطيع أحد يدعي أن عنده جميع القرآن كله، ظاهره وباطنه غير الأوصياء ") (١).

وهذا الأمرعندهم صريح ، باعتبار أن قرآن الشيعة محفوظ لديهم ، وأن له ظاهر وباطن ، ولا يمكن أن يحوزه غير الأوصياء .

وتتوالى الآثار التي عندهم لتؤكد أن قرآنهم يختلف عن أهل السنة ، فيروون عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال :

" نزل القرآن أربعة أرباع ، ربع فينا ، وربع في عدونا ، وربع سنن وأمثال ، وربع فرائض وأحكام " (٢).

ولهذا الأثر دلالته على خاصية قرآنهم المزعوم واختلافهم فيه عن المسلمين ، فقد قسموه إلى أربعة أرباع وفق مقتضى فكرهم ومنهجهم .

ومما يزيد الأمر وضوحا بشأن استقلال الشيعة بنظرتهم للقرآن الكريم دون غيرهم من المسلمين ، ما ورد عندهم عن (علي بن الحكم عن هشام عن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : " إن القرآن الذي جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم سبعة عشر ألف آية ") .

---

(١) عبدالله المظفر – شرح أصول الكافي ج٣ ص ١٧٩_ النجف ١٣٧٨هـ .

(٢) عبدالله المظفر – شرح أصول الكافي ج٣ ص ١٧٩ .

والمعروف أن القرآن ستة الآف ومائتان وثلاث وستون آية ، فيكون ذهب ثلثا القرآن ولم يبق إلا الثلث منه [١].

وزعمهم هذا حتى تتاح لهم الفرصة للاضافة والتعديل والتبديل حسب ما يمليه عليهم معتقدهم وأهواؤهم .

ومما يلبسون به على أتباعهم اختلاق الأكاذيب ، واحاطتها بما يفيد صحتها ، فقد أورد الكليني ما رواه عن علي بن محمد عن بعض أصحابه عن أحمد بن محمد عن أبي نصر قال :

" دفع إلى أبو الحسن عليه السلام مصحفا ، وقال لا تنظر فيه ، ففتحته وقرأت فيه ، لم يكن الذين كفروا ، فوجدت فيها اسم سبعين رجلا من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم . قال : فبعث الي ، ابعث الي بالمصحف " [٢].

أما فيما يخص تلقيهم لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم :

فمن المعروف أن السنة في الاصطلاح : هي قول الرسول أو فعله أو تقريره[٣].

وعند الشيعة وبالذات الإمامية ، لما ثبت لديهم أن المعصوم من أهل البيت يجري قوله مجري قول النبي ، من كونه حجة على العباد ، واجب الاتباع ، فأصبحت السنة عندهم ما يشمل قول كل واحد من المعصومين أو فعله أو تقريره . والأئمة عندهم هم المعصومون من الله تعالى على لسان النبي ، لتبليغ الأحكام الواقعية ، اما من طريق الوحي ، أو بالتلقي من المعصوم قبله [٤].

ولهذا يقولون : " ذروا الناس ، فان الناس أخذوا عن الناس ، وأنتم أخذتم عن رسول الله " [٥].

---

(١) إحسان إلهي – الشيعة والقرآن ص ٣١ ، ترجمان السنة لاهور ١٤٠٤هـ .

(٢) عبدالله بن المظفر – شرح أصول الكافي ج٧ ص ٢٢٣ .

(٣) محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ص ١٦ – القاهرة – ١٣٩١هـ .

(٤) علي السالوس – أثر الإمامة في الفقه الجعفري ص ٢٧٤ _ الدوحة ١٤٠٥هـ .

(٥) موسى جارالله – الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ص ٤٦ مكتبه الخانجي القاهرة .

وبسبب هذا أصبحت أخبار الشيعة موضوعة المتن ملفقة الرواية .

وقد اشتهر هذا الوضع زمن الدولة الأموية والعباسية ، وكان شائعا للدعاية السياسية .

وسعى أعداء الإسلام من اليهود والمجوس جهدهم في ذلك بعد أن تظاهر بعضهم بالاسلام .

ووضع الشيعة ، أحاديث الفضائل للنكاية بخصومهم ، ثم انتقلت من ذكر الفضائل إلى تعداد المعايب ، فوضعت أحاديث تطعن فيها بكبار الصحابة رضوان الله عليهم [١].

ورواة الأخبار من الشيعة يتلقون كل ما زعموا أنه ورد عن أئمتهم ، بالقبول .

ولم يوضع مصطلح الحديث الذي يوافق أصولهم الاعتقادية إلا في أوائل القرن الثامن الهجري [٢].

ومما سبق يتضح أن الشيعة تتلقى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم بمنهج خاص ، وتضيف اليها أقوال أئمتهم المعصومين حسب زعمهم مما يساعد على بعدهم عن السنة الحقيقية ، ويؤلف عندهم ركام من الكذب والافتراء .

---

(١) موسى جارالله – الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ص ٤٠ .

(٢) علي السالوس – أثر الإمامة في الفق الجعفري ص ٢٧٦ .

نموذج من كتاب الشيعة في هذا القرن :

هو علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي ، ولد في أربيل في العراق ، ونزل في بغداد ، وعمل مسؤولا عن الكتب لوالي أربيل قبل نزوحه إلى بغداد ، والتي عمل فيها في ديوان الانشاء حتى وفاته سنة ٦٩٣هـ .

شيوخه :

أخذ عن علي بن طاووس المتوفى سنة ٦٦٤هـ ، وأخذ عن تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب ، الشهير بابن الساعي البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤هـ . وقال أنه روى عنه كتاب معالم العترة النبوية العليه ، تأليف عبدالعزيز بن الأخضر الجنادي ، توفي سنة ٦١١هـ . وأخذ عن أبي عبدالله الكتمي المتوفى سنة ٦٥٧هـ، وقال أنه قرأ عليه كتابين ، كتاب الطالب في مناقب علي بن أبي طالب ، والبيان في أخبار صاحب الزمان [(١)].

وجاء كتاب كشف الغمة في معرفة الأئمة مشتملا على موضوعات مختلفة تخص السيرة النبوية ، وسيرة علي بن أبي طالب . تحدث فيه عن أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، وصفاته ، ومولده ، وذكر نسبه ، ومدة حياته ، ومعجزاته ، وأفرد حديثا عن فضل بني هاشم .

ثم تحدث عن بعض غزواته صلى الله عليه وسلم ، وجعلها تحت عنوان شجاعة علي عليه السلام ، ومن خلالها كذب على صحابة رسول الله ، وطعن في عدالتهم

ومن الغزوات التي تحدث عنها غزوة بدر ، وأحد ، وحنين ، والخندق ، وبني النضير ، وغزوة بني قريظة ، وبني المصطلق ، وخيبر ، وفتح مكة ، وتبوك . كما خصص حديثا عن أقوال النبي صلى الله عليه وسلم ، وأحداث حصلت لعلي رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي ما تفيد أنه الوارث للنبي وأنه أمير المؤمنين ، حيث كان ينادي بها في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويعلمها جميع الصحابة .

كما تحدث عن زواج علي بفاطمة رضي الله عنهما .

---

(١) الأربيلي – كشف الغمة ص ب ، ج ، هـ ص ١٠٩ – ١٣٥ . مكتبه بني هاشم تبريز ١٣٨١هـ ق .

ومن خلال تلك الأحداث يؤول النصوص ، ويحرفها عن معانيها ، ويزيد فيها ، وينقص ، بما يخدم معتقده وهواه . فجاء كتابه في السيرة بمنهج خاص ، متشبع بالتشيع ، بعيدا عن الواقعية في تناول الأحداث وتحليلها ، ومن خلال العرض عن أثر التشيع على كتابة السيرة سنستعرض بعض ما كتبه في ذلك .

أثر التشيع على كتابة السيرة :

من خلال تلك الركائز والمعتقدات التي رأينا أن الشيعة تعتمدها في حياتها ، جاء تناولهم لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم منبثقاعن تلك المعتقدات والركائز ، فاستخدمت السيرة عندهم لتأصيل تلك الثوابت عند أتباعهم ، وذلك من خلال استخدامهم لأحداث ونصوص السيرة النبوية .

وسأعرض لاستخدامهم السيرة وفق الأسس التالية التي ينسبونها إلى معتقدهم وهي:

١- استخدام حوادث السيرة للكذب على الصحابة والنيل منهم .

٢- استخدام حوادث السيرة في فرض امامة علي رضي الله عنه بعد الرسول صلى الله عليه وسلم .

٣- استخدام حوادث السيرة للطعن في خلافة أبي بكر رضي الله عنه .

٤- استخدام حوادث السيرة في الرد على مخالفيهم .

٥- الوضع والافتراء في حوادث السيرة .

استخدام حوادث السيرة للكذب على الصحابة والنيل منهم :

ينظر الشيعة إلى الصحابة رضوان الله عليهم نظرة دونية ، بسبب ما يعتقدونه سلبهم الخلافة من علي رضي الله عنه إلى غيره من الخلفاء الراشدين .

ولم يقف الأمرعند هذا الحد ، بل وصل الأمر بهم إلى رميهم بالكفر والنفاق ، واستثني من ذلك أفراد قلة من الصحابة .

وقد وجد الشيعة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مبتغاهم ، فاستلموا أحداث السيرة وحرفوها وبدلوها حتى يتحقق هدفهم في ذلك ، ولهذا جاءت موضوعات السيرة التي تناولها الشيعة بعيدة عن الصحة والواقعية ، متعمدا فيها التحريف والتبديل .

ومن ذلك ما جاء في كتبهم عن غزوة ذات السلاسل :

يقول الأربيلي : " ثم كانت غزوة ذات السلسلة .

جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : أن قوما من العرب قد اجتمعوا بوادي الرمل ، يريدون أن يبيتوك في المدينة .

فأمربالصلاة جامعة ، فاجتمعوا وعرفهم ، وقال : من لهم ؟! ، فانتدب جماعة من أهل الصفة عدتهم ثمانون منهم ومن غيرهم .

فاستدعى أبا بكر وقال له : خذ اللواء وامض إلى بني سليم فانهم قريب من الحرة .

فمضى ومعه القوم حتى قارب أرضهم ، وكانت كثيرة الحجارة والشجر ، وهم بالوادي والمنحدر اليهم صعب ، فلما صار أبو بكر إلى الوادي أراد الانحدار ، خرجوا اليهم ، فهزموه ، وقتلوا من المسلمين جمعا ، ثم رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وعقد لعمر لواء وسيره اليهم ، فكمنوا له تحت الحجارة والشجر ، فلما ذهب ليهبط خرجوا اليه فهزموه .

فساء ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمرو بن العاص : ابعثني اليهم يا رسول الله ، فان الحرب خدعة ، ولعلي أخدعهم .

فأنفذه مع جماعة ووصاه ، فلما صار إلى الوادي خرجوا اليه فهزموه ، وقتلوامن أصحابه جماعة .

ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما يدعو عليهم ، ثم دعا أمير المؤمنين فعقد له ، ثم قال : أرسلته كرارا غير فرار ، ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إن كنت تعلم أني رسولك فاحفظني فيه ، وأفعل به ، وافعل . فدعا له ما شاءه .

وخرج علي عليه السلام ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيعه ، وبلغ معه مسجد الأحزاب ، فشيعه ودعا له ، وأنفذ معه أبا بكر وعمرو بن العاص.

فسار بهم نحو العراق متنكبا عن الطريق ، حتى ظنوا أنه يريد بهم غير ذلك الوجه ، ثم أخذ بهم على طريق غامضة واستقبل الوادي من فمه ، وكان يسير الليل ويكمن النهار ، فلما قرب من الوادي أمر أصحابه أن يخفوا حسهم ، ووقفهم مكانا، وأقام أمامهم ناصبة منهم .

ورأى عمرو بن العاص خديعة فلم يشك أن الفتح يكون له ، فأراد افساد الحال، وخوف أبا بكر وعمر من وحوش الوادي وذئابه ، وأن المصلحة أن تعلو الوادي.

فكلما عليا عليه السلام في ذلك ، فلم يجبهما ، فقال عمر: لا نضيع أنفسنا ، انطلقوا بنا نعلو الوادي . فقال المسلمون : إن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا ألا نخالف عليا ، فكيف نخالفه ونسمع قولك . فما زالوا حتى أحس علي الفجر ، فكبس القوم وهم غافلون فأمكن الله منهم[1] ، ونزلت :

﴿ **والعاديات ضبحا فالموريات قدحا** ﴾[2] ، إلى آخرها " .

وقد جاءت هذه الغزوة في كتب السيرة النبوية باسم غزوة السلاسل ، والسلاسل مياه واحدها سلسل . وقال الأربيلي عن هذه الغزوة ما لم تذكره أي من مصادر السيرة .

بل الذي جاء فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاص يستنفر به العرب إلى الشام ، ولأن أم العاص من قبيلة بلي ، بعثه رسول الله صلى الله

---

(١) كشف الغمة ج١ ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٢) سورة العاديات آية ٢،١ .

عليه وسلم يستألفهم لذلك ، حتى اذا كان على ماء بأرض جذام - يقال له السلس - خاف ، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده ، فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة عامر بن الجراح في المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر ، وعمر رضي الله عنهما . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي عبيدة : " لا تختلفا " .

وحين وصل المدد ، صلى بالناس عمرو بن العاص [١]، وحين منع عمرو بن العاص من ايقاد النار واللحاق بالجيش ، اعترض عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ذلك ، فرد عليه أبو بكر بقوله : " دعه ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعثه علينا إلا لعلمه بالحرب " . فسكت عنه .

وهنا يتضح أن دعوى الأربيلي بأن النبي صلى الله عليه وسلم ، بعث أبا بكر وعمر [٢] ، وعمرو بن العاص ، وكلهم يمنون بالهزيمة ، كذب محض ، حيث أن كتب السيرة لا تشير إلى شيء من قبيل هذا على الاطلاق ، كما أنه لم يعلم عن أبي بكر وعمر وعمرو بن العاص إلا القدرة على القيادة والكفاءة فيها .

أما علي رضي الله عنه ، فلم يرد له ذكر على الاطلاق في هذه الغزوة عند أهل السير .

وما قيل عن سعي عمرو بن العاص ، وموافقة كل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهم لافساد الحال ، فاننا نسمو بالمسلم أن يسره هزيمة اخوانه المسلمين ، وكيف والأمر يتعلق بكبار الصحابة .

ولا شك أن هذا التصوير الذي أورده الأربيلي ، لا يعدو أن يكون صورة من صور الوضع والتحريف لوقائع السيرة النبوية ، وذلك لتحقيق مآربهم في النيل من

---

(١) البخاري : محمد بن إسماعيل صحيح الإمام البخاري ج٥ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ابن هشام : عبدالملك : السيرة النبوية ج٤ ص ٦٢٣ ، ٦٢٥ ،مؤسسة علوم القرآن دمشق ؛ السهيلي : عبدالرحمن بن أبي الحسن : الروض الأنف ج٤ ص ٢٥٢. دار الفكر بيروت ١٤٠٩هـ

(٢) ابن حجر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٨ ص ٧٥ - نشر دار الأفتاء بالرياض . د . ت .

صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بل الذي جاء في هذه الغزوة أن عمرو بن العاص أتاه ، فقال له : " من أحب الناس " . فرد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : " عائشة " . يقول عمرو : " قلت فمن الرجال " . قال : " أبوها " . قلت : " ثم من " . قال : " عمر " ، وعد رجالا ، فسكت مخافة أن يجعلني آخرهم [١].

أما سورة العاديات فاختلف في زمن نزولها ، فقد قال ابن مسعود وعكرمة أنها مكية ، وقال ابن عباس أنها مدنية . والعاديات قيل الخيل العادية في سبيل الله ، وقيل الابل تعود من عرفة إلى مزدلفة ، وهذا خلاف ما زعمته الشيعة عنها [٢].

ومن ما أورده الشيعة من أحداث السيرة للنيل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ما نسب في غزوة أحد إلى عبدالله بن مسعود قال :

" انهزم الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يبق معه إلا علي وأبو دجانة ، وسهل .

وقال ابن مسعود انهزم الناس إلا علي وحده ، وثاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر كان أولهم عاصم بن ثابت ، وأبو دجانة ، وسهل بن حنيف ، ولحقهم طلحة بن عبيدالله ، فقلت له فأين أبو بكر وعمر " . قال : كانا فيمن تنحى فقلت : فأين كان عثمان ؟! . قال : جاء بعد ثلاثة من الواقعة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد ذهبت فيها عريضة " [٣].

وما ورد في كتب السيرة يختلف عن رواية الشيعة لهذه الغزوة .

فالذي ورد أنه لما كر المشركون على المسلمين بعد أن نزل الرماة من الجبل ، حيث جاؤهم من الخلف ، فصرخ صارخ أن محمدا قد قتل ، فانكشف المسلمون

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص ٢٠٩ .

(٢) البغوي : الحسن بن مسعود معالم التنزيل ج٤ ص٦١٣ ، دار المعرفة : بيروت ١٤١٣هـ
ابن تيمية : أحمد بن عبدالحليم : منهاج السنة ج٥ ص ١١٧ . نشر جامعة الإمام بالرياض ١٤٠٦هـ .

(٣) الأربيلي – كشف الغمة في معرفة الأئمة ص ١٩٣ .

بين قتيل وجريح ، حتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكسرت رباعيته وشج رأسه ،وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول :

" كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ".

ثم قام سبعة من الأنصارفيهم زياد بن السكن ، فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قتلوا الواحد بعد الآخر ، وبقي زياد ، فجاءه المسلمون فردوا عنه المشركين [١].

كما ترس أبو دجانة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتل مصعب بن عمير حتى قتل ، فلما أن عرف كعب بن مالك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نادى بأعلى صوته :

" يا معشر المسلمين ، أبشروا فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

فنهضوا وفيهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير وسعد والحارث بن الصمة.

ومما جاء عند كتاب السيرة من الشيعة حول هذه الغزوة أيضا قولهم :

" أنه في يوم أحد لما انهزم المسلمون أجمع ، وسقط رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرح ساقه وكسرت رباعيته ، جعل المنافقون يومئذ ، وفيهم أبو بكر وعمر يقولون : قتل محمد . ويقول بعضهم لبعض : أين ماوعدنا من الفتح ؟! " .

وثبت علي بن أبي طالب يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " أنج بنفسك يا أبا الحسن إن شئت " . فقال : " أكفر بعد ايمان يا رسول الله ؟! " . فقال : " اذا كان لا بد من ذلك ، فالكتيبة الغيلة قادمة ، فتقدم اليها " .

فقام من مكانه ، فقتل رأسها ، وهزمها . ثم أقبلت أخرى ، ففعل فيها كما فعل في الأولى ، ولم يزل كذلك دأبه حتى قتل ثلاثة وسبعين رئيسا ، وهزم ثلاثة وسبعين كتيبة ، فنودي بالملأ الأعلى من ملائكة السماء : لا فتى إلا علي ، ولا

---

(١) مسلم بن الحجاج : صحيح الإمام مسلم ج٣ ص ١٤١٥ ، إعداد محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الحديث ، القاهرة ١٤١٢هـ .

سيف إلا ذو الفقار [١]. وهكذا يسعى أصحاب هذه النحلة إلى الكذب ، باستغلال أحداث سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وصياغتها وفق معتقدهم ومرادهم ، للنيل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى وصل الأمر إلى وصف صاحبيه أبي بكر وعمر بالنفاق ، وكذب عليهم بالتشكيك في صدق ايمانهم به .

فليست هذه أول نازلة تصيب المسلمين حتى يشكك في مصداقية الرسالة صاحبيه فقد لقيا مع المسلمين في مكة أشد العنت والمعاناة ، وهاجر الجميع إلى المدينة ، ومع هذا كان ايمانهم وتصديقهم لا يصل اليه أحد ، وأحداث الغزوة تذكر أنه لا أبو بكر ولا عمر ولا علي دافعوا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بل كانوا مشغولين بقتال آخرين كما سبق ، وأنهم لما سمعوا نبأ وجود الرسول صلى الله عليه وسلم هبوا جميعا لنصرته . وأما قولهم أن عثمان رضي الله عنه جاء بعد ثلاثة أيام لإمعانه في الهروب ، فكذب عليه [٢]. وأما فراره مع الناس يوم أحد فقد عفا عنه الله[٣] بقوله تعالى :

﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم ﴾ [٤] .

ومن الأحداث التي استخدموها للنيل من الصحابة غزوة حنين .

وفي ذلك يقول الأربيلي : " ثم كانت غزوة حنين ، فاستظهر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله بكثرة الجمع ، فخرج ومعه عشرة الآف من المسلمين ، فظن أكثرهم أن لن يغلبوا لما شاهدوا من كثرة جمعهم وعددهم وعدتهم ، وأعجب أبا بكر الكثرة يومئذ ، فقال : لن نغلب اليوم من قلة .

---

(١) ابن الوليد : علي بن محمد : دامغ الباطل وحتف المناضل ج٢ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ . مؤسسة عز الدين – بيروت ١٤٠٣هـ .

(٢) ابن تيمية – منهاج السنة ج٨ ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ .

(٣) صحيح الإمام البخاري ج٥ ص ١٣٦ ، ابن حجر – فتح الباري ج٧ ص ٥٩ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٥٥ .

فكان الأمر بخلاف ما ظنوه ، ولما فهم أبو بكر . فلما التقوا لم يلبثوا وأنهزموا بأجمعهم ، ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا تسعة من بني هاشم ، وعاشرهم أيمن بن أم أيمن ، وقتل رحمه الله ، وثبت التسعة الهاشميون ، ورجعوا بعد ذلك وتلاحقوا ، وكانت الكرة لهم على المشركين ، فأنزل الله في اعجاب أبي بكر بالكثرة :

﴿ **ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين** ﴾ [١]، يريد عليا عليه السلام ومن ثبت معه من بني هاشم أمير المؤمنين وثمانية [٢].

ونقف عند ما أورده الأربيلي في عرضه لهذه الغزوة ، وبدأ ذلك بدعواه أن قائل كلمة : " لن نغلب اليوم من قلة " ، هو أبو بكر ، فالأمر يحتاج إلى اثبات حيث المصادر لم تحدد قائل هذه الكلمة .

أما ما زعمه بأن أبا بكر وعمر لم يكونا مع النبي صلى الله عليه وسلم لما فر الناس في حنين ، فهي مغالطة كبيرة ، فالمصادر تختلف في ايراد جملة العدد الذي بقي مع النبي صلى الله عليه وسلم وآله ، فحيث يرى البعض أن العدد تجاوز المائة يرى آخرون أن عدد من ثبت اثني عشر ، وذكر من بينهم كل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما [٣].

أما قوله أن " عين أبي بكر أصابتهم "، فلا شك أن المقصود هو النيل من هذا الرجل العظيم والذي لم يسجل تاريخه في ظل الإسلام إلا النصرة والمنعة للدين

---

(١) سورة التوبة ، الأيتان : ٢٥،٢٦ .

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة ج١ ص ٢٢١ .

(٣) ابن حجر – فتح الباري ج٨ ص ٣٠ ، النووي : يحيى بن شرف شرح صحيح الإمام مسلم ج١٢ ص ١١٥ دار الفكر – ابن هشام – السيرة النبوية ج٤ ص ٤٤٢ ، المغربي : الحسن بن علي شرح سيرة ابن هشام ج٢ ص ٨٨٨ ، ٨٨٩ _ تحقيق سهيل زكار _ دار الفكر _ ١٤١٠هـ .

وأهله ، ونجد أن هذا النص قد شمل عدداً كبيراً مـن الصحابـة الذيـن شـاركوا فـي هذه الغزوة برميهم بالفرار من المعركة ، والغرور بكثرة العدد .

استخدام حوادث السيرة في فرض امامة علي رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ادعى الشيعة وصاية النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب بالخلافةمن بعده على المسلمين ، مستشهدين على ذلك بأحداث من السيرة النبوية أولوها لهذا الأمر ، وأحاديث كذبوها على النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن.

ومن ذلك ما ورد عند علي بن موسى بن طاووس في كتابه " كشف المحجة لثمرة المهجة " ، وهي وصايةلابنه حيث قال :

" إن كمال نبوة جدك محمد صلى الله عليه وسلم ، وآله أرحم العباد ، وشفقته على أمته إلى آخر أيام النفاد ، يقتضي أن يكون نظره الشريف صلوات الله عليه في الهداية والدلالة لمن قرب وبعد عنه ، أيام رسالته على حد واحد ، وهذا ما يصح إلا بمن يقوم مقامه كل زمان على نحو وصفه الكامل بالعصمة في السراء والضراء ، والسر والاعلان " [١].

وللجواب على ما ذكر نقول أن نظرة النبي صلى الله عليه وسلم في الهداية والدلالة لمن قرب منه أو بعد عنه على درجة واحدة ، فكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم باقيان للأمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وهذا ما أرشد اليه النبي صلى الله عليه وسلم أمته بقوله :

" وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله "[٢].

أما دعوى ضرورة وجود من هو على صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى تقوم الرسالة ، فهذا أمر لا يمكن تحقيقه ، إلا باصطفاء من الله ، حتى تتحقق فيه صفة النبوة ، وهذا يعني عجز الرسالة عن استمرارها إلا بوجود من هو بمواصفات صاحب الرسالة .

لكن اعتماد منهاج للرسالة يسير عليه أتباعها ، يعني خلودها واستمرارها ،

---

(١) كشف المحجة ثمرة المهجة ص ٣١ .المطبعة الحيدرية – النجف ١٣٧٠هـ .

(٢) مسلم : صحيح الإمام مسلم جـ٢ ص ٨٩٠ ، وعند مالك ابن أنس (وتركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه) صلى الله عليه وسلم الموطأ جـ٢ ص ٧٠ . تحقيق . بشار عواد ومحمد خليل ، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٢هـ .

وحمل الناس لها في جميع العصور ، مع الاختلاف في قوة الحمل بين وقت وآخر حسب التزام حامليها لها .

ثم كيف تتحقق خاصية هذه الرسالة بعمومها للناس جميعا ، اذا كان لابد بمن هو على صفة حاملها ، حتى يسوس الناس بها ، لتعذر وجوده ، ومناقضته لختم النبوة.

وقد طبق الإمام ابن تيمية رحمه الله دعوى الشيعة هذه على واقعهم مع علي رضي الله عنه . فقال " ولازم دعواهم : أن الله يخلق من على تلك الصفة ليقوم بالأمر أو أن الناس لا يبايعون إلا من تكون له العصمة .

فالأول لم يتحقق ، وغاية قول الشيعة : أن عليا رضي الله عنه كان بهذه الصفة ، ومع ذلك فقد كان كما يقولون ، عاجزا مقهورا مظلوما زمن الخلفاء الثلاثة ، فلما بويع قتله جنده ، وبهذا يكون التأييد لمن سبقه .

أما اذا كان الأمر الثاني ، وهو مبايعة المعصوم ، فهذا لم يتحقق لا من الله ، ولا من الناس ، لأي من معصوميكم ، ومصالح الناس لا تتحقق إلا بتأييد المعصوم وحيث لم يتم ذلك ، فلا فائدة بدعوى العصمة لامامكم " (١).

ثم إن الحاجة للامام لتنفيذ الأحكام ، ودرء المفاسد ، وحفظ بيضة الإسلام ، فلا حاجة في ذلك إلى العصمة ، بل الاجتهاد والعدالة كافيان لتنفيذ ذلك .

ثم إن ذلك المعصوم لا يكفي إلا لمكان واحد ، ولا بد لكل مكان وال يقوم به ، ويتمتع بالعصمة ، وحيث يتعذر ذلك ، فلا يلتفت إلى هذه الدعوى (٢).

ثم إن المعصوم في معتقدهم قد غاب فمن يدير أحوال الناس ، وهذا يوحي بتناقض دعواهم في العصمة للامام .

ومما قال ابن طاووس أيضا في وصيته لابنه :

" ومنها أن جدك محمد صلوات الله وسلامه عليه وآله كان ما يخرج في غزوة إلا ويجعل في المدينة نائبا عنه ، مدة الغزاة القصيرة في حياته ، فكيف يقبل العقل أنه ترك الأمة مهملة من نائب ينص عليه ؟! ، والمدة طويلة خطرة كثيرة بعد وفاته ".

---

(١) ابن تيمية – منهاج السنة ج٦ ص ٣٩٤،٣٩٥ .

(٢) شاه عبدالعزيز – مختصر التحفة الاثني عشرية ص ١٣٦ . بنارس بالهند .

وللجواب على ما ذكر ابن طاووس باستشهاده بتأمير الرسول صلى الله عليه وسلم على المدينة أثناء خروجه منها نقول :

أن هذا التعيين كان لازما ، حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان هو المرجع للأمة ، وقد خرج من المدينة ، فمن يقضي حاجات الناس ؟ ، فلا بد من تعيين من يخلفه حتى يرجع ، وهو تعيين مؤقت يفرضه الواقع للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره ، ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرعلى البلدان خارج المدينة مما يعني ضرورة وجود من يقضي حاجات الناس مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لبعده عنهم أناب غيره في ادارة شؤونهم .

واتخاذ تأمير النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة أثناء خروجه منها دليلا على ضرورة تعيينه لمن يخلفه بعد موته قياس مع الفارق ، فالأولى حالة خاصة تجري للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره . أما الثانية فانها منهاج كامل للأمة جاءت النصوص الشرعية بتحديد معالمه وبيانه للأمة ، وبوب مصنفوا كتب[1] السنة أبوابا لهذا الموضوع ، عرفت بباب الأمارة . ولبداهة الأمر عند الصحابة رضوان الله عليهم بادروا فور وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بتعيين أمير عليهم ، واستشهدوا في سقيفة بني ساعدة أثناء حوارهم بنصوص من السنة كانت مشعلا أنار لهم الطريق في الخروج مما هم فيه .

وقد قال الإمام ابن تيمية في معرض رده على الشيعة : " أن النبي صلى الله عليه وسلم يولي ويعزل ، كما فعل بسعد بن عبادة يوم الفتح ، حين عزله وولى مكانه ابنه قيسا ، فاذا ولى النبي صلى الله عليه وسلم أحداً بعد مماته واحتاج إلى عزل ، فهل الخير للأمة عزله أو تولية أحد من قبلها وعزله اذا دعت الحاجة ؟!

ثم انه صلى الله عليه وسلم يرشد ولاته وينكر عليهم كما فعل مع خالد بن الوليد حين قتل بني جذيمة ، وكما فعل مع معاذ بن جبل حين أطال بالناس الصلاة، فاذا استخلف أحد بعد وفاته وهو لا يمكنه القيام بعمله ، كان ترك الاستخلاف خيرا من الاستخلاف " (٢).

---

(١) أنظر : صحيح مسلم ج٣ ص ١٤٥١ على سبيل المثال .

(٢) ابن تيمية – منهاج السنة ج٧ ص ٣٤٢ – ٣٥٠ .

ومما قالوه في امامة علي رضي الله عنه :

أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حاصر بني النضير ، ضرب قبته في أقصى بني حطمة ، فرماه رجل من بني النضير في الليل بسهم فأصاب القبة ، فأمر عليه السلام ، فحولت قبته إلى السفح ، وأحاط به المهاجرون والأنصار ، فلما اختلط الظلام فقدوا عليا ، فعرفوه ذلك ، فقال : " أراه في بعض ما يصلح شأنكم".

فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمى القبة ، واسمه عزوراء ، فطرحه بين يدي رسول الله . فقال : " كيف علمت به" ؟! . فقال: " يا رسول الله لقد رأيته شجاعا ، فقلت ما أجرأه أن يخرج ليلا يطلب غرة ، فكمنت له ، فأقبل مصلتا سيفه، ومعه تسعة من اليهود ، فشددت عليه فقتلته ، وأفلت أصحابه ، ولم يبرحوا قريبا ، فابعث معي نفرا ، فاني أرجو أن أظفر بهم " .

فبعث عشرة ، منهم أبو دجانة ، وسهل بن حنيف ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحصن ، فقتلوهم جميعا ، وجاؤا برؤوسهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمر بطرحها في بعض الآبار .

وكان ذلك سبب فتح حصونهم .

وفي تلك الليلة قتل كعب بن الأشرف ، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أموال بني النضير ، فكانت أول صافية قسمها بين المهاجرين والأنصار ، وأمر عليا فحاز ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآله منها فجعله صدقة ، وكان في يده في أيام حياته ، ثم في يد أمير المؤمنين عليه السلام بعده ، وهو في يد ولد فاطمة عليها السلام حتى اليوم [١].

وفي هذه الرواية ، التي جاءت عند الشيعة حول غزوة بني النضير صورة مما يسعون اليه في ابراز مكانة علي رضي الله عنه ، فقد جاء فيها قيامه من دون معرفة أحد ، إلا رسول الله وقتل اليهودي الذي رمى قبة النبي صلى الله عليه وسلم بسهم .

---

(١) الأربيلي – كشف الغمة ج١ص ٢٠١ .

ومصادر السيرة النبوية لم تذكر شيئا مما ذكره الأربيلي ، بل تتفق جميعا أن بني النضير لما حوصروا وقطع النبي صلى الله عليه وسلم نخيلهم ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم ، ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم على أن لهم ما حملت مراكبهم عدا الحلقة (١) - أي السلاح - .

أما قوله : " وقتل في هذه الليلة كعب بن الأشرف " ، فهو مما يبين الخطأ الظاهر عنده في ترتيب أحداث السيرة النبوية ، فقد كان مقتل كعب بن الأشرف في السنة الثالثة من الهجرة ، في ربيع الأول ، في حادثة معروفة ، وردت في مصادر السيرة المختلفة . أما غزوة بني النضير فكانت في السنة الرابعة من الهجرة في ربيع الأول منها ، وهذا يدل على أن بين الحادثتين قرابة عام كامل (٢). فلا علاقة لمقتل كعب بن الأشرف في غزوة بني النضير .

أما فيما يخص الغنائم فلم توزع كما قال الأربيلي . بل الوارد أن الأرض أعطيت للمهاجرين، حتى يكتفوا بها ، وأعطي ثلاثة من الأنصار منها ، ونزل فيها قوله تعالى : ﴿ **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى** ﴾(٣) -الآية .

---

(١) البخاري - صحيح البخاري ج٤ ص ١١٣ ، مسلم - صحيح مسلم ج٣ ص ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، أبو داود : سليمان بن الأشعث - السنن ج٣ ص ٤٠٤ ، ٤٠٧ ، المكتبة العصرية - بيروت ، ابن هشام ج٣ ص ١٩٠ ، ٢٣٠ ، ابن حجر - فتح الباري ج٧ ص ٣٣١ .

(٢) البخاري - صحيح البخاري ج٤ ص ١١٥ ، ١١٦ ، ابن هشام - السيرة النبوية ج٣ ص ٥١ - ٥٦ ، ابن القيم : محمد بن أبي بكر - زاد المعاد ج٣ ص ١٩١ ، ١٩٢ ، صفي الرحمن المباركفوري - الرحيق المختوم ص ٢٤٣ ، ٢٩٧ ، الوفاء للطباعة والنشر - المنصورة بمصر . د . ت .

(٣) سورة الحشر الآية ٧ .

أما دعوى أن عليا رضي الله عنه أخذ نصيب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانتقال ذلك إلى بنيه فيما بعد ، فلم يقل فيه إلا الشيعة (١).

ومما يستدل به الشيعة على امامة علي رضي الله عنه ، **حديث المؤاخاة** :

" فيروون عن الإمام أحمد يرفعه إلى سعيد بن المسيب ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله ، آخى بين أصحابه ، فبقي رسول الله ، وبقي أبو بكر وعمر ، فآخى بين أبي بكر وعمر ، وقال لعلي عليه السلام ، أنت أخي " (٢).

والجواب على حديثهم هذا ، في قولهم أن النبي صلى الله عليه وسلم ، آخى بين أبي بكر وعمر : أن المؤاخاة تمت بين المهاجرين والأنصار ، ومؤاخاة علي رضي الله عنه كانت مع سهل بن حنيف .

أما فيما يخص ثبوت الحديث فان ابن تيمية يقول :

" إن جميع أحاديث المؤاخاة بين النبي صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب لا تثبت " (٣).

---

(١) أبو داود – السنن ج٣ ص ٤٠٤ – ٤٠٧ ، ابن هشام – السيرة النبوية ج٣ ص ١١٤ – ٢٠٣ ، ابن حبان : محمد بن أحمد – السيرة النبوية ص ٢٣٤ ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٤١١هـ السهيلي – الروض الأنف ج٣ ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ابن حجر – فتح الباري ج٧ ص ٣٣١ .

(٢) ابن طاووس : أحمد بن موسى – بناء المقالة الفاطمية ص ١٤٨ .

(٣) منهاج السنة ج٣ ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ . وقد أورد ابن حجر أحاديث بأخوة المهاجرين بعضهم مع بعض ، وأخوة النبي صلى الله عليه وسلم مع علي . الفتح ج٧ ص ٢٧١ . وذهب ابن القيم إلى أن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، لو آخى بين المهاجرين ، لكان أحق الناس بأخوته صلى الله عليه وسلم أبو بكر . زاد المعاد ج٣ ص ٦٤ . وقال الأرناؤط : جميع الأحاديث الواردة في مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم ضعيفة . زاد المعاد ج٣ ص ٦٤ ، حاشية (١) .

استخدام أحداث السيرة في الرد على مخالفيهم :

بعد ما انتشر المعتقد الشيعي في أوساط المسلمين ، وأصبح له رجال يحملونه ، واجه ردودا عليه تنقض ذلك المعتقد ، وترفض استدلالهم بأحداث لا علاقة لها بما يزعمونه ويعتقدونه ، وجاءت تلك الكتابات في فترات مختلفة ، ترد على أرباب هذا المعتقد ، وتدعو الناس إلى الحذر منه .

فقد كان لابن العربي قصب السبق في الرد على من نال من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك في كتابه " العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم " ، وقد نقد فيه شبههم وأباطيلهم .

وممن كتب أيضا محمد بن مالك بن أبي الفضائل ، توفي سنة ٤٧٠هـ ، وكتابه " كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة " . وعبد القاهر الجرجاني ، توفي سنة ٤٢٩هـ ، وكتابه " الفرق بين الفرق " .

وفي القرن السابع جاءت ردود الشيعة على من سبق وصنف كتبا ترد على شبههم وأباطيلهم ، وقد جاء الرد من قبل الشيعة على كتاب " العثمانية " لمؤلفه عمرو بن بحر الجاحظ ، وعلى كتاب " فضائح الباطنية " للغزالي . وحيث جاء الرد عليهم سيكون كل من كتابيهم موضعا لحديثنا ، ونبدأ ذلك بالتعريف بهما .

- **فعمرو الجاحظ :**

هو أبو عثمان بن عمرو بن بحر بن الجاحظ ، ولد سنة ١٦٢هـ تقريبا .

قال عنه ابن كثير : " رديء الاعتقاد ينسب إلى البدع والضلالات " .

وقال الذهبي : " ماجنا قليل الدين ، معتزلي الاعتقاد " .

وله عدد من المصنفات منها العثمانية ، والحيوان ، والبيان والتبيين ، والرد على النصارى واليهود والشيعة ، والوعيد ، والحجة ، والنبوة ، والبلدان ، وغيرها، مات سنة ٢٥٥هـ [1].

---

(١) ابن خلكان : أحمد بن خلكان – وفيات الأعيان ج٣ ص ٤٧٠ ، ٤٧١ ، دار صادر – بيروت ، الذهبي – سير أعلام النبلاء ج١١ ص ٥٢٦ – ٥٣٠ ، تحقيق شعيب الأرناؤط – مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٢هـ ابن كثير : البداية والنهاية ج١١ ص ١٩ ، ٢٠ .

وجاء الحديث عن كتاب الجاحظ " العثمانية " ، لأن الشيعي أحمد بن موسى[١] ابن طاووس صنف مؤلفا سماه " بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية " وقد جاء في ترجمته ما يجلي معتقده ، وذلك بكلام علماء أهل السنة عنه .

وقد حوى كتابه العثمانية موضوعات مختلفة ، تركز قسم كبير منها علىأبي بكر رضي الله عنه ، بعرض مناقبه المتعددة ، والتي منها صحبته للرسول صلى الله عليه وسلم ، كما عني برأي الرافضة في أبي بكر وامامته ، والخلفاء الراشدين من بعده ، والرد عليهم ، وشمل أيضا الحديث عن علي رضي الله عنه ، ورأي الشيعة في تأويل سيرته مع النبي صلى الله عليه وسلم .

وحيث أن " العثمانية " اشتملت على أحداث كثيرة من السيرة النبوية ، فقد جاء رد ابن طاووس على تلك الأحداث معتمدا رأي الشيعة فيها ، سواء أكان في منهجها أو تأويلها لتوافق معتقدهم ، ومن ذلك رد فضيلة أبي بكر ، وافتراء العيوب عليه ،في مقابل امامة علي وعصمته ومناقبه ، معتمدا في ذلك على ما حشدته الشيعة من روايات متعددة تفتقد الصحة ، وذلك لتأييد معتقدهم والنيل من الصحابة من خلال صرف أحداث السيرة عن مسارها الصحيح .

ومن أمثلة هذه الردود ، لما قال الجاحظ في العثمانية ما يستدل به على منزلة أبي بكر رضي الله عنه ، أنه كان ثاني اثنين في الهجرة [٢].

فرد عليه ابن طاووس بقوله : " أما كونه ثاني اثنين في الهجرة فانه كذب صريح، اذ كان مصعب بن عمير سبق إلى الهجرة قبل توجه رسول الله إلى الجهات النيرة والعرصات الطيبة " [٣].

---

(١) أحمد بن موسى بن جعفر ، من الشيعة الإمامية ، ومن محدثيهم ، له شعر وتصانيف . توفي سنة ٦٧٣هـ عن ثمانين سنة (الزركلي – الأعلام ج١ ص ٢٦١) .

(٢) الجاحظ أبو عمرو : العثمانية ص ٥٤ . دار الجيل بيروت ١٤١١هـ .

(٣) أحمد بن موسى بن جعفر : بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية ص ٦ . تحقيق د / إبراهيم السامرائي – دار الفكر – عمان . د . ت .

وهذا الرد من ابن طاووس يوحي بأمرين ، أحدهما : أنه لم يفهم مراد الجاحظ بالأفضلية التي تحققت لأبي بكر رضي الله عنه بمرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، وهو ما عناه القرآن الكريم بقوله :

﴿ **إلا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا** ﴾ (١).

وثانيهما : أنه يجهل أحداث الهجرة من مكة إلى المدينة ، حيث ذكر أن مصعب بن عمير ، سبق إلى المدينة . أو لم يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه معلما ومرشدا لأهل المدينة ؟! ، حيث يرجع بعد ذلك إلى مكة بعد أن أدى مهمته . أما هجرة المسلمين إلى المدينة ، بعد أن أذن الرسول بها ، فكان أول مهاجريها أبو سلمة رضي الله عنه ، ثم تتابع المسلمون بترك مكة والانتقال إلى المدينة ، وذلك قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بصحبة أبي بكر رضي الله عنه (٢).

وحينما رد الجاحظ زعمهم أن قوله تعالى :

﴿ **انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾ (٣)، نزلت في علي رضي الله عنه ، ورد الطوسي على من نفى أن الآية نزلت في علي رضي الله عنه بقوله : " إن كثرة الروايات والقائلين أن المعني هو علي رضي الله عنه ،وأن أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خلفها دولة بني أمية التي أكثرت الوضع على علي ، وأما كونه تصدق وهو راكع فانه رأى المحل المقابل وقعود من حضر عن مساعدته فرأى اغتنام رحمته ، أو لأن الله بعث هذا السائل ليظهر للحاضرين قدر عناية الله به ، عقيب صدقته ، بما أنزل من الآي في مدحه " (٤).

---

(١) سورة التوبة الآية ٤٠ .

(٢) البخاري – صحيح البخاري ج٥ ص ٧٥ ، ابن هشام – السيرة النبوية ج١ ص ٤٣٤ ، ٤٣٨ ص ٤٦٨ ، ابن حجر – فتح الباري ج٧ ص ٢٣٤ .

(٣) سورة المائدة آية : ٥٥ .

(٤) بناء المقالة العثمانية ص ١٢٩ – ١٣٢ .

وواضح أن ابن طاووس صرف معنى هذه الآية إلى شيء يريده ويعتقده ، واعتمد في ذلك على نصوص ضعيفة ، ولكنه لم يهتم بهذا الضعف ، وقد أوردها الإمام ابن كثير رحمه الله وبين سبب ضعفها مما يصرف النظر عن اعتمادها ، وأما عناية الله بعلي رضي الله عنه فقد جسدتها أفعاله في خدمة الإسلام ، وليس بافتعال المواقف أمام الناس والتي تحوي المخالفات .

وقال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية :

" إن ولاية المؤمنين راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين ، وهم المتصفون بهذه الصفات ، من اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ".

وقد بين رحمه الله أن البعض قد توهم أن جملة ﴿ **ويؤتون الزكاة** ﴾ ، في موضع حال ، ولو كان كذلك ، لكان دفع الزكاة حال الركوع ، أفضل من غيره ، ولكن هذا الأمر لبس عند أحد من أهل الفتوى والعلم [١].

وهنا يتضح أن تأويل ابن طاووس لهذه الآية غير صحيح ، فلم يعتمد على نقل صحيح يوجه به قوله ، كما أن معنى الآية الظاهر لا يفيد مراده .

كان ممن كتب عن الشيعة أبو حامد الغزالي في كتاب سماه " فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية " .

وهو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي ، ولد سنة ٤٥٠هـ ، وتفقه على امام الحرمين – الجويني – توفي سنة ٤٧٨هـ ، وبرع في علوم كثيرة ، وله مصنفات عديدة من أشهرها " احياء علوم الدين " ، وقد شنع عليه عدد من العلماء ، وقالوا :

" هذا احياء علوم دينه ، أما ديننا فاحياؤه كتاب الله وسنة رسوله " .

كما صنف كتاب " كيمياء السعادة والعلوم " ، وشرح بعض الصور التي لا توافق الشرع وقواعده . وله كتاب " تهافت الفلاسفة " .

---

(١) تفسير ابن كثير ج٢ ص ٧٢ .

وقد غلا في طريقة التصوف ، وناصر مذهبهم ، وصار داعية اليه . كما سار على رأي الفلاسفة في قلب الحقائق في بعض آرائه ، وكانت وفاته سنة ٥٠٥هـ (١).

ومع أختلافنا معه فيما كتب في مصنفاته حسب ما ظهر من أقوال أئمة السلف في حقه ، إلا أن الاختيار وقع عليه بعد ما جاء من الشيعة في القرن السابع ليرد على كتابه الذي تحدث به عنهم ، والمسمى " فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية". وكان قد كتبه بعد استفحال أمر الباطنية ، الذين أسسوا دولتهم العبيدية التي دعوها بالفاطمية ، وهددوا معاقل السنة في بلادها ، وكان غرضه من ذلك اظهار فضائحهم ، وبيان فضائل أهل السنة ، ورمز لهم بالخليفة المستظهر(٢) بالله العباسي .

وقد اشتمل هذا الكتاب على موضوعات منها : بيان أسباب اقامة دعوتهم ، وعرض لمعتقداتهم ، وبيان فساد تأويلاتهم للظواهر الجلية ، وابطال تمسكهم بالنص في اثبات الإمامة والعصمة ، وفتوى الشرع في حقهم ، واقامة البراهين على شرعية الخليفة المستظهر بالله العباسي .

وفي القرن السابع جاء من الشيعة من رد على هذا الكتاب ،ويدعى علي بن الوليد(٣) في كتاب سماه " دامغ الباطل وحتف المناضل " ، حوى اثني عشر بابا كلها ردود على الغزالي في ما كتبه عن الباطنية . وقد كانت الأبواب الأولى على شخص الغزالي ، ثم الرد على ما قال عن السبب الباعث لدعوتهم ، وما قاله بشأن

---

(١) الذهبي – سير أعلام النبلاء ج١٩ ص ٣٢٢ – ٣٤٦ ، ابن كثير – البداية والنهاية ج١١ ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن المقتدي بالله ، ولد سنة ٤٧٠هـ ، وبويع سنة ٤٨٧ هـ ، وزر له السلاجقة فجابهوا الباطنية في عهده . توفي سنة ٥١٢هـ (ابن الأثير – الكامل في التاريخ ج١٠ ص ١٨٨) .

(٣) علي بن محمد بن الوليد : داعية إسماعيلي تسنم دعوتهم سنة ٦٠٥هـ في اليمن . له عدد من المصنفات في معتقده . توفي سنة ٦١٢هـ . (دامغ الباطل ص ١٩ ، ٢٠ _ تحقيق مصطفى غالب) .

حيلهم وتلبيسهم ، وتأويلاتهم لظاهر القرآن ، وأدلتهم العقلية التي يستخدمونها في نصرة مذهبهم ، وما قاله عن تنصيب الإمام وعصمته .

ومن أمثلة الرد على الغزالي – لما قال أن نصب الإمام واجب ، وانه اجماع للأمة ، واستشهد بفعل الصحابة رضوان الله عليهم ، لما سارعوا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى نصب الإمام وعقد البيعة ، وكيف اعتقدوا ذلك فرضا محتوما وحقا واجبا على الفور والبدار ، وكيف اجتنبوا فيه التواني والاستئخار ، حتى تركوا بسبب ذلك الاشتغال به تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم – [١].

فرد أبن الوليد على ما ذكره الغزالي بقوله :

" إن بدار من زعم من ضلال الصحابة إلى عقد البيعة ، زاعمين في ظاهر أمرهم أنه البدار إلى الهدنة خوف الفتنة ، هو بالحقيقة البدار إلى الفتنة ﴿ **الا في الفتنة سقطوا ، وان جهنم لمحيطة بالكافرين** ﴾ " .

ويعلل رأيه هذا : " إن النبي لم يخرج عن هذا العالم بتركهم فوضى مهملين لغير هاد ودليل ، وقد نص النبي وعين ، وأخذ العهد على البيعة لعلي على كافة من حضر بغدير خم " .

وقال : " إن الحسد على جمع الخلافة وبيت النبوة في بيت النبوة ، هو سبب ذلك" .

واستدل : " بأن النبي صلى الله عليه وآله ، عقد لأسامة بن زيد – على أبي بكر وعمر مع جماعة ممن أراد غيبتهم عند وفاته – بالأمرة ، وأمرهم بالخروج في معسكر خارج المدينة ، وجعل يقول صلى الله عليه وآله وهو مجهد : أنفذوا جيش أسامة ، لعن الله من تخلف عن جيش أسامة . فحل أبو بكر وعمر ومن كان أحلافهم على النفاق في عقد رسول الله صلى الله عليه وآله ، ونبذوا عهده ، ورجعوا إلى المدينة ، لامضاء ما تقدم من التحالف على أهل البيت ، وآل أمرهم

---

(١) الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد فضائح الباطنية ص ١٧١ . تحقيق عبدالرحمن بدوي – ط١ – الكويت . د . ت .

بعد ذلك إلى ما آل اليه ، من قتل أهل بيت النبوة ، واستباحة أموالهم ، وسبي ذراريهم " (١).

إن ابن الوليد قد أساء في رده على الغزالي ، ولم يلتزم بمنهج الحوار ، بل سارع – وهي عادة أهل نحلته – إلى الطعن في الصحابة ، الذين بادروا إلى تلافي شغور قيادة أمر المسلمين ، بعد وفاته صلى الله عليه وسلم . ودعواه أن الأمر لا يحتاج إلى مثل هذا الموقف ، حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم – على حد زعمه – قد وصى لعلي من بعده ، فيه مخالفة صريحة لوقائع السيرة النبوية الصحيحة .

فالتبليغ المعروف كان في حجة الوداع ، حين قال صلى الله عليه وسلم :

" ألا هل بلغت ، ألا هل بلغت ، قال اللهم اشهد " .

أما ما جرى في غدير خم فيختلف ، حيث المسافة قريبة من المدينة ، وجاء الأمر دون اعداد مسبق له ، بل كان قدوم جيش علي رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم من اليمن بعد تأديته للمهمة التي كلف بها . وشكواه لما حصل له من قبل من معه هو سبب حادثة غدير خم . فقد سبق الجيش ، وأناب عنه أحد جنده ، الذي عمد إلى كل رجل من جنده فكساه حلة من البز الذي معه ، فلما قدموا ، ورآها علي رضي الله عنه قال لنائبه : " ويلك ، ما هذا " ؟! . قال : " كسوت القوم ليتجملوا به اذا قدموا إلى الناس " . قال : " ويلك ، انزع قبل أن ينتهي به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم " . قال ، فانتزع الحلل من الناس فردها في البز . قال ، وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم .

ومن ذلك ما ورد عن أبي سعيد الخدري قال : " اشتكى الناس عليا، فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا ، فسمعته يقول : أيها الناس لا تشكوا عليا ، فوالله انه لأخشن في ذات الله ، وفي سبيل الله من أن يشكى " (٢).

---

(١) دامغ الباطل وحتف المناضل ج٢ ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٢) ابن هشام – السيرة النبوية ج٤ ص ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٥ ص ٢٠٩ .

وعن بريدة قال : " غزوت مع علي اليمن ، فرأيت منه جفوة ، وقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عليا فتنقصته ، فرأيت وجه رسول الله يتغير . فقال :

يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟!.

قلت : بلى يا رسول الله .

قال : من كنت مولاه فعلي مولاه " (١).

وهنا يتضح ، أن ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في غدير خم هو لبيان فضل علي رضي الله عنه ، بعدما شكي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتنقص من حقه جنده الذين ذهبوا معه إلى اليمن .

ولهذا لا علاقة بما جرى من أحداث وتبليغ في حجة الوداع ، بما جرى في غدير خم ، بل الأمر لا يعدو توافق مقدم النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، وقدوم جيش علي رضي الله عنه من اليمن .

وقال الإمام ابن تيمية : " لو أن الأمر يحتاج الناس اليه لأبقاهم معه في الغدير ، ولم يأذن لهم بالانصراف إلى بلادهم . كما أن خطبة حجة الوداع لم تتضمن ما يتعلق بامامة علي رضي الله عنه " (٢).

واما دعواه حل أبو بكر وعمر ومن كان أحلافهم عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعودتهم إلى المدينة من جيش أسامة .فقد ذكر الإمام ابن تيمية عدم خروج كل من أبي بكر وعمر مع الجيش (٣)، وذهب كل من ابن اسحاق والواقدي وابن الجوزي إلى خروجهما مع الجيش(٤) .

---

(١) قال ابن كثير : إسناده جيد ، البداية والنهاية ج٥ ص ٢٠٩ .

(٢) منهاج السنة ج٧ ص ٣١٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٧ .

(٣) منهاج السنة ج٨ ص ٢٩٢ .

(٤) ابن هشام – السيرة النبوية ج٤ ص ٦٠١ ، الواقدي – المغازي ج٣ ص ١١١٨ ، ١١١٩ ، ابن الجوزي – الوفاء بأحوال المصطفى ج٢ ص ٧٦٢ . تحقيق مصطفى عبدالواحد ، دار الكتب الجديدة ، القاهرة د . ت .

ومع الأخذ بمن قال بخروجهم ، لا يعني ذلك حل العقد كما ذكر ابن الوليد ، لأن أبا بكر رضي الله عنه وكما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها كان موجودا في المدينة ، وقد أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤم الناس في الصلاة، ولو كان كما قال ابن الوليد قد حل عقدا لما أقره على ذلك ، ولما أمره أن ينوب عنه بامامة المسلمين في الصلاة [١].

أما بقية الصحابة فليس هناك ما يثبت عودتهم إلى المدينة قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، بل المعروف اقامتهم في الجرف حتى يتوافد الجميع من المدينة ، فلما جاءهم نبأ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم رجعوا إلى المدينة [٢].

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : " أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يكلم الناس نافيا موت النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى خرج اليه أبو بكر فتلى عليه قوله تعالى :

﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾[٣] " - الآية .

وهذا يعني عودته من الجرف مع من عاد من الصحابة رضوان الله عليهم بعد سماع وفاته صلى الله عليه وسلم [٤]. ويؤيد استمراره في جيش أسامة ، استئذان الخليفة أبو بكر أسامة بن زيد ، أن يأذن لعمر أن يبقى معه في المدينة ، - وهو خارج يشيع جيش أسامة المتجه إلى الشام - ، تحقيقا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم [٥].

ولو أراد الرسول صلى الله عليه وسلم تولية علي رضي الله عنه ، لكان هؤلاء أعجز من رد أمر للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكان جمهور المسلمين أطوع لله ورسوله من الاستجابة للمخالفين [٦].

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢) الواقدي - المغازي ج٣ ص ١١٢٠ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٤٤.

(٤) البخاري - صحيح البخاري ج٤ ص ١٧ .

(٥) ابن كثير - البداية والنهاية ج٦ ص ٣٠٥ .

(٦) ابن تيمية - منهاج السنة ج٨ ص ٢٩٢، ٢٩٣ .

ولهذا لا يعدو أن يكون استشهاد ابن الوليد بجيش أسامة أسلوبا من أساليب الشيعة من سعيهم المكشوف في تغيير الحقائق ، لتكون دليلا لهم في معتقدهم يقتنع بها الناس .

ولما قال الغزالي : " إن المقصود الذي طلبنا له الإمام ، جمع شتات الآراء في مصطدم تعارض الأهواء ، ولا تتفق الارادات المتناقضة والهفوات المتباينة المتنافرة على متابعة رأي واحد إلا ظهرت شوكته ، وعظمت نجدته ، وترسخت في النفوس رهبته ومهابته " (١).

رد ابن الوليد على الغزالي بقوله :

" ومتى أجمع أمر المسلمين ، كما ادعاه ببيعة أبي بكر ، بل كانت أقوى المشتتات وبها حصل في حبل الدين بينهم مؤلم الانقطاع والافتيات ، إذ لم يجمع على امامة أبي بكر إلا سائر العوام ، ومن غلب حب الحطام ، فأما عباد الأمة وزهادها وعلماؤها الأفاضل ، وأفرادها ، فوافقوا على تلك البيعة بوقوف علي سلام الله عليه وفاء بما ألزمهم من الطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، واذا وقف عن تلك البيعة الخيرة والأفاضل ، فلا حجة اذا بمبايعة الأنذال والأراذل " (٢).

إن دعوى ابن الوليد بشتات الناس وفرقتهم بعد بيعة أبي بكر رضي الله عنه خلاف حال الناس الحقيقية بعد البيعة .

فقد اجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وذهبوا إلى اخوانهم الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، فخطب الأنصار ، ثم قام أبو بكر فألقى خطبته ، وبعد ذلك بايع عمر لأبي بكر ، ثم بايعه أبو عبيدة ، ثم تابعه

---

(١) فضائح الباطنية ص ١٧٧ .

(٢) دامغ الباطل وحتف المناضل ج٢ ص ٣١٩ .

والأنصار ،فاجتمع شمل المسلمين بهذه البيعة ، ولو تأخرت لحلت الفرقة والنزاع بينهم [(١)].

أما دعواه بشأن تأخر العباد والزهاد فأمر لا يعضده دليل ، فقد حضر في السقيفة كبار المهاجرين والأنصار ، وهم الذين بايعوا لأبي بكر . أما عن تأخر علي رضي الله عنه عن البيعة واجتماع الناس عليه ، فهو خلاف ما جرى ، فقد بايع علي رضي الله عنه مع الناس ، ولم ينقطع عن صلاة من الصلوات خلف الصديق رضي الله عنه ، بل خرج معه إلى ذي القصة ، لما خرج الصديق شاهرا سيفه يريد قتال أهل الردة [(٢)].

وهذا يدل على عدم صدق دعواه بتأخر علي عن البيعة ، أو توقف غيره من الصحابة . كما أن في ألفاظه قلة أدب مع الصحابة رضوان الله عليهم .

---

(١) ابن هشام – السيرة النبوية ج٤ ص ٦٦٠ ، أبو بكر بن العربي – العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ص ٩، ١٠، ١١ . تحقيق محب الدين الخطيب . دار الكتب السلفية القاهرة ١٤٠٥هـ .

(٢) ابن العربي – العواصم من القواصم ص ٥، ٦ .

استخدام حوادث السيرة للطعن في خلافة أبي بكر:

لقد نال خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه من الشيعة أشد مما نال غيره ، فطعنوا في عدالته ، وشجاعته ، وامارته .

ومما قالوه في ذلك ما أوصى به ابن طاووس ابنه فقال :

" ويدلك يا ولدي أن خلفاءهم الذين تقدموا على أبيك أمير المؤمنين عليه السلام ، ما كانوا من أهل الجهاد والدين ، إن جدك محمد ما استصلحهم في حياته لشيء من حروبه وفتوحه وغزواته ، ولما نفد أبا بكر ليؤدي سورة براءة إلى المشركين عزله الله جل جلاله ، وولى مكانه أباك عليا أمير المؤمنين صلوات الله عليه باطباق أهل الصدق من المسلمين " [١].

هذه من صور الطعن في الخليفة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان رضي الله عنهم أجمعين ، وهي صورة مجانبة للصواب .

فمن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد استعمل أبا بكر على الحج في السنة التاسعة من الهجرة ، وهو أول حج في الإسلام ، غير الحج الذي قاده عتاب بن أسيد والى مكة بعد فتحها سنة ثمان من الهجرة ، وأمره أن ينادي في هذا الموسم :

" أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان " .

وتعتبر ولاية خاصة ، حيث لم يؤمر أحد بمثلها ، كما لم يستخلف أحد على الصلاة كاستخلاف أبي بكر[٢] . وهذه الأحداث ترد على دعاوى الشيعة بعدم ولاية أبي بكر من قبل النبي صلى الله عليه وسلم لأي عمل .

أما إن الله عز وجل عزله ، وولى عليا رضي الله عنه قراءة سورة براءة على الناس في الحج ، فأمر يدحضه الدليل والبرهان .

فالثابت انتظاره - في " العرج " للقادم صاحب الصوت - عن الدخول في الصلاة ، وقال :

---

(١) كشف المحجة لثمرة المهجة ص ٥٩ .

(٢) ابن حبان - السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ابن تيمية - منهاج السنة ج٥ ص ٤٩٠ ، ٤٩١ .

" هذه رغوة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الجدعاء ، لقد بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج فلعله أن يكون رسول الله فنصلى معه " ، فاذا علي عليها ، فقال أبو بكر :

" أمير أم رسول " ؟! .

فقال : " لا ، بل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أرسلني ببراءة ، أقرأها على الناس في مواقف الحج " .

فقدموا مكة ، فقرأ على الناس سورة براءة حتى ختمها [١].

وهكذا نرى أن المصادر لا تشير إلى عودة أبي بكر ، بل ولا امارة علي رضي الله عنه ، فقد كان ضمن الناس تحت أمارة أبي بكررضي الله عنه ، وأما تخصيص علي رضي الله عنه باعلان البراءة من المشركين ، فهو لقول النبي صلى الله عليه وسلم :

" لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي " [٢].

وقال ابن كثير : " إن سبب هذا الاختيارلكون علي رضي الله عنه ابن عمه من عصبته " [٣].

وقد أسند النبي صلى الله عليه وسلم الىأبي بكر رضي الله عنه سنة سبع من الهجرة قيادة سرية إلى نجد ، وكذا عمر رضي الله عنه ، فقد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم على رأس سرية في السنة السابعة من الهجرة متجهة إلى تربة [٤].

---

(١) ابن هشام – السيرة النبوية بشرح الوزير المغربي ج٢ ص ٩٧٧ ، ابن حبان – السيرة النبوية ص ٣٨٤ .

(٢) قال ابن كثير إسناده جيد – البداية والنهاية ج٥ ص ٣٧ .

(٣) ابن كثير – البداية والنهاية ج٥ ص ٣٧ .

(٤) ابن سعد : محمد – السيرة النبوية من الطبقات ج٢ ص ١١٧ _ الطبعة الأولى _ القاهرة ١٤٠٩هـ ، ابن الجوزي – عمر بن الخطاب ص ١٠٩ . تعليق أسامه عبدالكريم الرفاعي ، مؤسسة التوزيع العالمية جدة د . ت .

ومع أن هذه الأحداث ترد على ما يزعمه ابن طاووس بعدم استعمال النبي صلى الله عليه وسلم لكبار الصحابة في مهام كبرى ، يمكن القول ، أن من كان دون هؤلاء كانت له ولاية ، ولهذا فليست عدم الولاية دلالة نقص ، كما أن حاجته اليهم دون غيرهم من المسلمين لملازمته أعظم من الولاية ، ولهذا فقد كان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول :

" دخلت أنا وأبو بكر وعمر " و " خرجت أنا وأبو بكر وعمر "(١) .

وكان يقول لهما : " اذا اتفقتما على شيء لم أخالفكما " .

وكانت مشورته لهما باستمرار ، ولكنها لأبي بكر أكثر لاجتماعه(٢).

ومن طعنهم في امامة أبي بكر ما قالوه بشأن ارث فاطمة رضي الله عنها **لفدك** يروون :

" أنه لما بويع أبو بكر ، واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار ، بعث إلى فدك من أخرج فاطمة عليها السلام بنت رسول الله منها ، فجاءت فاطمة الزهراء عليها السلام إلى أبي بكر ثم قالت : " لم تمنعني ميراثي من أبي – رسول الله صلى الله عليه وسلم – ، وأخرجت وكيلي من فدك ، وقد جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى " .

فقال : " هاتي على ذلك بشهود " .

فجاءت بأم أيمن . فقالت له أم أيمن :

" أنا أشهد يا أبا بكر ، حتى أحتج عليك بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنشدك بالله ، ألست تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أم أيمن من أهل الجنة " . فقال : " بلى " .

قالت : " فاشهد أن الله عز وجل أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ **وآت ذا القربى حقه** ﴾ (٣)، فجعل فدكا لها طعمة بأمر الله " .

---

(١) صحيح الإمام مسلم جـ ٤ ص ١٨٥٩ .

(٢) ابن تيمية : منهاج السنه جـ ٨ ص ٢٩٤،٢٩٥ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٢٦ .

فجاء علي عليه السلام فشهد بمثل ذلك ، فكتب لها كتابا ودفعه اليها .

ثم قال : إن عمر أخذ الكتاب فمزقه ، ثم اعترض علي على ذلك ، فلم يسمع له[١].

وللرد على ما ذكره الطبرسي نقول :

أن الرواية الواردة في صحيح البخاري تختلف كليا عما أورده الطبرسي : " فقد روت عائشة رضي الله عنه ، أن فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك ، وما بقي من خمس خيبر .

فقال أبو بكر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

لا نورث ، ما تركناه صدقة ، انما يأكل آل محمد صلى الله عليه وسلم من هذا المال. واني لا أغير شيئا من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأعملن فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا ، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك ، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلا ، ولم يؤذن بها أبو بكر وصلى عليها " [٢].

هنا يتضح الفرق بين الرواية التي جاء بها الطبرسي والرواية التي جاءت عند البخاري ، وكيف أن أبا بكر رضي الله عنه ، لم يرد طلب فاطمة إلا لحديث سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فيما يخص ميراثه ، وميراث غيره من الأنبياء .

---

(١) الطبرسي : أحمد بن علي – الاحتجاج ص ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، تعليق محمد باقر الخراساني ، مؤسسة النعمان ، بيروت د . ت .

(٢) ابن حجر : فتح الباري جـ **٧** ص ٢٩٧ .

وأما ما جاء في موقفها من اجابة أبي بكر لها . فقد أورد ابن حجر رحمه الله عددا من الروايات التي تفيد أن غضبها كان بسبب فهمها أن ما سمعه ليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأن ما قدمته من التأويل أولى ، وأن الهجران كان فقط في حديثه عن هذا الميراث ، وأنه ليس من الهجران المحرم الذي شرطه أن يلتقيا فيعرض هذا وهذا ، حيث أنها انشغلت بمرضها وبحزنها [١].

وقد ورد عن الشعبي ما يفيد زيارة أبي بكر لها في بيتها ورضاها عنه [٢].

وقد أجيب عن دفنها ليلا أن ذلك وصية منها زيادة في التستر ، كما أن الخبر لا يفيد عدم علم أبي بكر بموتها والصلاة عليها [٣].

وأما ما جاء في رواية الطبرسي من استشهاد أم أيمن في هذه الحادثة ، فمع أنها لم ترد في روايات الحادثة ، فالحاجة لا تستدعيها ، فلم ينكر أبو بكر رضي الله عنه وجود ميراث للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنه حفظ منه أن الأنبياء لا يورثون ، وهو ما رد به على فاطمة رضي الله عنه . وكذا الحال في شهادة علي رضي الله عنه ، والتي هي لم تثبت أيضا [٤]، فضلا عن أن شهادة الزوج لزوجته لا تقبل عند أكثر العلماء . واختلاف الرأي وفهم النصوص أمر وارد بين المسلمين، وهو ما تمثل في هذه الحادثة بين أبي بكر وفاطمة عليها السلام .

وقد جرى ذلك بين الصحابة والنبي صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم ، ومع ذلك لم تفسر الأمور هذا التفسير المنحرف الذي نسج عليه الطبرسي وأتباعه تلك الروايات المضللة .

ومن طعنهم في امامة أبي بكر رضي الله عنه قول عمر رضي الله عنه : " كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها " .

---

(١) فتح الباري ج٦ ص ٢٠٢ .

(٢) قال ابن حجر إسناده صحيح فتح الباري جـ ٦ ص ٢٠٢.

(٣) ابن حجر – فتح الباري ج٧ ص ٤٩٤ .

(٤) ابن تيمية – منهاج السنة ج٤ ص ٢٣٤ ، ٢٣٨ .

فيقول أحمد بن طاووس عنها في معرض رده على الجاحظ :

" ثم أجرى الجاحظ حديث قول عمر رضي الله عنه : " كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها " ، وأطال الخطاب في ذلك ، بلفظ حليته الهذر ، وطبيعته الخداع ، ومزاجه النقص ، حاصله أن البيعة سميت فلتة اذ سلمت من انتقاض الأمور " .

ثم قال :

" وأما قوله : (إن الذي وقع من الفلتة لا يجوز أن يحبو به الله الا نبيا ، أو خليفة نبي) ، فانه قول أبعد فيه " .

ورد على عمر رضوان الله عليه بيانه قوله :

" فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه " ، بعد قوله " وقى الله شرها " . ومراده بذلك من بايع بيعة مثلها من غير مشاورة واتفاق فاقتلوه " (١).

هذا القول لعمر رضي الله عنه جاء بعد أن سمع من رجل في مكة وهو في آخر حجة له يقول :

" والله لو قد مات عمر ، بايعت فلانا ، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت " . فانتظر رضي الله عنه في رده على هذه المقالة حتى عاد إلى المدينة وذلك بمشورة من عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه الذي قال :

" إن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاء هم فينقلون مقالتك وهم لا يعوها ولا يضعوها في موضعها " .

فلما قدم المدينة خطب الناس قائلا :

" انه بلغني أن قائلا منكم يقول : والله لو قد مات عمر بايعت فلانا ، فلا يغترن امرؤ أن يقول : انما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت ، ألا وانها قد كانت كذلك ، ولكن الله وقى شرها ، وليس فيكم من تقطع الأعناق اليه مثل أبي بكر ، ومن بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين ، فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا (٢) " .

---

(١) بناء المقالة الفاطمية ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٢) البخاري – الصحيح ج٨ ص ٢٠٩ (باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت) .

وقد نقل ابن حجر رحمه الله أقوالا عدة في معنى فلتة ، منها : أن المراد بالفلتة ما وقع من مخالفة الأنصار ، وما أرادوه من مبايعة سعد بن عبادة . وقيل أن المراد ابتداء البيعة ، كان من غير ملأ كثير ، والشيء اذا كان كذلك يقال له الفلتة ، فيتوقع فيه ما لعله يحدث من الشر بمخالفة من يخالف في ذلك عادة فكفى الله المسلمين الشر المتوقع في ذلك عادة ، لا أن بيعة أبي بكر كان فيها شر [(١)].

ويتضح مما سبق أن مراد عمررضي الله عنه بمقولته يختلف كليا عن المعنى الذي صرفها ابن طاووس اليه ، وهو أن من بايع مثلها من غير مشاورة واتفاق فاقتلوه ، ليصل بذلك إلى بطلان هذه البيعة .

ومن المعلوم أن البيعة لأبي بكر رضي الله عنه تمت عن مشاورة ورضى من المسلمين في السقيفة أولا ، ثم في المسجد ثانيا ، كما أن أبا بكر يختلف عن غيره في المبادرة إلى بيعته ، كما بين ذلك عمر رضي الله عنه بقوله :

" ليس فيكم من تقطع اليه الأعناق مثل أبي بكر " ، نظرا لمنزلته ومكانته بين الصحابة والتي تجلت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، كما أن مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم منه تعطيه الأولية لخلافته بعد وفاته ، ولهذا السبب كانت فلتة حيث تجاوزت ما قد يسببه وقوف الأنصار عند رأيهم في الخلافة ، فوقى الله الناس بها من شر عظيم قد يصيبهم ، وهم يخوضون أول تجربة في تعيين خليفة لهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سيما وما خلفته تلك الوفاة من ارتداد بعض قبائل الجزيرة العربية عن الإسلام .

---

(١) فتح الباري ج١٢ ض ١٤٩،١٥٠ .

الوضع والإفتراء في أحداث السيرة :

لم يقف الشيعة عند حد معين في التعامل مع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، بالتحريف والتأويل ، بل تعدوا ذلك إلى الإفتراء والوضع في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وذلك حتى يتحقق لهم مرادهم في نشر معتقداتهم بين المسلمين متخذين ذلك من خلال سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولقد استخدموا مناهج عدة لتحقيق هذه الخطوات فتراهم تارة يفترون حادثة لم تقع أصلاً في السيرة ، وتارة يأتون إلى حوادث السيرة فيضمنونها أفتراءاتهم حتى لا يكتشف أمرهم ، وتارة يعمدون إلى وضع الأحاديث التي تهيء وقوع أحداث يريدونها في السيرة .

ومن أمثلة ذلك ما جاء عندهم في غزوة بني المصطلق ثناءً على علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فقد قال الأربيلي (وكان من بلائه عليه السلام في بني المصطلق ما مشهور بين العلماء ، وكان الفتح له في هذه الغزوة ، وأصيب أناس من بني عبدالمطلب ، وقتل أمير المؤمنين رجلين من القوم وهما مالك وابنه ، وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كثيرا فقسمه بين المسلمين ، وسبى أمير المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، فجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاصطفاها لنفسه فجاء أبوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فقال:

يا رسول الله إن ابنتي لا تسبى ، انها امرأة كريمة .

قال : اذهب فخيرها . قال : لقد أحسنت وأجملت .

فاختارت الله ورسوله . فأعتقها رسول الله ، وجعلها في جملة أزواجه) [(١)].

هذه الرواية التي جاءت عند الأربيلي عن غزوة بني المصطلق من المنهج الذي يتعمده الشيعة في اظهار علي رضي الله عنه بالرجل المتميز مع أنه رضي الله عنه بما ثبت له من أحداث قام بها كافية لتأكيد ذلك دون الحاجة إلى الافتراء . وقد ورد في روايتهم هذه أنه قتل مالكا وابنه ، وسبى جويرية

---

(١) الأربيلي – كشف الغمةج١ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

بنت الحارث ، لكن مصادر السيرة لا تذكر هذا القتل من علي[1] رضي الله عنه كما أنها لا تنقل سبيه لجويرية بنت الحارث ، بل أنها وقعت ضمن السبي ، فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأدى عنها ما كاتبته على نفسها ، ثم عتقت ، فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما علم الناس ، أن بني المصطلق أصبحوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعتقوا السبي من أجلها [2].

ولم تشر الروايات الصحيحة إلى مقدم والدها وتخييرها في شيء [3].

وفي غزوة **بدر** ورد قولهم : " وكان من جملة خبر هذه الغزوة ، أن المشركين حضروا بدرا مصرين على القتال ، مستظهرين بكثرة الأموال ، والعدد والرجال ، والمسلمون آنذاك نفر قليل عددهم ، ومنهم من حضر كارها ، فتحدتهم قريش بالبراز ، ودعتهم إلى المصافة والنزال ، واقترحت الأكفاء ، وتطاولت الأبصار لمبارزتهم ، فمنعهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم :

" إن القوم دعوا الأكفاء منهم " .

ثم أمر عليا بالبروز اليهم ، ودعا حمزة بن عبدالمطلب ، وعبيدة بن الحارث رحمهما الله تعالى ، وأمرهما أن يبرزا معه ، فلما اصطفوا لم ينتسبهم القوم لأنهم كانوا قد تقنعوا فسألوهم ، من أنتم ؟! . فانتسبوا لهم ، فقالوا : أكفاء كرام .

ونشبت الحرب بينهم ، وبارز الوليد أمير المؤمنين عليه السلام ، فلم يلبث أن قتله ، وبارز عتبة حمزة رضي الله عنه فقتله حمزة ، وبارز شيبة عبيدة ، فاختلف

---

(١) جاء فيه حديث ضعيف . إبراهيم قريبي – مرويات غزوة بني المصطلق ص ١٠٨ . مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ١٤١٣هـ .

(٢) قال عنه إبراهيم قريبي حديث حسن . مرويات غزوة بني المصطلق ص ١١٧.

(٣) ابن هشام– السيرة النبوية ج٤ ص ٢٨٩ – ٢٩٦ ، ابن حبان – السيرة النبوية ص ٢٥٣ ، السهيلي – الروض الأنف ج٤ ص ١٧،١٨،١٩ . ابن تيمية – منهاج السنة ج٨ ص ١١٩ – ١٢٣ .

بينهما ضربتان ، قطعت إحداهما فخذ عبيدة ، فاستنقذه أمير المؤمنين عليه السلام بضربة بدر بها شيبة فقتله ، وشركه في ذلك حمزة (١).

يلحظ القاريء لهذا العرض عن هذه الغزوة ، ما يقوم به الشيعة باستمرار النيل من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام . فقد رموهم بعدم الرغبة في الحضور إلى هذه الغزوة ، من دون بينة يمكنهم الاعتماد عليها ، بل إن روايات هذه الغزوة تتفق جميعا على أن النبي صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه فيها ، لأنه خرج من المدينة يريد العير ، فلما تبين له أن قريش تريد الحرب ، ونزلت في العدوة القصوى من بدر ،استشار صلى الله عليه وسلم أصحابه ، فقام أبو بكر وعمر والمقداد من المهاجرين يقولون : " امض يا رسول الله ونحن معك " ، ثم طلب المشورة مرة أخرى ، لأنه يريد أن يعرف رأي الأنصار ، فقام سعد بن معاذ فقال : فامض بنا يا نبي الله لما أردت ، فنحن معك (٢).

كما ورد عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : " أنزل الله عز وجل: ﴿ **وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم** ﴾(٣) . فلما وعدنا احدى الطائفتين ، أنها لنا ، طابت أنفسنا " (٤).

وهذا يدل على علمهم بأن الله وعدهم احدى الطائفتين ، وأن العاقبة لهم ، ولكنهم كما بين القرآن الكريم ، يودون أن غير ذات الشوكة تكون لهم ، فكانت لهم ذات الشوكة .

---

(١) الأربيلي – كشف الغمة ج١ ص ١٧٣ ، الواقدي – المغازي ج١ ص ٤٨ ، ٤٩ _ تحقيق مار سدن جونس _ عالم الكتب : بيروت ١٤٠٤هـ .

(٢) البخاري – صحيح البخاري ج٥ ص ٩٣ ، مسلم – صحيح مسلم ج٣ ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ابن هشام – السيرة النبوية ج٢ ص ١٦١٥ ، الطبري – تاريخ الطبري ج٢ ص ٤٣٤ ، ٤٣٥ _ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الواقدي – المغازي ج١ ص ٤٨، ٤٩ .

(٣) سورة الأنفال آية ٧ .

(٤) الهيثمي : علي بن أبي بكر – مجمع الزوائد ص ٧٣ ، ٧٤ مصر د . ت . ، والحديث حسن ، أحمد محمد العلمي باوزير – مرويات غزوة بدر ص ١٠٤ . مكتبة طيبه ، المدينة المنورة ١٤٠٠هـ .

وهذا يرد علىدعوى الشيعة بخروج الصحابة كارهين لغزوة بدر ، لأن الله قد بين لهم النتيجة قبل لقاء العدو .

أما قولهم أن النبي صلى الله عليه وسلم " لما تطاولت الأبصار للمبارزة ، منعهم، وقال لهم إن القوم دعوا الأكفاء منهم " ، ليس بصحيح .

فما تنقله المصادر يختلف عن رواية الأربيلي هذه :

أنه لما خرج الأسود بن عبدالأسودوقتله حمزة ، خرج بعده عتبة بن ربيعة ، وأخوه شيبة ، وابنه الوليد ، فلما دنا إلى الصف دعا إلى البراز ، خرج اليه فتية ثلاثة من الأنصار ، فسألهم فقالوا : " رهط من الأنصار " . فقال عتبة : " أكفاء كرام ، ما لنا بكم حاجة ، انما نريد قومنا " .

وجاء في رواية أخرى : " انما أردنا بني عمنا " (١).

ثم نادى مناديهم : " يا محمد أخرج لنا الأكفاء من قومنا " .

فقال رسول الله : قم يا حمزة بن عبدالمطلب ، قم يا علي بن أبي طالب ، قم يا عبيدة بن الحارث (٢).

فدعوى الأكفاء غير صحيحة ، بل المطلوب كما هو واضح من الرواية الأكفاء من بني قومهم . ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يريدون الأكفاء منهم ، بل هي دعوتهم بني قومهم .

وقال الأربيلي بعد ذلك : " ولم يزل عليه السلام – أي علي على زعمه – يقتل واحدا بعد واحد ، حتى أتى على شطر المقتولين منهم ، وكانوا سبعين قتيلا " (٣).

وهذا من الافتراء ، فانه لم يقل أحد أن عليا رضي الله عنه قتل نصف قتلى بدر ، بل المعروف عند أهل السير أن ما قتله احدى عشر نفسا ، واختلف في ستة أنفس هل قتلهم هو أو غيره ، وشارك في ثلاثة (٤).

---

(١) أبو داود – السنن ج٤ ص ٤٩ . وقال ابن حجر الرواية صحيحة – فتح الباري ج٨ ص ٩٨ .

(٢) الواقدي – المغازي ج١ ص ٦٨ ، ابن حبان – السيرة النبوية ص ١٧١ .

(٣) كشف الغمة ج١ ض ١٨٣ .

(٤) ابن تيمية – منهاج السنة ج٨ ص ٩٥ ، ٩٦ .

ومن الافتراء الذي قاله الشيعة : دعواهم أن علي رضي الله عنه لم يبايع أبا بكر بالخلافة إلا بعد تهديده بالسلاح .

فيقول الطبرسي :

" وكان علي بن أبي طالب عليه السلام ، لما رأى خذلان الناس له ، وتركهم نصرته ، واجتماع كلمة الناس على أبي بكر ، وطاعتهم له ، جلس في بيته .

فقال عمر لأبي بكر : " ما يمنعك أن تبعث اليه فيبايع ؟! ، فانه لم يبق أحد إلا وقد بايع ، غيره وغير هؤلاء الأربعة معه " .

ثم تتابع حديثه : أن أرسل اليه رجل فظ غليظ ، فدخل عليه بغير اذنه ، وسبقه إلى سيفه ، فأخذه وألقى في عنقه حبل أسود ، وحينما تدخلت فاطمة وقعت ، وكسر ضلع من جنبها ، وألقت جنينا في بطنها ، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت بعد ذلك شهيدة .

ثم أتى بعلي عليه السلام ملببا الحبل ، إلى أبي بكر وعمر الذي قام على رأسه بالسيف ، وبعض الصحابة جلوس عنده ، فدعاه عمر إلى البيعة فرفض ، فهدده عمر بالقتل ، فاستشهد بمن عنده من المهاجرين والأنصار بمنزلته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشكا حاله من نكث البيعة ، معه ثم بايع ، وأكره معه كل من الزبير وسلمان والمقداد وأبو ذر على البيعة " (١).

هذا الوصف من الشيعة ، عن الطريقة التي تمت بها بيعة علي رضي الله عنه ، يدل دلالة كبيرة على سعيهم الدائب إلى تشويه صورة صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يتورعون عن أي طريقة يتم بها التشوية ، والا فليس من المعقول أن ينال علي وزوجته فاطمة تلك المعاناة ، والحال لا تستدعي لذلك ، فضلا عن أن يعمد صاحبا رسول الله إلى الايذاء لأي فرد من الأمة ، بل ويصل الأمر أن يكون المعني بذلك علي وفاطمة رضي الله عنهما .

---

(١) الطبرسي – الاحتجاج ص ١٠١ ، ١١٠ .

وقد سبق أن ورد ، ما يدل على مبايعة علي رضي الله عنه برغبة منه ، وبدون اكراه ، وكان يحضر الصلاة خلف أبي بكر ، بل وخرج معه لقتال المرتدين [١].

وأما دعوى اكراه الزبير وسلمان والمقداد وأبي ذر على البيعة ، فلم يقل به أحـد غـير الشيعة فـي مصـادرهم ، بـل المعلـوم أنهـم بـايعوا مـع المسـلمين برغبـة ورضى منهم [٢] .

(١) ابن العربي : العواصم من القواصم ص ٥، ٦ .

(٢) ابن تيمية – منهاج السنة ج٥ ص ٤٨٠ ، ٤٨١ .

المبحث الثاني

أثر العقيدة الصوفية

- تعريفها
- مدخل إلى نشأتها
- منهج الصوفية في التلقي
- أثر الديانات على الصوفية
- تعريف بأهل الصفة
- الصوفية في القرن السابع الهجري
- نموذج من كتاب الصوفية في هذا القرن (ابن عربي)
- أثر التصوف على كتابة السيرة في هذا القرن
- التركيز على شخص الرسول صلى الله عليه وسلم دون بقية سيرته
  (أ) الاحتفال بيوم ميلاده وقصر الكتابة على شخصه
  (ب) الغلو في مدحه
- استخدام حوادث السيرة لتشريع معتقدهم وسلوكهم
- افتراء أحداث في السيرة لتوافق مسلكهم وصدى ذلك عند الناس

تعريف الصوفية :

عند ابن منظور : كل من ولي شيئا من عمل البيت الحرام قبل الإسلام ، وهم الصوفانة[١] .

والتصوف قصد طريقة طائفة مخصوصة ، وهو من باب تفعل إذا دخل في الفعل ، كقولك تقمص إذا لبس القميص[٢] .

يقول الطوسي[٣] كان في الأصل صفوي فاستثقل ذلك ، فقيل صوفي[٤] .

أما تعريفها الذي اشتهر عن أصحابها فيرون فيه الآتي :

يقول سعيد[٥] بن إسماعيل : " التصوف الصحبة مع الله ، بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة ، والصحبة مع الرسول بإتباع سنته ولزوم ظاهر العلم " .

وقال أحمد النوري[٦] : " التصوف ترك كل حظ للنفس " .

أما هذه النسبة فاختلف فيها ، فقيل : أنها نسبة إلى الصفاء ، لما صفت قلوبهم وتنقت من الكدرات ، جعلت لهم هذه النسبة[٧] . وقيل : نسبة إلى الصفة ، وذلك

---

(١) ابن منظور – لسان العرب ج٤ ص ٥٢٨ .

(٢) الأذفوي جعفر بن ثعلب – الموفى بمعرفة التصوف والصوفي ص ٢٥ – الكويت ١٤٠٨هـ

(٣) هو عبدالله بن علي السراج صاحب كتاب اللمع المتخصص بعلوم الصوفية وأخبارها . توفي سنة ٣٧٨هـ . عبدالمنعم خفاجي – الموسوعة الصوفية ص ١٩٩ – دار الإرشاد – القاهرة ١٤١٢هـ .

(٤) الطوسي عبدالله بن علي : اللمع ص ٤٦ – دار الكتب الحديثة – مصر .د . ت .

(٥) هو سعيد بن إسماعيل بن سعيد الحيري ، أقام بنيسابور ثم انتقل إلى خراسان ، ونشر التصوف فيها . توفي سنة ٢٩٨هـ . أبو نعيم أحمد الاصفهاني – الحلية ج١٠ ص ٢٤٤ – دار الكتاب العربي – بيروت ١٣٨٧هـ ، ابن الجوزي – المنتظم ج٦ ص ١٠٦ – عالم الكتب – بيروت ، ابن خلكان – وفيات الأعيان ج٢ ص ٣٦٩ – دار صادر – بيروت .

(٦) هو أحمد بن محمد بن عبد الصمد النوري . ولد في بغداد ونشأ بها ، ويعتبر من أقران الجنيد . توفي سنة ٢٩٥هـ . القشيري عبدالكريم بن هوازن – الرسالة ص ١٤٠ ، تحقيق معروف زريق وعلي عبدالحميد ، دار الجيل – بيروت ١٤١هـ ابن الجوزي – المنتظم ج٦ ص ٧٧ .

(٧) الأذفوي – الموفى ص ٣٩ .

أنهم مجردون من الحظوظ الدنيوية فشابهوا في حالهم أهل الصفة فحصلت هذه النسبة[(١)]. وقيل نسبة إلى لبس الصوف ، وهذه صحيحة من حيث اللغة ، وردها القشيري[(٢)] بقوله : " إن القوم لم يختصوا بلبس الصوف " .

نشأة التصوف :

لم يعرف المسلمون عقيدة التصوف في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ، وإنما كانت حياتهم وفق توجيهاته النبوية في النظرة للدنيا والآخرة ، ولم يتجاوز زهده وزهد صحابته الحد الذي وضعه الشارع الحكيم .

وقد اعترض صلى الله عليه وسلم على النفر الثلاثة الذين زهدوا في الدنيا حينما قال أحدهم : لا أتزوج النساء ، وقال الآخر : أصوم ولا أفطر ، وقال الثالث : لا أنام أبدا ، وذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : " أما أنا فأصوم وأفطر وأنام وأقوم وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني " (٣).

ولهذا كان مجتمع النبي صلى الله عليه وسلم ، ومجتمع خلفائه من بعده يسير وفق تلك القواعد ، فوجد فيهم المعلم والتاجر والمزارع وطالب العلم ، ومنهم الزاهد والغني والفقير ، بعيدون عن الغلو المذموم ، بل عمادهم في نشأتهم التوسط الذي جاءت به الشريعة .

يقول الشاطبي : " إذا نظرت إلى عموم الشريعة ، فتأملها تجدها حاملة على التوسط ، فطرف التشديد يؤتى في مقابلة من غلب عليه الانحلال ، وطرف التحقيق في مقابلة من غلب عليه الحرج الشديد ، فإذا لم يكن هذا ولا ذاك رأيت التوسط دائما هو الأصل الذي يرجع إليه " (٤).

---

(١) الأذفوي – الموفى ص ٣٩ .

(٢) هو عبدالكريم بن هوازن النيسابوري الصوفي . من مصنفاته الرسالة ، وأدب الصوفية توفي سنة ٤٦٥هـ . الذهبي – العبر ج٣ص ٣١٩ . ، ابن العماد – شذرات الذهب ج٣ ص ٣٢ ، ٣٢١ .

(٣) صحيح الإمام البخاري ج٧ ص ١ .

(٤) الشاطبي : إبراهيم بن موسى الموافقات ج٢ ص ١١٣ – دار الفكر . د . ت .

ولا شك في الأثر الذي تركه ذهاب شخص الرسول صلى الله عليه وسلم بعد مماته في أصحابه ، فقد كان لوجوده دور فاعل في وسطية الناس بمنهج حياتهم ، بعيدون عن ما خالف الشرع ، قريبون منه فيما يأمرهم به وينهاهم عنه . وسار على هذا النهج خلفاؤه من بعده لا يتجاوزونه قيد أنملة تحقيقا لوصيته صلى الله عليه وسلم لأمته حينما قال : " فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ " (١).

وما يقال عن أصحاب الصفة وأنهم أول مظهر للصوفية ، فإن أمرهم لا يعدو أن يكون حالة خاصة ، مر بها أولئك النفر من الصحابة ، في ظروف أملتها ضرورة الحياة عليهم ، ومع ذلك كانت لهم مشاركة في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما تغيرت حال المسلمين تفرق أولئك النفر في أرجاء المعمورة يقومون بوظيفتهم في الحياة التي هي الدعوة والجهاد لهذا الدين .

وفي عصر التابعين حصلت متغيرات كثيرة في شؤون الناس وأحوالهم ، فاختلف الأمر عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته . ومن ذلك الإقبال على الدنيا ، والافتتان بها ، فولد ذلك فئة أخرى تركت الدنيا وشهواتها وملذاتها ، ورضيت بالزاد القليل الذي يوصلها إلى الآخرة ، فتحقق التوازن بين هذين الأمرين، فها هو الإمام الذهبي يقول : " هكذا كان زهاد السلف وعبادهم ، أصحاب خوف وخشوع وتعبد وخضوع ، لا يدخلون في الدنيا وشهواتها ولا في عبارات أحدثها المتأخرون من الفناء والاتحاد " (٢).

ولكن الأمر لم يتوقف على ذلك ، فقد دخلت أفكار أجنبية وفلسفات غير إسلامية، فأنتج ذلك أفكار مختلطة من الإسلام والديانات الأخرى كالنصرانية واليهودية والبوذية والمانوية(٣) والمجوسية ، بالإضافة إلى فلسفات أهل اليونان والرومان . والممعن في النظر يجد أن أرباب الفكر الصوفي الأوائل كانوا من الفرس وليس

---

(١) سنن أبي داود – كتاب السنة ج٤ ص ٢٠٠ .

(٢) الذهبي – سير أعلام النبلاء ج٤ ص ٦٠١ – نشر مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٢هـ .

(٣) إحسان الهي – التصوف ص ٤٩ ، ترجمان السنة لاهور ١٤٠٦هـ .

من بينهم أي عربي ، وقد استطاع الحلاج في نهاية القرن الثالث الهجري أن يظهر معتقده ، وقد رد العلماء بكفره وبقتله ، فقتل سنة ٣٠٩هـ[١] .

ولقد أطلت الصوفية بمنهجها المنحرف في مستهل القرن الثالث الهجري . فنقل عن الإمام الشافعي رحمه الله قوله حينما دخل مصر : " تركت بغداد وقد أحدث الزنادقة فيها شيئا يسمونه السماع " [٢].

والسماع معروف أنه من مظاهر العبادة التي يمارسها المتصوفة وتشمل الغناء والرقص وما يصاحبهما من أعمال يتوهم أنها من العبادة .

ونقل عن الإمام أحمد رحمه الله : " التحذير من مجالسة الصوفية " ، بعد أن نقل له كلام للحارث[٣] المحاسبي[٤] .

ثم تجاوزت الصوفية هذه المرحلة إلى مرحلة أخطر منها قادها الجنيد[٥] البغدادي فقد قال : " أفناني بإنشائي لما أنشأني في حال فنائي " [٦]. فالفناء الذي يريده الجنيد أن تفنى نفس العبد عن أفعاله وأعماله لقيام الله في ذلك ، ومصدر هذا عندهم الحب الإلهي الذي يقود إلى فناء العبد حسب زعمهم .

وبدأ أصحاب هذه النحلة يتحدثون عن منهج مستقل لهم ، فظهرت كلمات تشير إلى هذا مثل " طريقتنا " و " مذهبنا " و " علمنا " [٧]، ويزداد بعدهم عن العلماء ، وينشأ عندهم ما يسمى بالعلم الباطن ، بعد أن سموا علم الشريعة العلم الظاهر ،

---

(١) عبدالرحمن عبدالخالق – الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص ٣٣ . مكتبة ابن تيمية الكويت د . ت .

(٢) ابن الجوزي – تلبيس إبليس ص ٣٧٠ – دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٣هـ .

(٣) هو أبو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي . له كتب في الزهد والأصول ، وعرف بزهده . توفي سنة ٢٤٣هـ . ابن خلكان – وفيات الأعيان ج٢ ص ٣٠٧ .

(٤) ابن الجوزي – تلبيس إبليس ص ٣٧٠ .

(٥) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد الخزاز . ولد ونشأ في العراق ، تفقه على أبي ثور صاحب الشافعي ، وهو من سادات الصوفية . ابن خلكان – وفيات الأعيان ج١ ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ابن الجوزي – صفة الصفوة ج٢ ص ٤٢٤ .

(٦) الجنيد : أبو القاسم : رسائل الجنيد ص ٣٢ – نشر دار علي حسن – لندن ١٩٦٢ م .

(٧) محمد العبده وزميله – الصوفية ص ٢٣ – نشر مكتبة الكوثر – الرياض ١٤١٢هـ .

وادعوا عشق الحق والهيمان ، وهؤلاء بين الكفر والبدعة ، وأدخل بعضهم نوعا من الحلول والاتحاد ، وأنواع من ما يخالف الشريعة ويناقضها من أساس . ثم أصبح لهم تراثهم الفكري الخاص ، فصنفوا الكتب التي تحدد منهجهم وترسم معالمه ، وقد كتب في ذلك أبو عبدالرحمن(١) السلمي كتابا سماه " السنن " ذكر فيه من العجب في تفسيرهم للقرآن بما يقع لهم ، من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم .

كما صنف أبو طالب(٢) المكي كتاب " قوت القلوب " اعتمد فيه على أحاديث باطلة لا تستند إلى أصل ، وأورد فيه أن الله يتجلى لأوليائه في الدنيا .

وصنف أبو نعيم(٣) كتاب " الحلية " ألحق فيه الصحابة أبو بكر وعثمان وعلي إلى الصوفية(٤) .

وكتب لهم أبو نصر(٥) السراج كتابا سماه " لمع الصوفية " ذكر فيه اعتقادا لا يوافق الحق(٦) .

أما منهجهم في تلقي النصوص فهو يختلف حسب مراحل نشوء هذا المعتقد ، فقد كان أوائلهم يرون أن التعويل يجب أن يكون على الكتاب والسنة ، وأن لا مرجع

---

(١) هو محمد بن الحسن الأزدي السلمي . له عناية بأخبار الصوفية ، صنع لهم تفسيرا على طريقتهم . قال عنه محمد يوسف القطان : لم يكن ثقة ، وكان يضع الأحاديث للصوفية . توفي سنة ٤١٢هـ . ابن كثير – البداية والنهاية ج١٢ ص ١٢ .

(٢) هو محمد بن علي بن عطية . صنف كتاب قوت القلوب ، ذكر فيه أحاديث لا أصل لها. قال : أنه ليس على المخلوقين أضر من الخالق ، فبدعه الناس وهجروه . توفي سنة ٣٥٦هـ . ابن كثير – البداية والنهاية ج١١ ص ٣١٩ .

(٣) حلية الأولياء ج١ ص ٨ ، ٣٨ ، ٥٥ ، ٦١ – ط٣ – ١٤٠٠هـ .

(٤) يراجع ص٢٨٦ من هذا البحث ففيه تعريف مفصل عنه .

(٥) هو عبدالله بن علي السراج ، صاحب كتاب اللمع المتخصص في علوم الصوفية وأخبارها اقتفى أثره من جاء بعده من مشايخ الصوفية . توفي سنة ٣٧٨هـ . عبدالمنعم خفاجي – الموسوعة الصوفية ص ١٩٩ .

(٦) ابن الجوزي – تلبيس إبليس ص ١٨٨،١٨٩ .

سواهما . فها هو أبو سليمان[١] الداراني يقول : " ربما تقع في نفسي النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة " .

وقال أبو يزيد[٢] البسطامي : " لو نظرتم إلى الرجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء ، فلا تغتروا به ، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود وأداء الشريعة[٣] " .

لكن هذا المنهج لم يستمر لما مرت به الصوفية من انحرافات ، فقد تغيرت عندهم طريقة التلقي وأصبحت العقيدة عندهم بالإلهام والوحي المزعوم للأولياء ، والاتصال بالجن الذين يسمونهم الروحانيين ، والعروج إلى السماوات ، ورؤية الرسول باليقظة والمنام والتلقي منه مباشرة[٤] .

وهذا التغير تبعه تحول في نظرتهم إلى القرآن والسنة في فهمهما والأخذ منهما ، فأصبحوا يفرقون بين العلم الظاهر والعلم الباطن . فالظاهر هو علم الشريعة وما يتعلق بالأعمال الظاهرة من عبادات . أما العلم الباطن فهو كل ما يتعلق بأعمال الإنسان الباطنية المتمثلة بأعمال القلوب كالمقامات والأحوال والإيمان والمعرفة والتواصل .

وبعد الاتصال بأهل الفلسفة ظهر التصوف الفلسفي ، فاتجه أهله إلى التأويل الرمزي كوسيلة للجمع والتوفيق بين العقائد الدينية ، وقد اعتمد على الأفلاطونية التي تقول : " أن الوقوف على ظاهر نصوص الشرع حجاب يمنع من الوصول

---

(١) هو عبدالرحمن بن أحمد بن عطية العنسي ، والداراني نسبة إلى داريا : قرية قريبة من دمشق . روي عنه مقالات عديدة حول الزهد . توفي سنة ٢١٥هـ . ابن الجوزي - صفة الصفوة ج٤ ص ١٨٩ - ١٩٧ .

(٢) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شراسان البسطامي . روى عن إسماعيل المسدى وجعفر الصادق ، روى عنه أشياء مليحة وأشياء مشكلة . توفي سنة ٢٦١هـ . الذهبي - سير أعلام النبلاء ج١٣ ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٣) الهويجري - كشف المحجوب ص ١٣٣ ، ١٣٩ - نشر دار التراث العربي - القاهرة ، د . ت القشيري - الرسالة القشيرية ص ٢٤ ، ابن الجوزي - تلبيس إبليس ص ١٩٢ .

(٤) عبدالرحمن عبدالخالق - الفكر الصوفي ص ٣٧ . دار الكتب العلمية .

إلى حقائق الأمور ، وأن العلم الظاهر بداخله الظن والشك ، والمشاهدة ترفع الظن وتزيل الشك " (١).

ومن منهجهم تأويل النصوص الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وعندهم أن كل كلمة تتضمن معنى باطنيا لا ينكشف إلا للخاصة ، وهم بطبيعة الحال خاصتهم الذين تستقر المعاني في قلوبهم فيؤولونها للناس وفق معتقدهم .

ولهذا فان تأويل الصوفية للنصوص مبني على المزج بين العقل والذوق حتى ولو أدى إلى تناقض في المسائل والعبادات ، وسبب ذلك اعتقادهم أنهم يمنحون من الله أسرار العلم الباطن .

وضروب التأويل عندهم ثلاثة :

التأويل المجازي : الذي يقع في غير الأصول والعقائد ، وذلك حينما يكون النص في ظاهره لا يمكن إدراكه ولا يمكن تفسيره ، فيكون التأويل توضيحا وتفسيرا له .

وهناك التأويل الغالي : وهو الذي يقع في الأصول والعقائد ، التي يقوم عليها الدين ، فيخرجها عن مدلولها الحقيقي ويبعدها عن حدودها الإسلامية(٢) .

وعندهم التأويل الرمزي : وهو تأويل آيات القرآن الكريم بطريقة تخالف ظاهره اعتمادا على إشارات خاصة بهم يعنى بها أرباب الفكر ، وهم يسترونها عن غيرهم وبالذات عن من يخالفهم في طريقهم ، ويزعمون أن لها معان أودعها الله تعالى في قلوبهم فاستخلصوا حقائقها وأسرارها . يقول البسطامي : " إن المؤمن بلا نفس " ، ثم قرأ : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم** ﴾(٣) . فمن باع نفسه فكيف تكون له نفس ؟! " (٤).

---

(١) نظلة الجيوري – منهج التأويل في الفكر الصوفي ص ١٥ ، ١٦ – مكتبة ابن تيمية – البحرين ١٤٠٩هـ .

(٢) نظلة الجبوري – مناهج التأويل في الفكر الصوفي ص ٤٥ .

(٣) سورة التوبة آية ١١١ .

(٤) عبدالرحمن بدوي – شطحات الصوفية ص ١٣٥ – وكالة المطبوعات – الكويت ١٩٧٦م .

ومن تأويلهم للقرآن التأويل الفلسفي ، فيبعد القرآن عن معانيه ويصرفه إلى هدفه وفكرته ومنهاجه الذي يسعى إليه . يقول ابن عربي من صوفية القرن السابع عند قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة** ﴾[١]، اتقوا ربكم : اجعلوا ما ظهر منكم وقاية لربكم ، واجعلوا ما بطن منكم هو ربكم وقاية لكم ، فان الأمر ذم وحمد فكونوا وقايته في الذم ، واجعلوه وقايتكم في الحمد تكونوا أدباء عالين " [٢] .

---

(١) سورة النساء آية ١ .

(٢) ابن عربي : محمد بن علي – فصوص الحكم ج١ ص ٩٢ – دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٤٦م .

أثر الديانات على الصوفية :

اختلط المسلمون بغيرهم من أصحاب الديانات المختلفة التي فتحت بلادهم ، وانتشر الإسلام في تلك المجتمعات ، إلا أن أفرادا من تلك المجتمعات استمرت معهم بعض معتقداتهم الوثنية السابقة ، ولهذا فان المجتمعات الإسلامية الجديدة وقعت في بعض جوانبها تحت تأثير أولئك الأفراد ، نتيجة للمتغيرات التي جدت على أحوال الناس فيها ، بعد انفتاح الدنيا عليهم واستقبال بعضهم لها ، وما جره ذلك على فئة من المسلمين بعدم الاتزان أمامها ، إما بالانزلاق فيها والسير بركابها، أو ردها والوقوف أمامها واختلاق مناهج لا تسترشد بالإسلام في التعامل معها ، كما فعلت الصوفية حينما وقعت تحت تأثير نحل مختلفة ومتنوعة ، ومن ذلك سلوك الهنود فان بعض أحوال الصوفية كانت مشتهرة عند فلاسفة الهنود ، فهذا الفيلسوف الهندي برخمنين(١) يقول : " أي امرئ هذب نفسه وأسرع الخروج عن هذا العالم الدنس وطهر بدنه من أوساخه ، ظهر له كل شيء وعاين كل غائب وقدر على كل متعذر " (٢).

ونتيجة لنمو هذه الأفكار وتطورها عند الصوفية جاء منهم من يقول بعدم الزواج، والتقلل مما يعين عليه ، من الأكل والشرب ، لتضعف النفس والبدن . والصوفية تعنى بهذه الأمور وتقوم عليها . ومن النحل التي تأثرت بها الصوفية فلاسفة اليونان أمثال أرسطو وأفلاطون . فالبهجة – عند أرسطو – تكون بالمعرفة المجردة عن المحسوسات التي يحقق فيها العبد الاتصال مع الخالق واجب الوجود وهذه لا تكون للإنسان إلا قليلا . وهذا ما يلتقي فيه أرسطو مع الصوفيين ، في موضوع إمكان الاتصال مع الله تعالى ، وبما عرف بشرح الصدر ، بواسطة نور يقذفه الله بالصدر(٣) ، وهو ما يعرف بالفلسفة الإشرافية .

---

(١) برخمنين : ذكره الشهرستاني ، في الملل والنحل ج٢ ص ٢٦٢ .

(٢) الشهرستاني – الملل والنحل ج٢ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٣) أسعد السحمراني – التصوف منشؤه ومصادره ص ٥١ – دار النفائس – بيروت ١٤٠٧هـ

ويقول أرسطو : " أن النفوس الإنسانية إذا استكملت قوتي العلم والعمل ، تشبهت بالإله سبحانه وتعالى ووصلت إلى كمالها " [١] .

وهذا ما وصل إليه المتصوفة ، من زعم الإلهية والقول بوحدة الوجود والحلول

وحيث ركز فلاسفة اليونان على النفس الإنسانية والسمو بها حتى تتخلى عن الالتصاق بالعالم الخارجي وتستطيع الوصول إلى الكمال ، فقد هدف الصوفية إلى ذلك من خلال السلوكيات التي يعملون بها وينادون إليها .

ومن المصادر التي أخذت منها الصوفية المجوسية الفارسية ، فقد اندمجت المجتمعات الفارسية في مجتمع المسلمين الجديد الذي دخل عليها بعد الفتح وسقوط إمبراطوريتها . واعتنق أهل هذه المجتمعات الإسلام ، واندفعوا ينهلون منه ما يقوم حياتهم . ومعلوم أن للفرس قاعدتهم الروحية والمادية ، التي كانوا يبنون عليها حياتهم ، وقد وجدوا في الإسلام مجالا خصبا لحرية التفكير والتنظير ، فاستغلها أفراد منهم على ما فيه من رواسب قديمة من ديانته السابقة . وحين جاءت حركة الترجمة والتحليل للتراث الفارسي ، كان لهذا الجانب دور في التأثير لدى بعض المسلمين من الفرس في تفكيرهم .

ولهذا نجد أن نظرية الاتصال القائمة عند الصوفية مصدرها فارسي ، وكذلك القداسة التي يحظى بها مشايخ الصوفية من أتباعهم كانت من مظاهر حياة الأكاسرة في التعامل مع شعوبهم[٢] . كما أن لمزدك الفارسي والذي ظهر أواخر القرن الخامس الميلادي رأي في : " أن للدين ظاهر وباطن ، وأن عيب رجاله استغنائهم بالظاهر عن الباطن " . كما دعا إلى الزهد والرحمة وغيرها من الصفات التي صارت فيما بعد مظهرا من مظاهر الحياة الصوفية[٣] .

ومن الأديان التي تأثرت بها الصوفية الديانة اليهودية ، وما دعوة الصوفية إلى التأويل الباطني للنصوص ، إلا صورة من منهج اليهود ، الذين انتهجوا التأويل في

(١) الشهرستاني – الملل والنحل ج٢ ص ١٣٣ .

(٢) سارة الجلوي – نظرية الاتصال عند الصوفية على ضوء الإسلام ص ٣٤٦ – دار المنارة – جدة ١٤١٤هـ .

(٣) الشهرستاني – الملل والنحل ج٢ ص ٢٤٩ .

التوراة بعد أن تشبعوا بالثقافة اليونانية ، وشعروا باحتقار اليونان لدينهم ، فعمدوا إلى التأويل في نصوص التوراة مؤكدين أن لها معنى ظاهرا ومعنى باطن(١) .

ثم إن للدور الذي قام به عبدالله بن سبأ اليهودي أثر حين قدم من اليمن ، لبث أفكاره المنحرفة في أوساط المسلمين ، والذين تنبهوا لكيده ومكره ، فطاردوه حتى استقر به المقام في مصر ، فأصبح يروج لفكرته بينهم والتي تقول :

" أن للقرآن ظاهرا وباطنا تنزيلا وتأويلا ، وأن المسلم المدرك للإسلام العارف له يغوص في أعماق القرآن ليستخلص الأمر والنهي " (٢) .

ولم يقف اليهود عند هذا الحد في التأثير على المسلمين ، وبالذات أصحاب النحل المنحرفة ، فقد استطاعوا الدخول إلى كتب التفسير ، بعد أن أعياهم القرآن الكريم ، وذلك بإلحاق الأحاديث المكذوبة والخرافات المنحرفة ، وهو ما عرف بالإسرائيليات في تلك الكتب .

وهذا المنهج فتح الباب للصوفية لدعم آرائهم ونظرياتهم من هذه الإسرائيليات(٣).

أما تأثير النصرانية على الصوفية فقد كان أشد عليها من غيرها ، وذلك أن الناظر في سلوك ومعتقدات النصارى يجد صورتها عند الصوفية . ولعل من أسباب ذلك ، قرب النصارى من المسلمين ، واختلاطهم بهم سواء أكان ذلك في المجتمعات الإسلامية التي فتحت وكانت في السابق موطنا للنصارى وبقي بعض أهلها على دينهم ، أو كان ذلك بسبب العلاقة المختلفة بينهم وبين المسلمين سواء أكان منها حربيا تفوق فيه النصارى على المسلمين في وقت ضعفهم ، أو كان ذلك بمودة بعض المسلمين لهم أثناء بسط نفوذهم على أراضي المسلمين في الشام ومصر والأندلس ، وللقوي أثر على الضعيف بمحاكاته وتقليده .

---

(١) علي سامي النشار - الفكر الفلسفي في الإسلام ج١ ص ٧١ - ٧٤ - دار المعارف - مصر ١٩٧٥م .

(٢) الشهرستاني - الملل والنحل ج١ ص ١٧٤ .

(٣) سارة الجلوي - نظرية الاتصال عند الصوفية ص ٢٣٢ .

وقد أدرك المسلمون ذلك في حينه ، فينقل ابن الجوزي : " أن حماد[١] بن سلمة قدم البصرة ، فجاء فرقد[٢] السبحي وعليه ثوب صوف ، فقال له حماد ضع عنك نصرانيتك هذه فلقد رأيتنا ننظر إبراهيم[٣] - يعني النخعي - يخرج علينا وعليه معصفرة " [٤] . وهذا لون من المحاكاة الظاهرية .

أما في المعتقد فان الصوفية التي قالت بالحلولية قد استخدمت في ذلك ألفاظ النصرانية ، وقد قال الحلاج أبيات تدل على هذا المعنى منها :

سبحان من أظهر ناموسه سرسنا لاهوته الثاقب[٥]

وهذا من المفاهيم النصرانية التي تقول أن عيسى عليه السلام يتكون من طينة بشرية والاهية وأنهما امتزجتا .

كما أن مظهر التقديس للشيخ صاحب الطريقة الصوفية ، عند النصارى مثيله - هو تقديس القساوسة والرهبان - بالاضافة إلى عزوفهم عن الزواج ، والانقطاع عن الناس ، والرضى بشظف العيش ، واهمال النفس وحاجاتها .

---

(١) هو أبو سلمة مولى لبني تميم . عرف عنه الزهد في الدنيا ، وله مقالات حسنة في ذلك. توفي سنة ١٦٨هـ . ابن الجوزي - صفة الصفوة ج٣ ص ٢٤٣ ، الذهبي - تذكرة الحفاظ ج١ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ - نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٠٢هـ .

(٢) هو فرقد بن يعقوب السبحي ، له مقالات في الزهد وترك الدنيا ، أسند عن أنس بن مالك وسمع من كبار التابعين ، وشغله التعبد عن حفظ الحديث فلذلك يعرض النقلة عنه . توفي سنة ١٣١هـ . ابن الجوزي - صفة الصفوة ج٣ ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٣) هو إبراهيم بن يزيد النخعي . له مكانة في رواية الحديث ، أدرك بعض الصحابة . توفي سنة ٩٥هـ . ابن الجوزي - صفة الصفوة ج٣ ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٤) ابن الجوزي - تلبيس إبليس ص ٢١٩ .

(٥) ابن الجوزي - تلبيس إبليس ص ٤٧١ .

أهل الصفة :

قدم إلى المدينة عدد من المسلمين بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم لا يحملون شيئاً من أموالهم وقد التحق بهم من شابه حالهم من الأنصار ، وكانوا في بداية أمرهم يقيمون في المسجد النبوي ، فإذا دخل المساء فرقهم النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه يطعمونهم ويبقى قسم منهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بنى لهم صلى الله عليه وسلم في مؤخرة المسجد ليقيموا فيه من جهته الشمالية[١]وكان هؤلاء النفر يعيشون حالة من الفقر والفاقة ليس لهم مصدر رزق يعينهم ، بل إن حالهم وصلت إلى عدم ستر غالب أجسامهم وفي ذلك يقول أبو هريرة رضي الله عنه : رأيت ثلاثة رجال من أهل الصفة يصلون خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لهم أردية[٢] ، وكان منهم من يسقط وهو قائم من شدة الجوع ، ولم يكن لهم عدد يعرفون به ولذلك يزيد عددهم وينقص تبعا لأعداد القادمين إلى المدينة من ذوي الحاجة[٣] .

أما بالنسبة لدورهم في مجتمع المدينة فان حالهم هذه لم تمنعهم عن القيام بدور يعرفون به ، فقد استغلوا أوقاتهم في طلب العلم والعبادة ، وبرز منهم في ذلك كل من أبي هريرة وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما .

وقسم آخر ظهر بلاؤه في الجهاد في سبيل الله ، فقد شاركوا في غزوات متعددة منها بدر وأحد والحديبية وخيبر وتبوك[٤] .

وهذه الصورة التي عرضناها عنهم تنفي ما يقال عن انقطاعهم للعبادة ، حيث يقول السهروردي : " فأهل الصفة رفضوا الدنيا وكانوا لا يرجعون إلى زرع

---

(١) السخاوي : رجحان الكفة في بيان نبذة من أخبار أهل الصفة ص ١٢٦ ، دار السلف الرياض ١٤١٥هـ .

(٢) ابن سعد : الطبقات جـ ١ ص ٢٥٣،٢٥٤ .

(٣) السمهودي : علي بن أحمد - وفاء الوفاء ج١ ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ - دار إحياء التراث - بيروت ١٤٠٢هـ .

(٤) أبو نعيم - الحلية ج١ ص ٣٥٢ - ٣٧٣ .

ولا إلى ضرع " (١). فقد فهموا العبادة بمفهومها الاسلامي الشامل التي تعنى بكل جوانب الحياة من الاهتمام بالدنيا ، فيما أحل الله لعباده ، وما يدعيه بعض الصوفية عنهم من ترك الدنيا هو من اضطراب مفهوم العبادة لدى المتصوفة والذي انعكس أثره على مجتمع المسلمين .

(١) السهروردي : عبد القاهر بن عبدالله : عوارف المعارف - مكتبة القاهرة ١٣٩٣هـ .

الصوفية في القرن السابع الهجري :

لقد كان للصوفية في هذا القرن أثر واضح في كافة البلاد الاسلامية نظرا لتنامي أفكارهم ووجود قادة لهم ، فعلق بهم عامة الناس في كافة الأقطار ، فورثوا ما عرف بالطرق الصوفية .

وباستعراض حال العالم الاسلامي نجد أن تنامي الفكر الصوفي قد بدأ في المغرب والمشرق .

ففي المغرب : كان لتشجيع السلوك الصوفي وإقرار مناهجه بالاحتفاء برجاله أوجد قوة لهذا السلوك الذي حمله معتنقوه إلى أماكن مختلفة(١) في العالم الاسلامي

وفي المشرق كانت نشأة التصوف الملتزم ، والذي انحرف فيما بعد عن مساره القويم إلى طرق نأت بعه عن الإسلام ، حيث الطريقة الرفاعية في العراق ، والتي كان لها اتصال بصوفية مصر ، فقد هاجر اليها عدد من أتباعها بعد سقوط بغداد(٢) كما وصل عدد من صوفية المغرب والأندلس إلى بلاد مصر والشام ، ولذلك كانت مصر موطنا لكبار الصوفية في القرن السابع الهجري ، حيث كانت مركز الدفاع عن المسلمين ضد التتار والصليبيين الذين اكتسحوا العالم الاسلامي . ومن أشهر من سكنها من كبار الصوفيين الذين قدموا من المغرب ، السيد البدوي(٣) صاحب الطريقة البدوية ، والشاذلي صاحب الطريقة الشاذلية ، وابراهيم الدسوقي(٤) صاحب الطريقة الدسوقية .

---

(١) ابن عذارى – البيان المغرب ج٤ ص ٧ – ١٠ _، عامر النجار – الطرق الصوفية في مصر ص ١٣٥ _ نشر دار المعارف _ القاهرة ١٩٨٦م .

(٢) ابن كثير – البداية والنهاية ج١٢ ص ٣١٢ ، الذهبي – العبر ج٣ ص ٧٥ .

(٣) هو السيد أحمد البدوي . ولد بفاس سنة ٥٩٦هـ ، ثم سافر إلى مكة ومنها رجع واستقر في مصر ونشر طريقته بها ، ولم يكن له نتاج فكري سوى بعض الأوراق ، وكان لناصريه أثر في انتشار طريقته . توفي بطنطا سنة ٦٥٧هـ . الحفني – الموسوعة الصوفية ص ٤٣ ، ٤٤.

(٤) هو إبراهيم الدسوقي . ولد عام ٦٠٠هـ ، وهو صاحب الطريقة الدسوقية التي انتشرت بمصر وسوريا وتركيا . وقيل أنه قال عن نفسه أنه عين الله . توفي سنة ٦٩٦هـ . =

كما أن الشام هي الأخرى قد وفد اليها أعداد من صوفية المغرب والأندلس ، أمثال ابن عربي وعبد الحق بن سبعين وغيرهم .

وشيوع هذه الطرق في هذا القرن هو تعبير عن محاولة الرجوع إلى الذات بعد تلك المعاناة التي تلقاها المسلمون ، ولكنه تعبير لم يكن موفقا في رد تلك المعاناة أو التقليل منها على الأقل ، بل كان لتجسيد تلك المعاناة بصورة أخرى هو الانتقال بأمور لا تقدم للمسلمين سببا في تغير أحوالهم .

نموذج لكتاب السيرة من الصوفيين :

- ابن عربي :

هو محيي الدين بن عربي أبو بكر محمد بن علي بن محمد الطائي الأندلسي الصوفي . ولد بمرسية سنة سبعين وخمسمائة ، ونشأ بها ، ثم انتقل إلى اشبيلية في سنة ثمان وستين وخمسمائة ، وبعدها تنقل في عدد من البلاد ، فذهب إلى الشام وزار مدينة بغداد وحدث فيها ، وزار الحرمين ، واستقر به المقام في دمشق حيث أمضى فيها بقية حياته . عمل أول حياته كاتب انشاء ثم تركها وتزهد ، وكانت وفاته سنة ٦٣٨هـ بدمشق ، ودفن فيها .

وقد عرف عنه حبه للوحدة والانعزال عن الناس ، ولم يكن يجتمع إلا مع أفراد[١]. " وقد انقطع للتأليف فكتب عددا من المؤلفات ، ومن أشهرها " الفتوحات المكية " في نحو عشرين مجلدا ، وله كتاب فصوص الحكم ، وكتب في السيرة النبوية عن المولد النبوي ، كما اختصر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وله ديوان شعر " [٢].

=الحفني الموسوعة الصوفية ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، عامر النجار - الطرق الصوفية بمصر ص ٢٢٣ .

(١) الذهبي - العبر ج٣ ص ٢٣٣ ، ابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب ج٥ ص ١٩٠ .

(٢) ابن كثير - البداية والنهاية ج٩ ص ٥٦ .

شيوخ ابن عربي :

تتلمذ ابن عربي على عدد من العلماء منهم نجيه[١] بن يحيى بن خلف بن نجيه، ولم يوثقه غير ابن الأبار الشيعي الذي يظهر الوصاية لعلي رضي الله عنه ، وينال من معاوية رضي الله عنه . توفي سنة ٦٥٨هـ [٢].

ومن شيوخه محمد بن سعيد[٣] بن زرقون وهو مجهول الحال . ومنهم أيضا محمد بن أحمد[٤] بن عبدالملك بن موسى بن عبدالملك . نقل الذهبي : " أنه قد اضطرب في باب الرواية فجلب عليه ذلك الظنة ، وأطلق الألسنة عليه " .

كما أخذ ابن عربي من قاضي دمشق الجمال[٥] الحرستاني . ونقل الذهبي أنه لما ولي محيي الدين القضاء لم ينب عنه الجمال لعلمه بمعتقده الباطل " [٦] .

---

(١) أبو الحسن الأشبيلي نجيه بن يحيى بن نجيه ، استوطن مراكش . توفي سنة ٥٩١هـ ، يعد من القراء . الفاسي محمد بن محمد – العقد الثمين ج٢ ص ١٦٠ _ نشر مؤسسة الرسالة _ بيروت ١٩٤٦م تحقيق حامد الفقي .

(٢) الذهبي – سير أعلام النبلاء ج٢١ ص ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، الفاسي – العقد الثمين ج٢ ص ١٦٠ .

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن أبي الطيب سعيد بن أحمد بن سعيد . ولي قضاء سبتة ، وحدث عنه بعض تلاميذه ، توفي سنة ٥٨٦هـ . الذهبي – سير أعلام النبلاء ج٢١ ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، الصفدي صلاح الدين خليل – الوافي بالوفيات ج٣ ص ١٠٢ . جمعية المستشرقين الألمانية ١٤٠٢هـ .

(٤) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدالملك ، عني بالرأي ، وحفظه ، تقلد قضاء مرسية و شاطبة مرات . توفي سنة ٥٩٩هـ . الذهبي – سير أعلام النبلاء ج٢١ ص ٣٩٨ ، ٣٩٩ .

(٥) هو أبو القاسم عبدالصمد بن أبي الفضل بن علي بن عبدالواحد الدمشقي ، طلب العلم وبرع في مذهب الشافعي ، وأخذ عنه جمع من العلماء . توفي سنة ٦١٤هـ . الذهبي سير أعلام النبلاء ج٢٢ ص ٨٠ – ٨٤ ، الفاسي – العقد الثمين ج٢ ص ٢٦١ .

(٦) الذهبي – سير أعلام النبلاء ج٢٢ ص ٨١ – ٨٢ ، الفاسي – العقد الثمين ج٢ ص ١٦٠ – ١٦٦ ، عبدالقادر السندي – كتاب ابن عربي الصوفي ص ٣٣٩ .

كما سمع من زاهر [١] رستم بمكة . وقد أثنى عليه الذهبي بقوله :
" زاهر رستم العادل العالم المفتي المجدد القدوة " .
ثم قال : " الصوفي المجاور امام المقام" [٢].

وبعد هذا يتضح أن ممن تتلمذ عليه ابن عربي سليم المعتقد ، أما البعض الآخر ففيه التشيع ، وبعضهم تجهل حاله . وبهذا يمكن القول أن لتعلمه دور في انحراف معتقده بالاضافة إلى اطلاعه على ثقافات الامم السابقة وتراثها الفلسفي ، واعتناقه لمعتقد الصوفية الذي جعله يتدرج في الغلو والانحراف ، حتى وصل إلى تلك المرحلة والتي بها خرج من ربقة الإسلام .

تلاميذ ابن عربي :

أخذ عنه جماعة من الناس كما هي حال غيره ممن يتصدر للناس ، ولم تذكر المصادر عن تلاميذه إلا النزر اليسير ، ولعل هذا يعود إلى شغل الكتابة لوقته ، أو لبعد الناس عنه لمعرفتهم بأمره . ومن أشهر تلاميذه الصدر [٣] القونوي ويعرف بصاحب ابن عربي . وقد طعن العلماء في معتقده[٤] .

ومن أشهر من تتلمذ على يديه الحافظ بن المسدى ، وهذا الرجل عرف عنه ولائه للزيدين بمكة ، وتكلمه في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . ونقل عنه قوله في شيخه ابن عربي أنه : " كان ظاهري المذهب في العبادات ، باطني النظر في الاعتقادات " [٥] .

---

(١) هو أبو شجاع الأصبهاني الشافعي . أخذ العلم عن جمع من العلماء وحدث عنه آخرون ، صحب الزهاد وجاور مدة . توفي سنة ٦٠٩هـ . الذهبي – سير أعلام النبلاء ج٢٢ ص ١٧ ، ١٨ .

(٢) الذهبي – سير أعلام النبلاء ج٢٢ ص ١٧ ، ١٨ .

(٣) هو محمد القونوي صاحب ابن عربي ، له تفسير الفاتحة . من أعلام الصوفية في عصره . توفي سنة ٦٧٢هـ . الشعراني عبدالوهاب بن أحمد – الطبقات الكبرى ج١ ص ٣٠٣ . دار الفكر العربي ، القاهرة د . ت .

(٤) الفاسي – العقد الثمين ج٢ ص ١٦٠ ، الشعراني – الطبقات ج١ ص ٣٠٣ .

(٥) الفاسي – العقد الثمين ج٢ ص ١٦٠ .

وقد ذكر الصفدي عن ابن عربي أنه برع في علم التصوف ، وله فيه مصنفات عديدة ، ولقي جماعة من العلماء المتعبدين وأخذوا عنه[١] ، وهؤلاء لم تكن رواياتهم في الحديث والفقه ، وانما في التصوف ، مع أن أسماءهم مجهولة لم يحددها المصنف .

أقوال العلماء فيه :

قال الحافظ العراقي : " وقوله في قوم نوح ﴿ **ولا تذرن آلهتكم** ﴾ إلى آخره ، كلام ضلال وشرك ، واتحاد والحاد ، لجعل تركهم لعبادة الأوثان التي نهاهم نوح عن عبادتها جهلا يفوت عليهم من الحق بقدر ما تركوا " [٢].

وقال أبو حيان[٣] الأندلسي فيه : " ومن بعض اعتقادات النصارى استنبط ، من أخذ بالاسلام ظاهرا وانتمى إلى الصوفية حلول الله في الصور الجميلة ومن ذهب من ملاحدتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة " ، وعد جماعة منهم ثم قال : " وابن عربي المقيم بدمشق ، وابن الفارض[٤] ، وأتباع هؤلاء كابن سبعين[٥] " ، وعد جماعة ثم قال : " انما سردت هؤلاء نصحا لدين الله - يعلم الله ذلك - شفقة على ضعفاء المسلمين ، وليحذروا منهم ، فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله

---

(١) الوافي بالوفيات ج٢ ص ١٧٣ .

(٢) البقاعي برهان الدين - مصرع التصوف ص ٥٢ تحقيق عبدالرحمن الوكيل . دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت .

(٣) هو محمد بن يوسف . قال عنه الذهبي : حجة الرب وعالم الديار المصرية . ولد سنة ٦٥٤هـ . البقاعي - مصرع التصوف ص ١٥٦ .

(٤) هو عمر بن علي بن رشد الحموي المصري . شاعر يقول بوحدة الوجود ، له قصيدة عرفت بالتائية تحمل تصوراته العقدية . توفي سنة ٦٣٢هـ . ابن خلكان - وفيات الأعيان ج١ ص ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، الذهبي - سير أعلام النبلاء ج٢٢ ص ٣٦٨ .

(٥) هو أبو محمد عبدالحق بن محمد بن عبدالحق بن سبعين ، قال بوحدة الوجود فكفره علماء المغرب فقدم إلى المشرق فجاور بمكة . مات سنة ٦٦٩هـ . الذهبي - العبر ج٣ ص ٣٢٠ ، ابن العماد - شذرات الذهب ج٥ ص ٣٣١ .

ورسله ، ويقولون بقدم العالم ، وينكرون البعث ، وقد أولع جهلة ممن ينتمي إلى التصوف بتعظيم هؤلاء وادعائهم أنهم صفوة الله " [(١)].

ونقل الفاسي عن ابن تيمية قوله : " إن صاحب هذا الكتاب المذكور الذي هو فصوص الحكم ،وأمثاله ، مثل صاحبه الصدر القونوي ، والتلمساني[(٢)] ، وابن سبعين ، والتستري[(٣)] ، وأتباعهم ، مذهبهم الذي هم عليه : أن الوجود واحد ، ويسمون: أهل وحدة الوجود ، ويدعون : التحقيق والعرفان ، وهم يجعلون وجود الله عين وجود المخلوقات ، فكل ما تتصف به المخلوقات ، من حسن وقبيح ومدح وذم ، انما المتصف به عين الخالق " [(٤)].

تراثه العلمي :

خلف ابن عربي عددا كثيرا من المؤلفات ، قدر عددها بأربعمائة كتاب ، تصب في اتجاهه الفكري العقدي ، ومن أشهرها الفتوحات المكية ، وفصوص الحكم ، وشرح أسماء الله الحسنى ، وشرح الذخائر ، والاعلان ، وشرح ترجمان الاستواء وديوان شعر أكثره في التصوف ، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدب وتصوير آدم على صور الكمال[(٥)] .

أما كتبه **في السيرة** فقد كانت كتاب : " اختصار سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم " ، و " كتاب مولد النبي صلى الله عليه وسلم " .

وقد قال في مقدمة كتاب " اختصار سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم " : أنه اختصر هذا الجزء حتى يسهل على المريد حفظ نسب النبي ، وصفته في خَلقه

---

(١) البقاعي – مصرع التصوف ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) هو سليمان بن علي بن عبدالله بن علي ، له ديوان شعر . توفي سنة ٦٩٠هـ ، ابن العماد – شذرات الذهب ج٥ ص ٤١٢ .

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد البخيري الأندلسي ، له ديوان شعر تغنى به الصوفية . توفي سنة ٦٦٨هـ . الفاسي – العقد الثمين ج٢ ص ١٦٦ .

(٤) الفاسي – جزء فيه عقيدة ابن عربي ص ١٨ ، ١٩ .

(٥) الزركلي – الأعلام ج٦ ص ٢٠٨١ .

وخُلقه وسيرته . وعبارته هذه تدل على أنه قصد بذلك التسهيل على أتباعه الصوفية حفظ هذا الجانب ، من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو ما يتعلق بشخصه ، دون ذكر الأحداث الأخرى التي في السيرة النبوية .

وقد تحدث في الفصل الخاص بمولد النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الكتاب بما يناسب معتقده الصوفي ، فأول بعض النصوص الصحيحة ، وافترى نصوصا ليس لها أصل تعتمد عليه .

ومن ذلك ما قال : أنه روى أن والده مات والنبي صلى الله عليه وسلم لم يتجاوز سبعة أشهر ، فقالت الملائكة : الهنا وسيدنا ، يبقى نبيك هذا يتيما ؟! ، فقال الله عز وجل للملائكة : (أنا له ولي وحافظ وتعبدوا وتبركوا بمولده فمولده ميمون مبارك) ، وفتح الله لمولده أبواب السماء وجنانه(١) .

ولا شك أن ابن عربي جاء بهذا النص – الذي لم يذكر له سند – حتى يعتمد عليه ، كما أن النظرة الأولى لهذا النص تكفي للحكم عليه بعدم مناسبته للشريعة ، وابن عربي ما جاء به إلا ليضل الناس ويوهمهم بمشروعية بدعة المولد النبوي ، التي جعل منها مدخلا لترويج بدعه وضلالاته .

وينقل ابن عربي(٢) أن آمنة أم الرسول صلى الله عليه وسلم تقول عن نفسها : " أتاني آت حين مر من حمله ستة أشهر ، فوكزني برجله في المنام ، وقال : يا آمنة !! ، انك حملت بخير العالمين طرا ، فاذا ولدتيه فسميه محمدا وأكتمي شأنه "(٣).

إلى غير ذلك من الروايات التي أوردها ، حول حمل النبي صلى الله عليه وسلم ومولده ، وما رأت آمنة من رؤيا منامية حول ذلك ، لا يقطع

---

(١) ابن عربي محمد بن علي – اختصار سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٣٦ . تحقيق كمال الدين وعز الدين ، دار ابن زيدون ، بيروت د . ت .

(٢) اختصار سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ص ٣٦ .

(٣) تفرد به أبو نعيم وهو ضعيف جداً . ابن حجر الهيثمي – مولد النبي صلى الله عليه وسلم ص ٤٤ ، ٤٥ . هامش رقم (٢) تعليق أبو الفضل الأثري ، دار الصحابة طنطا ١٤١١هـ .

بصحة شيء منها [١].

كما أورد في المعجزات عن شيء حدث في عصره ، وهو اعتزام أهل اشبيلية قطع نخلة كادت تسقط على بيوتهم ، فرأى أحدهم في المنام أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكي حالها ، فمسح عليها فاعتدلت ، ولم تقطع[٢].

وايراد مثل هذه القصة ، هو بلا شك سعي من ابن عربي إلى تأكيد دعواه الاتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قال ذلك أكثر من مرة .

أما كتابه **مولد النبي صلى الله عليه وسلم** فقد بدأ حديثه بمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ونقله بهذا المدح من طبيعة البشر إلى طبيعة الهية ، ثم تحدث عن مكانته في هذا الكون وكيف أن خلقه قد بدأ قبل آدم ، ثم تحدث عن نسبه وعن أمه ، وأورد القصص والحكايات حول ما جرى له في ولادته ، ثم استعرض بايجاز شديد عن رضاعته ، وكفالة جده ثم عمه أبي طالب له ، ثم سفره إلى الشام، ثم زواجه من خديجة ، ثم تحنثه في الغار ونزول الوحي عليه .

وقد أورد فيه ما يعطي الصور الواضحة عن معتقده في الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول :

" وجعل الانسان الأكمل نقطة الدائرة ، وخليفة في الوجود يمد كلا منه بالعدل والاتقان " [٣] .

وقال أيضا : " وكيف لا تحمده الكائنات وهو سبب وجودها وتعينها من غيب الكتمان " [٤].

ويقول أيضا : " انما جعل راعيا للغنم قبل درك الأحلام ، تنبيها على أنه الراعي الأعظم المتصرف المستخلف على تدبير العالم " [٥].

---

(١) أكرم العمري – السيرة النبوية الصحيحة ج١ ص ٩٨ ، ٩٩ _ نشر مكتبة العلوم والحكم_ المدينة .

(٢) اختصار سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ص ١٢١ ، ١٢٢ .

(٣) مولد النبي صلى الله عليه وسلم ص ٤٨ – مخطوط بجامعة الملك سعود رقم ١١٧٨ .

(٤) مولد النبي صلى الله عليه وسلم ص ١٣ .

(٥) مولد النبي صلى الله عليه وسلم ص ١٣ .

وهكذا يتبين لنا أن من تعظمه الصوفية ، - وهو ابن عربي - يعتقد بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه ليس بشرا ولا رسولا ، انما هو الذات الالهية ، فمنه التكوين ، وهو أصل الكائنات ، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس ، وسبب وجودها [١].

---

(١) مولد النبي صلى الله عليه وسلم ص ٣ .

أثر التصوف على كتابة السيرة النبوية

١- التركيز على شخص الرسول دون بقية سيرته .

(أ) الاحتفال بيوم ميلاده ، وقصر الكتابة على شخصيته .

(ب) الغلو في مدحه .

٢- استخدام حوادث السيرة لتشريع معتقدهم وسلوكهم .

٣- افتراء أحداث في السيرة لتوافق مسلكهم وصدى ذلك عند الناس في هذا القرن .

التركيز على شخص الرسول صلى الله عليه وسلم :

(أ) الاحتفال بالمولد النبوي :

لم يعرف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم وسار على نهجهم أفرادا وجماعات ما طرأ على حياة الناس فيما بعد ، من بدع مختلفة ، كان منها الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم . وذلك لأنه لما اختلط المسلمون بغيرهم من ذوي العقائد المختلفة والنحل المنحرفة في فترة ضعفهم بسبب عدم التزامهم بدينهم ، ظهرت تلك البدع والتي كانت تقام في وضح النهار ، دون منكر لها ، كما هي بدعة المولد النبوي ، والتي أحدثها ورعاها حكام الدولة العبيدية في مصر(١) .

وقد تعززت هذه الظاهرة في نفوس المسلمين بعدما ازداد ضعفهم وهوانهم وتقليدهم لغيرهم ، فأصبحوا فيما بعد يعملون الموالد محاكاة للنصارى في مولد عيسى عليه السلام ، أو كما يزعمون محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في غير ما شرعه لهم(٢) .

وهذه المحاكاة للنصارى أثرت على تلقي الدين عند الصوفية ، فأصبح توجههم إلى تعظيم شخص الرسول صلى الله عليه وسلم والاهتمام بهذا الجانب على حساب غيره من الجوانب الأخرى في الشريعة ، كما يفعل بعض النصارى من الاهتمام بعيسى عليه السلام ، حتى وصل الأمر بهم إلى جعله هو الاله أو ثالث ثلاثة . وتأثرت الصوفية بهذه النزعة ، فأصبحت تقيم الأعياد والمناسبات التي تعنى بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، كالمولد النبوي ، وبعض أحداث سيرته والتي نقلتهم من هذه المرحلة إلى ما هو أخطر منها .

---

(١) القلقشندي – صبح الأعشى ج٣ ص ٤٩٨ _، المقريزي – الخطط ج١ ص ٤٩٠ .

(٢) ابن تيمية – اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ٢٩٤ _ نشر مكتبة الرياض الحديثة . د . ت .

فيقول ابن تيمية : " إن الغلو في الأنبياء والصالحين قد وقع في طوائف من خلال المتعبدة والمتصوفة ، حتى خالط كثيرا منهم من مذهب الحلول والاتحاد ما هو أقبح من قول النصارى أو مثله أو دونه " (١).

وترسيخا لهذه القناعة عند الصوفية بأهمية المولد النبوي واعتباره من مظاهر معتقدهم فقد صور الصرصري هذه المناسبة بقوله :

" في كل عام لنا من سيد البشر بشارة قرنت بالعيد والظفر " (٢).

ولأهميته عندهم كثرت الكتابة حوله ، فأفردت له كتب تعنى به دون غيره من أحداث السيرة النبوية ، سواء كان ذلك في القرن السابع الهجري ، أو قبله أو فيما بعده(٣).

ولم يقف الأمر عند الكتابة المجردة عن المولد ، بل قد نسجت حوله الخرافات والروايات ، التي لا يعضدها دليل ، ولا تتفق مع منهج ، ولا يصلها سند ، كما فعل ابن عربي في كتابه مولد النبي صلى الله عليه وسلم (٤).

ومن الظواهر التي تميز بها هذا القرن أكثر من غيره ، الكتابة عن شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، فبالاضافة إلى عنايتهم بمولده من حيث الاحتفال بذكراه والكتابة فيه ، جاء عدد من الكتب التي تعنى بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك بالتركيز على ذكر صفاته الخَلقية والخُلقية وعاداته وفضائله وسلوكه القويم في الليل والنهار(٥) . ومع أن الكتابة في هذا الجانب لم تكن وليدة

---

(١) ابن تيمية – اقتضاء الصراط المستقيم ص ٩٠ .

(٢) يحيى بن يوسف الصرصري : ديوان الصرصري – مخطوط بجامعة الملك سعود ورقة ٤٣ . تحت رقم (ف /٣/١١٣) .

(٣) يرجع إلى ص ٣٣٩ من هذا البحث .

(٤) ابن عربي – مولد النبي صلى الله عليه وسلم – مخطوط بجامعة الملك سعود رقم ١١٧٨.

(٥) فاروق حماد – مصادر السيرة النبوية ص ٥٤ _ نشر دار الثقافة _ الدار البيضاء ١٤١٠هـ.

هذا القرن ، فقد بدأ ذلك الإمام الترمذي – رحمه الله – في كتابه الشمائل ، ثم تبعه آخرون بمناهج مختلفة .

ولكن القرن السابع ولظروفه الخاصة التي حلت بالمسلمين ، جاءت كتابتهم في هذا الجانب من سيرته صلى الله عليه وسلم ، اما لمنهج يمليه معتقد الكاتب كما فعل الصوفية ، أو اجتهاد سببه الغيرة على الدين ، بأن تقديم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصورة ستؤثر في أوساط المسلمين ، ليتجنبوا محاكاة أهل البدع والضلالات في جهالاتهم .

(ب) الغلو في مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

من الظواهر التي تميزت بها الكتابة في السيرة النبوية في هذا القرن والتي كان للصوفية دور في توجيهها ، المدائح النبوية الغالية وهي ظاهرة أدبية نشأت نتيجة لعوامل ومؤثرات مختلفة ، وهي كغيرها من الظواهر تنشأ سليمة ثم يخالطها الجهل وسوء المعتقد ، فتخرج عن اطارها الصحيح .

وقد شاعت هذه المدائح في هذا القرن على ألسنة المتصوفة ، فجاءت مختلفة ومتباينة حسب معتقد قائلها .

ومن أشهر شعرائها في هذا القرن :

١. الأربلي :

وهو علي بن عثمان المعروف بأمين الدين الأربلي . توفي سنة ٦٧٠هـ ، له قصائد عدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنها قصيدة في ست وثلاثين بيتا قال في مطلعها :

بعض هذا الدلال والاذلال   حال بالهجر والتجنب حالي[١]

٢. الصرصري :

هو يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور الصرصري ، ولد سنة ٥٨٨هـ ، ومعظم شعره في مدح النبي صلى الله عليه وسلم . وكان ينظم على البديهة ، أشياء حسنة وفصيحة ، اشتهر بحفظ الكتب والمتون ، وقد قتل في بغداد على يد التتار[٢] سنة ٦٥٦هـ .

---

(١) ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج٢ ص ٥٧ ، تحقيق حسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٣م ؛ الزركلي – الأعلام ج٤ ص٣١١ _، محمد بن حسين – المدائح النبوية ص ٥٣ ، مطابع الفرزدق ، الرياض ١٤٠٦هـ .

(٢) ابن كثير – البداية والنهاية ج١٠ ص ٢١١ .

جاء شعر الصرصري ينضح بالغلو ، ويصور حال غلاة الصوفية في عصره ، ومن ذلك قوله : "

الأولياء الأربعون وندر الأبدال[١] من أتباعك الشهداء " [٢].

وعن اعتقاده بما يزعمه الصوفية عن **الحقيقة المحمدية** يقول :

محمد ذو الخلق العظيم عليه منه أفضل التسليم

طينته من خير ما أديم استخرجت بقدرة الحكيم

إلى أن يقول :

وحل صلب آدم الكريم ونوره من أحسن الوسوم

في وجهه المخصوص بالتعليم وانتقل النور إلى الوجوم

والحقيقة المحمدية عند الصوفية ، اعتقاد أن الرسول صلى الله عليه وسلم أول الموجودات والمخلوقات ، وهو القطب الذي تدور عليه الأفلاك .

يقول القاشاني : " أن محمد أول التعينات ، التي به عين الذات الأحدية ، قبل كل تعيين ، فظهر به ما لا نهاية من التعينات ، فهو يشمل جميع التعينات " ، إلى أن يقول :

" فهو خاتم النبيين ، وأول الأولين والآخرين " [٣].

ومن مظاهر الغلو عند الصرصري ، مناجاته للرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

وقد قصدناك علما أنك العلم الهاد كالذي من نحاه اليوم لم يحر

فارفع بجاهك حاجات تخامرنا إلى الهك يا ذا الجاه والخطر[٤]

---

(١) الأبدال : هم سبعة رجال يسافر أحدهم ويترك جسدا على صورته فيه بحيث لا يعرف أنه فقد ، وذلك على معنى البدل لا غير . الكاشاني عبدالرزاق – معجم اصطلاحات الصوفية ص ٦٢ _ نشر دار المنار _ القاهرة ١٤١٣ _ تحقيق وتعليق د. عبدالعال شاهين.

(٢) ديوان الصرصري ورقة ٢٦٦ .

(٣) شرح فصوص الحكم ص ٣٢٦ _ نشر مطبعة الباب الحلبي _ القاهرة ١٤٠٧هـ ط ٣ .

(٤) ديوان الصرصري ورقة ٤٥ .

٣. البوصيري :

هو محمد بن سعيد بن حماد البوصيري ، ولد سنة ٦٠٨هـ ، ونشأ غير معروف حيث تلقى تعليما متواضعا لا يعد ثقافة عامة . قال جملة من القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم بلغت أربع عشرة قصيدة . توفي سنة ٦٩٦هـ [(١)].

وجاءت مدائحه للنبي صلى الله عليه وسلم وفق معتقد غلاة الصوفية ، ومن ذلك دعواه علم النبي صلى الله عليه وسلم بالغيب ، حيث يقول :

نبي هدى أهدى به الله رحمة　　　لنا لم ينلها عنده القرب والبعد

وحتى رأى ما خلفه وهو مقبل　　　فيغلب تساوى عنده القرب والبعد[(٢)]

ومن مظاهر انحرافه قوله :

محمد خبيت بالنور طينته　　　محمد لم يزل نورا من القدم[(٣)]

ومن انحرافه أيضا زعمه أن الدنيا لم تخلق إلا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم قوله :

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة　　　من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم[(٤)]

وفي قصيدته البردة استعان البوصيري بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عن حلول الحادث العمم

ولن يطيق رسول الله جاهك بي　　　اذ الكريم تجلى باسم منتقم

فان من جودك الدنيا وضرتها　　　ومن علومك علم اللوح والقلم [(٥)]

---

(١) الصفدي- الوافي بالوفيات ج٣ ص ١٠٥ ، زكي مبارك - المدائح النبوية في الأدب العربي ص ١٣٢ .

(٢) ديوان البوصيري ص ١٤٤ ، تحقيق محمد سيد كيلاني - الطبعة الثانية - مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٩٧٣م .

(٣) ديوان الصرصري ص ١٥٥ ، د / مخيمر صالح : المدائح النبوية بين الصرصري والبوصيري . ص ١٥٥ ، مكتبة الهلال ، بيروت ، الدار العربية عمان ١٩٦٨م .

(٤) ديوان البوصيري ص ١٥٥ .

(٥) ديوان البوصيري ص ٤٩ .

وقد ضمن هذه الاستعانة كون النبي صلى الله عليه وسلم هو موجد هذه الدنيا ، وكذا الآخرة ، وعلم النبي صلى الله عليه وسلم بما في اللوح المحفوظ .

ولا شك أنه بهذا الغلو قد وضع النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة الله ، بأن جعله هو المهيمن المتصرف بهذا الكون ، وهذا ما يقوله غلاة الصوفية كابن عربي وغيره .

ويلاحظ في شعر البوصيري أبيات متعددة تقف من أصحاب الديانات المختلفة التي عاش بين أصحابها موقف المتحدي وتصور للباحث عدم التأثر والقناعة بها ، فمن ذلك قوله :

فآخر الناس من كانت عقيدته		في طيها لنشور الخلق تعطيل

وأمة زعمت أن المسيح لها		رب غدا وهو مصلوب ومقتول

فثلثت واحدا فردا نوحده		وللبصائر كالأبصار تخييل [1].

وهذا طعن صريح في عقيدة النصارى التي يقيمون عليها حياتهم .

ومما قاله أيضا :

ما بال من غضب الاله عليهم		حادوا عن الحق المبين ونكبوا

إلى أن قال :

عبدوا وموسى فيهم العجل الذي		ذبحوا به ذبح العجول وعذبوا

وصبوا إلى الأوثان بعد وفاته		والرسل من أسف عليهم تندب[2]

وهذه لا تختلف عن سابقتها في الطعن في اليهود ومواقفهم مع الأنبياء ، وعودتهم إلى الوثنية بعد موسى عليه السلام .

وموقفه الاسلامي هذا من الديانات المنحرفة ، يبين مقدار التحدي الذي واجهه المسلمون في ذلك القرن ، وما ابتلوا به من أولئكم ، الأمر الذي جعل المسلمين يردون عليهم بحدة ، أخرجت بعضهم عن الطريق الوسط الخير العدل ، فأدى إلى الانحراف في الاعتقاد ، والخطأ في التصورات .

---

(١) ديوان البوصيري ص ٢٢١ .

(٢) ديوان البوصيري ص ٢٢١ .

استخدام حوادث السيرة لتشريع معتقدهم وسلوكهم :

يعمد نفر من الصوفية ، خلال تناولهم لبعض أحداث السيرة ، على استغلالها في تشريع بعض أحوالهم ومعتقداتهم ، وذلك من أجل أن تحظى تلك التشريعات بقبول أتباعهم .

فعن خلوة الشيخ وأنها امتداد لخلوة النبي صلى الله عليه وسلم في الغار . يقول السهروردي – بعد أن استعرض نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم وكيفيته – :

" فهذه الأخبار المنبئة عن بدء أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، هي الأصل في ايثار المشايخ الخلوة للمريدين والطالبين ، فانهم اذا أخلصوا لله تعالى في خلواتهم يفتح الله عليهم ما يؤنسهم في خلوتهم ،تعويضا من الله اياهم عما تركوا لأجله " (١).

لقد جعل السهروردي من خلوة النبي صلى الله عليه وسلم في الغار ، وما تلاها من بدء نزول الوحي ، هي الأصل الذي يعتمد عليها مشايخ الصوفية في خلواتهم، وأنهم بهذه الخلوات سيفتح الله عليهم ما يؤنسهم بها ، وذلك تعويضا منه سبحانه لما تركوا من أجله ، وهذا التعويض هو ما ذكره في مكان آخر ، وأنه تلقى الالهام من السماء بدون واسطة ، وهذا أمر لايمكن تصوره بأي حال من الأحوال، لأنه أعلى من احاطة البشرية ، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال :

" ياأيها الناس ، انه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة ، يراها المسلم أو ترى له " (٢).

ومعنى ذلك أن عداها لا يمكن وقوعه ، لا لمشايخ الصوفية ، ولا لغيرهم .

ولتأكيد اتصال مشايخ الصوفية بالسماء ، كما هي حال النبي صلى الله عليه وسلم بنزول الوحي عليه ، يقول السهروردي :

---

(١) عوارف المعارف ص ١٩٥ .

(٢) صحيح مسلم ج٢ ص ٣٤٩ _ نشر دار الحديث بالقاهرة ١٤١٢هـ ط ١ .

" إن الشيخ للمريد كجبريل للرسول صلى الله عليه وسلم ، فالشيخ أمين الالهام، وجبريل أمين الوحي ، وكما لا يخون جبريل لا يخون الشيخ ، فالشيخ مقتديا بالرسول ظاهرا وباطنا " (١).

وهذا تصريح واضح عن اعتقاد بعض الصوفية اتصال مشايخهم بالسماء ، وحسب ما جاء في هذا النص فان الاتصال يختلف عن حالة نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ، والذي يقع عن طريق جبريل عليه السلام . أما مشايخ الصوفية فان اتصالهم مباشرة ، ولهذا فدرجتهم بهذا الوصف أعلى من درجة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا أمر لا يوافق عليه .

أما إن الشيخ أمين الالهام ، كما أن جبريل أمين الوحي ، فمن أين جاء هذا الالهام حتى ينظر في أمانة الشيخ فيه ؟! ، ودعوى الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم تحتاج إلى اثبات ، فاذا كان الشيخ كذلك فيكون قد عارض النصوص الصريحة من الكتاب والسنة بختم النبوة ، ومنها قوله تعالى :

﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾(٢) ،

وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة أن الناس يأتون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون : " أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا .... الحديث " (٣)، فكيف يكون الاقتداء ؟! .

وكما جاءت أقوال أولئك المتصوفة عن الاتصال بالسماء دون واسطة ، هناك من مشايخهم من يدعي الاتصال بالرسول صلى الله عليه وسلم . فالشاذلي(٤) يقول:

---

(١) عوارف المعارف ص ٣٦٥ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٤٠ .

(٣) صحيح الإمام مسلم ج١ ص ١٨٤ .

(٤) هو أبو الحسن علي بن عبدالله بن عبدالجبار المغربي ، شيخ الشاذلية . سكن الاسكندرية ، له عبارات في التصوف مشكلة توهم . توفي سنة ٦٥٦هـ . الذهبي – العبر ج٣ ص٢٨٢ ، ابن العماد – شذرات الذهب ج٥ ص ٢٧٨ .

" لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين " .

وقد يبحث عن مخرج لهذا القول يصرفه عن ظاهره ، لكن ما جاءبعده يؤكد أن المراد شخص النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث يقول بعد أن طلب منه المصافحة:

" والله ما صافحت بهذه اليد الارسول الله صلى الله عليه وسلم " (١).

وهذه الدعوى لا تحتاج إلى من يدلل على ردها ، حيث أنه من الثابت والمعلوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ودفنه في قبره ، ولم يعلم نص يفيد خروجه من حال الموتى إلى حال الأحياء ليقوم بالاتصال بهم ، بل المنصوص عليه بعثه مع الناس يوم القيامة ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ انك ميت وانهم ميتون ۝ ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾(٢).

ومن أحداث السيرة التي اتخذها الصوفية تشريعا لحالهم في الأربطة أصحاب **الصفة** ، وفي ذلك يقول السهروردي :

" فأهل الصفة رفضوا الدنيا ، وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع ، فزالت الأحقاد عن بواطنهم ، وهكذا أهل الربط يتعاملون بظواهرهم وبواطنهم ، يجتمعون على الألفة والمودة ، يجتمعون للكلام ، ويجتمعون للطعام ، ويعرفون بركة الاجتماع " (٣).

لقد سبق الحديث عن أهل الصفة من حيث وجودهم وما كان يجري عليهم ، ويختلف ما عرفناه عنهم عن الصورة التي ذكرها السهروردي ، بأنهم لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع ، بل هي حالة خاصة مربها أولئك النفرمن المسلمين ، ثم تركوا تلك الصفة بعد أن تبدلت أحوالهم وتحسنت ظروفهم .

---

(١) ابن عطاء الله السكندري ص ٩٥ .

(٢) سورة الزمر آية ٣٠ .

(٣) السهروردي – عوارف المعارف ص ٣٦٥ .

أما زوال الأحقاد عن بواطنهم ،فليس مرده سلوك ترك الدنيا ، حيث المسلم مكلف بعمارتها – وعمارتها عبادة – ، بل مرد ذلك درجة الايمان التي وصل اليها أولئك القوم ، كما وصفهم القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم** ﴾(١) .

واذا عرفنا أن حالة الصفاء والاخاء التي عمت أصحاب الصفة مردها الايمان ، أدركنا أن الحاجة إلى الايمان أولى من مظاهر حياة الأربطة التي تعد لمصلحة خاصة .

ومما يسعى الصوفية إلى تأكيده ، حياة الخضر زمن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد جاء عندهم أنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعوا قائلا يقول في جوف البيت ، يسمعون صوته ولا يرون شخصه ، أن في الله خلفا من كل هالك ، وعوضا من كل فائت ، وأن المصاب من حرم الثواب . قال الراوي : " كانوا يرون أنه الخضر " .

وهذه الحادثة تحتاج إلى اثبات . وقد كتب ابن حجر عن الخضر كتابا سماه " الزهر النضر في نبأ الخضر " ، أورد فيه أدلة القائلين بعدم حياته ، والقائلين بعدم مماته .

ثم قال : " وأقوى الأدلة على عدم بقائه ، عدم مجيئه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانفراده بالتعمير من بين أهل الأعمار بغير دليل شرعي " (٢). كما أنه قوله تعالى :

﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد** ﴾(٣) ، نص صريح على عدم حياته .

قال ابن القيم : " الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته ، كلها كذب ،

---

(١) سورة الأنفال ، آية : ٧٤ .

(٢) ابن حجر– الزهر النضر في نبأ الخضر ص ١١٥ _ نشر دار الكتب العلمية _ بيروت ١٤٠٨هـ .

(٣) سورة الأنبياء آية ٣٤ .

ولا يصح في حياته حديث واحد " [١].

وأولئك الذين يسعون تأكيد حياة الخضر لتكون وسيلة لنسج القصص والحكايات حولها ، لينخدع الناس بكراماتهم المزعومة .

ومن أحداث السيرة التي استخدمها الصوفية **أحوال أهل الصفة** . فقد سئل الإمام ابن تيمية : " هل تواجدوا – يعني أهل الصفة – على دف أو شبانة ، أو كان لهم حاد ينشد الأشعار ويتحركون عليها بالتصدية ويتواجدون ؟! " [٢].

ولمناقشتها نقول : من أين تأتي هذه الأخبار التي لم تعرف إلا عند أولئك القوم ، وكان الأولى لمن يأتي بها أن يلاحظ على الأقل مناسبة الخبر للمخبر عنه، حيث أنه ليس من المعقول أن يعمد أهل الصفة وهم أهل التقوى والورع بمخالفة أوامر الشرع ، ثم إن هذا الفعل لو كان جائزا وفعله أهل الصفة ، لفعله غيرهم من الصحابة ، وهو ما لم يذكر عنهم .

وقد قال ابن تيمية رحمه الله :

" فهذا لم يفعله أحد من الصحابة ولا من أهل الصفة ، ولا من غيرهم ، ولا من التابعين " [٣].

ومن سعيهم لتشريع الرقص والتواجد الذي يفعلونه في أماكن تجمعهم قولهم :

أن علياً رضي الله عنه ، لما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أنت مني وأنا منك "[٤]، فحجل ، وقد حجل جعفر أبي طالب بعد ما قال له النبي صلى الله

---

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص ٦٧ _ تحقيق عبدالفتاح أبو غده _ نشر مكتبة المطبوعات بحلب ١٤٠٣هـ .

(٢) ابن تيمية – الفتاوي ج١١ ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٣) نفس المصدر السابق .

(٤) صحيح الإمام البخاري ج٥ ص ٢٢ _ نشر دار احياء التراث العربي _ بيروت .

عليه وسلم : " أشبهت خَلقي وخُلقي " [١]، كما حجل زيد بن حارثة لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم : " أنت أخونا ومولانا " [٢].

وهذا الحجل هو ما قال عنه القرطبي رحمه الله :

" أنه نوع من المشي ، يفعل عند الفرح ، ولا علاقة له برقص الصوفية " [٣].

ولا شك أن هذا منهج المبتدعة ، الذين يسعون إلى البحث عن ما يشرع لهم بدعهم ، فيحملون الأقوال والأفعال الشرعية ما لا تحتمل حتى توافق مبتغاهم ، وهؤلاء الصوفية ممن لا يتورع عن التشريع للبدع ، والا فان مقام العبادة يستلزم فيها الخشوع والسكينة والهدوء ، وليس التواجد والرقص .

---

(١) صحيح الإمام البخاري ص ٢٥ .

(٢) صحيح الإمام البخاري ص ٢٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج٥ ص ٢١٥ _ دار الكتب المصرية ١٣٧٣هـ ، مشهور حسن – القرطبي والتصوف ص ١٠ _ دار الكتب الأثرية _ الأردن ١٤٠٩هـ .

افتراء أحداث في السيرة لتوافق مسلك الصوفية وصدى ذلك عند الناس :

لقد شاع بين الناس في القرن السابع الهجري أحداث نسبت إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تتعلق بأهل الصفة ، وأمور أخرى تنسب إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولأهميتها في مجتمع المسلمين ولمعرفة صحتها من عدمه ، وجه إلى الإمام ابن تيمية أسئلة تختص بذلك ، ومنها سؤال يقول :

" إن قوما يتحدثون عن أصحاب الصفة بأحاديث كثيرة ، منها : أنهم يقولون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدهم على الإسلام من قبل أن يبعث ، فوجدهم على الطريق ، وأنهم لم يكونوا ينفرون معه حقيقة ، وأنه ألزمهم النبي صلى الله عليه وسلم مرة ، فلما فر المسلمون منهزمين ضربوا بسيوفهم في عسكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : نحن حزب الله الغالبون ، وزعموا أنهم لم يقتلوا إلا منافقين في تلك المرة " .

ثم يقول :

" ويزعمون أن الله سبحانه ، لما عرج بنبيه صلى الله عليه وسلم ، أوحى الله اليه مائة ألف سر ، وأمره أن لا يظهرها على أحد من البشر ، فلما نزل إلى الأرض وجد أصحاب الصفة يتحدثون بها ، فقال : يا رب انني لم أظهر على هذا السر أحد ، فأوحى الله أنهم كانوا شهودا بيني وبينك " (١).

وللرد عليهم نقول ، أن زعمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد أهل الصفة على الإسلام قبل بعثته أمر لا يقبله عقل ولا منطق ، فكيف يجيء صاحب الرسالة برسالته ليجد غيره قد آمن بها ، فما فائدة دعوته اذن ، وقد سبق أتباعه بالايمان بها، ثم من الذي قام بتبليغهم ، إن كان جبريل فلماذا يكرر بلاغه للنبي صلى الله عليه وسلم ، وان كان عبر قنوات أخرى فأمر لا تعرفه الرسالات السماوية ، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم قد هاله نزول الوحي ، فجاءالى بيته وذهب مع زوجه

---

(١) ابن تيمية – الفتاوي ج١١ ص ٧٣ .

إلى ورقة ابن نوفل[١] . فلو كانوا موجودين لكان على دراية مسبقة بالوحي ولذهب اليهم ليأنس بما عندهم .

وقد نقل ابن تيمية رحمه الله اجماع الأئمة على خلاف ما ذكر أصحاب هذا السؤال بقوله :

" لا خلاف بين المسلمين أنهم كانوا جاهلين (يعني أصحاب الصفة) بل لا خلاف بين المسلمين أنهم كافرين جاهلين بالله وبدينه ، وانما هداهم الله بكتابه وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن بين أهل الصفة وسائر الصحابة فرق في الكفر والضلال قبل ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم "[٢].

أما قولهم أنهم لم يكونوا يغزون معه صلى الله عليه وسلم ، وأنه ألزمهم مرة واحدة فلما فر المسلمون منهزمين ضربوا بسيوفهم في عسكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالوا نحن حزب الله الغالبون ، وزعموا أنهم لم يقتلوا إلا منافقين في تلك المرة .

وللرد عليهم نقول إن من المعروف أن أهل الصفة وهبوا أنفسهم لله ، فخرجوا من ديارهم تاركين أموالهم وأولادهم فرارا بدينهم ، فمن هذا شأنه وهذه حاله هل من المعقول أن يتخلف عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! ، وقد جاء القرآن الكريم واصفا حالهم حيث يقول تعالى :

﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾[٣] . وقد نصروا الله في معارك كثيرة حضروها مع المسلمين ، ومن ذلك غزوة بدر الكبرى وأحد والحديبية وتبوك ، وقد قال عنهم صلى الله عليه وسلم :

---

(١) صحيح البخاري – باب التعبد ج٩ ص ٣٧ ، ٣٨ ، صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب بدئ الوحي ج١ ص ١٣١ – ١٤٣ .

(٢) ابن تيمية – الفتاوي ج١١ ص ٨٠ .

(٣) سورة الحشر آية ٨ .

" أنهم بهم تتقى المكاره ، وتسد بهم الثغور ، وأنهم أول الناس ورودا على الحوض ، وأنهم الشعث رؤوسا ، الدنس ثيابا ، الذين لا ينكحون المنعمات من النساء ولا تفتح لهم أبواب الملوك " (١).

أما قولهم ، أنهم لما فر المسلمون منهزمين ضربوا بسيوفهم في عسكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالوا نحن حزب الله ، فهذا أمر ملازم لما سبق الحديث عنه في جهادهم وولائهم لهذا الدين ، ولا يمكن تصديق هذا الزعم ، وقد تبين لنا خلاف هذه الدعوى والتي لم يرد ما يثبت وقوعها ، أو على الأقل قريب منها في مصادر السيرة النبوية .

وأما القول بأن الله سبحانه لما عرج بنبيه صلى الله عليه وسلم ، أوحى اليه مائة ألف سر ، وأمره أن لا يظهرها على أحد من البشر ، فلما نزل الأرض وجد أصحاب الصفة يتحدثون بها ، فقال يا رب انني لم أظهر على هذا السر أحد ، فأوحى الله أنهم كانوا شهودا بيني وبينك .

وللجواب على هذا ، أنه من المعلوم أن الاسراء كان بمكة ، أما أهل الصفة فلم يعرفوا إلا بعد الهجرة إلى المدينة ، ولهذا لا يمكن التصديق بهذا الخبر المتناقض .

أما أن الله أوحى اليه مائة ألف سر ، فأمر لا يتفق وما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ، حين وصف ما جرى له حين العروج به إلى السماء ، حيث ذكر ذلك مفصلا حسب ما جاءت به الأحاديث الصحيحة(٢) ، ولم يذكر أن معه سر سيعلنه ، كما أنه طوال حياته لم يذكر للناس أي شيء عده من أسرار المعراج التي بلغ بها ، واذا كان الأمر كذلك فما قيمة السر الذي بلغ به ولم يذكره لأحد قبل وفاته ؟! .

وهذه الدعوى توطئة من غلاة الصوفية الذين يقولون باتصالهم بالسماء ، حتى يجدوا المبرر للناس لتصديقهم في زعمهم الاتصال بالسماء دون واسطة ، ولكن

---

(١) رواه الإمام أحمد ١٧٧/٢ ، ورد هذا الحديث بروايات يقوي بعضها بعضاً للإطلاع عليها انظر : مجمع الزوائد لابن حجر ج١٠ ص٢٥٨ إلى ٢٦١ .

(٢) صحيح البخاري ج٤ ص ٢٠٢ ، صحيح مسلم ج١ ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

لجهلهم خلطوا الأحداث وقلبوها بدون تمييز ، وفاتهم ترتيب المعلومات حتى يمكن تصديقها.

كما سئل الإمام ابن تيمية رحمه الله عن من يعتقد أن أهل الصفة أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، ومن الستة الباقين من العشرة ، ومن جميع الصحابة ، وهل كان فيهم أحد من العشرة ؟ .

وللرد عليهم : إن من المعلوم عند المسلمين أن أفضل الأمة بعد نبيها محمد صلى الله عليه وسلم هو أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، ثم بقية العشرة الذين بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وهو ما جاءت به الأحاديث الصحيحة ، ومن ذلك ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنه قال :

" كنا نخير الناس زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، فنميز أبا بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم " (١). وعن محمد بن الحنفية قال قلت لأبي : " أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو بكر . قلت ثم من . قال عمر ، وخشيت أن يقول عثمان ، ثم أنت . قال ما أنا إلا رجل من المسلمين "(٢).

ويقول ابن تيمية رحمه الله : " إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وهو ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمة العلم والسنة ، ويأتي بعدهما عثمان ثم علي ، وكذلك سائر أهل الشورى . ولأهل الصفة مكانتهم بعد ما خص الله ورسوله من أهل الفضل من المهاجرين والأنصار ، ومن سبق في جهاده ، أو بايع تحت الشجرة ، أو حضر غزوة بدر " (٣).

ومما شاع من أحداث السيرة بين الناس في هذا القرن ، ما ورد للامام ابن تيمية عمن يقول : " أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى باب أهل الصفة فاستأذن ،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه _ باب فضائل أبي بكر ج٥ ص ٥ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ج٥ ص ٥ .

(٣) ابن تيمية – الفتاوي ج١١ ص ٥٧ .

وللرد على هذا الخبر أقول ، إن حال أهل الصفة لم تكن بوضع يتيح للراغب زيارتهم أو الدخول عليهم الاستئذان ، حيث أن تلك الصفة لم تكن مغلقة ، ولا تعدو أن تكون ظلة في آخر المسجد ، ثم هل من المعقول أن يرد صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم من هو أرفق بحالهم من أنفسهم ، وبهذا الرد الذي ينقصه الأدب مع أن القرآن الكريم قد بين لهم منزلة النبي صلى الله عليه وسلم ، وطريقة المعاملة معه ، وأنها تختلف عن غيره كما جاء ذلك في أول سورة الحجرات ، ولهذا فمن المستبعد وقوع هذه الحادثة . والذي يظهر أنه تمت صياغتها من قبل بعض منحرفي الصوفية ليؤكدوا على المكانة التي يزعمونها لأهل الصفة ، وأنه حتى الرسول صلى الله عليه وسلم قد أقر لهم من خلال هذه الحادثة التي ساقوها من السيرة النبوية بهذه المكانة .

ولا شك بخطورة هذا الأمر على معتقد المسلم ، حيث أنها تصور استخفاف الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أمر لا يخطر على بال التصديق به ، ولهذا قال ابن تيمية رحمه الله : " ومن فعل ذلك فهو كافر ، ومن اعتقد هذا بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر يستتاب فان تاب والا قتل " (١).

---

(١) ابن تيمية – الفتاوي ج١١ ص ٧١ .

المبحث الثالث

أثر عقيدة الفلاسفة وأهل الكلام

- الفلسفة .
- تعريفها .
- نشأتها عند المسلمين .
- نظرة الفلاسفة لنصوص الشريعة .
- رأيهم في النبوة .
- الفلسفة في القرن السابع الهجري .
- أثر عقيدة الفلاسفة وأهل الكلام على كتابة السيرة في هذا القرن .
- ابن النفيس وكتابه في السيرة .
  - ترجمة لحياته .
  - عرض ومناقشة لكتابه الرسالة الكاملية في السيرة النبوية .
- ابن القطان وكتابه الروضات البهية الوسيمة في الغزوات النبوية الكريمة .

الفلسفة :

تعريفها :

عند أرسطو " البحث عن الموجود بما هو موجود " (١) .

ويقول الفارابي : " اسم الفلسفة يوناني وهو دخيل في العربية وهو على مذهب لسانهم فيلاسوفيا ومعناه إيثار الحكمة"(٢) .

ويقول ابن منظور : " الفلسفة الحكمة أعجمي ، وهو الفيلسوف وقد تفلسف "(٣).

وعند الكندي : " أن أعلى الصناعات الإنسانية وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة التي حدها علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان، لان غرض الفيلسوف في علمه إصابة الحق وفي عمله العمل بالحق "(٤).

ويقول ابن تيمية : " الفلسفة لفظ يوناني ومعناها محبة الحكمة ، والفيلسوف في لغتهم محب الحكمة "(٥) .

نشأة الفلسفة عند المسلمين :

لم يعرف لأوائل الفلاسفة كلام في النبوات والرسل ، لا نفياً ولا إثباتاً . فلما ظهرت الملة الحنيفية تارة بنبوة عيسي عليه السلام ثم بنبوة نبينا محمد ﷺ . فعاش

---

(١) د . توفيق الطويل : أسس الفلسفة ص ٤٧ ، المكتب الإسلامي ، بيروت دمشق ١٤٠١هـ .

(٢) ابن أبي أصيبعة أبو العباس أحمد – عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٠٤ . تحقيق د / نزار رضا بيروت ١٩٦٩م .

(٣) ابن منظور – لسان العرب ج٥ ص ٣٤٦١ .

(٤) الكندي : إسحاق بن يعقوب : كتاب الكندى إلى المعتصم في الفلسفة الاولى ص٧٧ – تحقيق د. احمد الاهواني .

(٥) ابن تيمية – الصفدية ج٢ ص٣٢٣ . بتحقيق د / محمد رشاد سالم ، شركة مطابع حنيفة – الرياض ١٣٩٦هـ .

الناس فيها دهرا بنور النبوة ينهلون منها ويستظلون بظلها وقد أوصدت الأبواب عن غيرها (١).

فلما تغيرت الأحوال وكثرت الفتوحات وخالط المسلمون أمما مختلفة لديها ثقافات متنوعة وتحكم حياتهم أسس ومعتقداتهم السابقة ، فتراكمت عدة أسباب لدى المسلمين لترجمة تراث الأمم السابقة ومنها :

١- الجدل الديني والتناظر العقائدي بين المسلمين من جهة ، وغيرهم من أهل الكتاب من اليهود والنصارى من جهة أخرى ، وذلك كما يقال للاستفادة من غيرهم في تقصي الحجج وتركيب البراهين .

٢- قيام حركة المعتزلة الذين سعوا إلى إقامة العقيدة الدينية على أساس الاستدلال بالنظر العقلي(٢) .

وقد تبنى الترجمة المنظمة الخليفة المأمون(٣)، الذي اعتنق مبادئ المعتزلة .

حيث طلب كتب الأعاجم والفلاسفة من الروم والهند ، فدرسها الناس ، وبسببها ظهرت البدع(٤).

وقد قام من المسلمين من يسير على طريقة الفلاسفة في علم ما بعد الطبيعة ، أمثال الفارابي(٥)، وابن سينا(٦)، وسموا ذلك العلم الإلهي ، فتكلموا في النبوات والكرامات بحسب أصول الصابئة الفلاسفة لا بحسب الحق نفسه ، ولهذا فان التراث

---

(١) ابن تيمية - الفتاوي ج٢ ص٨٤ .

(٢) عرفان عبد الحميد - الفلسفه الاسلامية ص٥٣ . مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠١هـ .

(٣) المأمون هو الخليفة العباسي ابن الرشيد وانفرد بالخلافة بعد أخيه الأمين ١٩٨هـ ، وقد امتحن العلماء بفتنة القول بخلق القران توفي ٢١٨هـ . الطبري - تاريخ الرسل والملوك ج٨ ص ٦٥٠ ، ٦٥١ .

(٤) ابن صاعد الاندلسي - طبقات الامم ص ٩٨ . تحقيق لويس شيخو ، بيروت ١٩١٢م .

(٥) الفارابي : هو ابو نصر محمد بن طرخان صاحب الفلسفة وله مصنفات عدة فيها . مفرط الذكاء توفي سنة ٣٣٩هـ . الذهبي - العبر ج٢ ص ٥٨ ، ابن كثير - البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٢٤ ، ابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب ج ٢ ص٣٥.

(٦) ابن سينا هو الحسين بن عبدالله الطبيب المشهور . صنف في الفلسفة والطب له ذكاء خارق توفي ٤٢٨ هـ . الذهبي - العبر ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

الفكري لهؤلاء الفلاسفة أمثال الفارابي وابن رشد[١] ، وابن سينا وأمثالهم بعيد عن التصور الإسلامي المبني على المعتقد الصحيح المتميز للعقيدة الإسلامية ، إذ كل الجهود التي قاموا بها من اجل تعريب الفلسفة اليونانية ، نمت غريبة عن العقيدة الإسلامية وقد جر هذا المنحى في التفكير إلى ازدهار المدرسة العقلية التي تزعمها المعتزلة ، ونما بناء النزعة العقلانية حتى وصل إلى درجة الغلو ، فتلقفها الفلاسفة باتجاه عقلي لا يقبل النصوص ولا يراعي حرمتها ، واصبح كل ما أشار به العقل مقبول وما عداه فهو مرفوض ثم بعد الوصول إلى هدفهم يسعون إلى مقارنته بالدليل فإذا وسعهم قبلوه وإذا خالفهم صرفوه عن ظاهره إلى التأويل[٢].

ولذا فإنه من غير المقبول محاولة التقريب بين الفلسفة الإغريقية التي نشأت في وسط وثني مشحون بالأساطير التي ثبتت جذورها على الوثنية وبين المعتقدات الإسلامية القائمة على التوحيد المطلق العميق التجريد[٣] .

---

(١) ابن رشد : محمد بن احمد بن رشد القرطبي . اتقن الطب والفلسفة وصنف فيها تصانيف كثيرة توفي ٥٩٥هـ . العبر ج٣ ص ١١١ ، ١١٢ ، شذرات الذهب ج٤ ص ٣٢٠ .

(٢) عرفان عبد الحميد – الفلسفة الاسلامية ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٣) سيد قطب – خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ص ٢١ . دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٦٥م .

نظرة الفلاسفة لنصوص الشريعة :

وبسبب نظرة الفلاسفة للعقل نجدهم ابعد الناس عن معرفة القران ، فغالبهم لا يعلمون معانيه بل منهم من لا يعرفه ومنهم من لا يقرأه .

أما الحديث النبوي فهم بعيدون عنه حساً ، فضلاً عن الدراية به واتباعه ، بل هم اجهل الناس بأحوال النبي ﷺ وأقواله وبواطن أموره ، بل وصل الحد بهم كما يقول ابن تيمية إلى أن كثيرا من العامة أعلم به منهم ، فهم لا يميزون بين ما قاله الرسول وما لم يقله ، بل قد لا يفرقون بين حديث متواتر عنه ومكذوب عليه .

ولهذا فأن قوما هذا موقفهم من القرآن والسنة من أين تجيء لهم المعرفة بالحقائق المأخوذة عن الرسول ﷺ (١)، كما انهم لا يتفقون على طريقة واحدة في الاستدلال بل لكل رئيس منهم طريقة خاصة تخالف طريقة الرئيس الآخر ، ويعتقد كل منهم أن الله لا يعرف إلا بطريقته .

رأيهم في النبوة :

وقد نقل الإمام ابن تيمية أقوالهم .

فيقول الفارابي : " أن الفيلسوف اكمل من النبي ، وإنما خاصية النبي جودة التخييل للحقائق "(٢).

ويقول ابن سينا : " ما كان يمكن موسى مع أولئك العبرانيين ولا يمكن محمد مع أولئك العرب الجفاة أن يبينا لهم الحقائق على ما هي عليه فانهم كانوا يعجزون عن فهم ذلك وان فهموه على ما هو عليه انحلت عزماتهم عن إتباعه لأنهم لا يرون فيه من العلم ما يقتضي العمل "(٣).

وهذه النظرة من الفلاسفة بكمالهم ونقص النبوة تجاوز واضح للحق فلا يقارن الوحي السماوي بتخيلات الفلاسفة وتحليلاتهم .

---

(١) ابن تيمية – الفتاوي ج٤ ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) ابن تيمية – الفتاوي ج٤ ص ٩٩ ، محمد لطفي جمعه – تاريخ فلاسفة الإسلام ص٤٢ – نشر دار الباز . مكة المكرة .

(٣) ابن تيمية – الفتاوي ج٤ ص ٩٩ .

ودعواهم الأخرى التي جاءت من ابن سينا من أن الرسل لم يتمكنوا من بيان الحقائق لان ظهورها يفسد الناس حيث لا تحتمل عقولهم ذلك فالأمر خلاف الواقع ، فلقد فهم العرب وقبلهم العبرانيون حقيقة الرسالة واضحة نقية وسارعوا إلى اتباعها ووجدوا فيها موافقة تعاليمها لحال الناس .

فعند الفلاسفة قواعد للنبوة تهيئ فئة من البشر للوصول إليها ، وتعتمد تلك القواعد على القدرات الخاصة بالفرد ، فإذا توفرت لديه هيأته للقيام بدور النبي وهم يجعلونها في ثلاث :

الأولى : أن تكون له قوة قدسية هي الحدس بحيث يحصل له من العلم بسهولة ما لا يحصل لغيره إلا بكلفة شديدة .

الثانية : قوة التخيل والحس الباطن بحيث يتمثل له ما يعلمه في نفسه فيراه ويسمعه ، فيرى في نفسه صورا نورانية هي عندهم ملائكة الله ، ويسمع في نفسه أصواتا هي عندهم كلام الله .

الثالثة : أن تكون له قوة نفسانية يتصرف فيها في هيولى(١) العالم ، كما أن العائن له قوة نفسانية يؤثر فيها في المعين .

ويزعمون أن خوارق العادات التي للأنبياء والأولياء هي من هذا النمط(٢).

وأما موقفهم من الوحي على النبي :

فيقولون انه يشابه أهل الباطن ، ولكنه لا يظهر ذلك للعامة لان عقولهم وقلوبهم لا تقبل ذلك بل تنفر منه ، فيظهر لهم النبي من التخييل والتمثيل ما ينتفعون به في دينهم وان كان ذلك تلبيس عليهم وتجهيل لهم واعتقاد الأمر على خلاف ما هو عليه لما في ذلك من المصلحة(٣).

وأما فيما يخبر به " النبي " عن مستقبله وماضيه فيقارن ابن مسكويه بين النبي والفيلسوف حيث يقول " ومتفقان في تلك الحقائق ، لان الفرق بينهما أن أحدهما

---

(١) الهيولى : الهباء المنبث وهو ما تراه في البيت من ضوء الشمس يدخل في الكوة . ابن منظور - لسان العرب ج٦ ص ٤٧٣٩ .

(٢) ابن تيمية - الصفدية ج ١ ص ٦ .

(٣) ابن تيمية - الفتاوى ج ٤ ص ١٦١ .

ارتقى من أسفل والآخر انحط من علٍ ، وكما أن المسافة بين السطح والقرار واحدة لكنها بالإضافة إلى من في القرار يسمى صعودا ، بالإضافة إلى من في السطح يسمى هبوطا ، كذلك الحال في تلك الحقائق والمشاهدات "(١) .

---

(١) ابن مسكويه أحمد بن محمد – الفوزالاصغر ص ١٠٢ . دار مكتبة الحياة ، بيروت . د . ت

الفلسفة في القرن السابع الهجري :

لقد كان للفلاسفة في هذا القرن دورهم الفاعل على الساحة العلمية وهو ما رأيناه يتجسد واضحا جليا فيما كتبه الإمام ابن تيمية رحمه الله من رد على شبههم ونقض لمعتقداتهم في عدد من المصنفات ، والتي منها ما جاء في الفتاوى(١)، أو في رسائل مفردة " كبغية المرتاد "(٢) و " الرد على المنطقيين "(٣) و " الصفدية "(٤) وغيرها . مما يدل على استفحال أمرهم في هذا القرن وتواجدهم الفاعل في حياة الناس(٥).

وفي مستهل هذا القرن رجع أحد كبار الفلاسفة عن هذه النحلة وهو محمد بن عمر الرازي(٦)، وله فيها عدد من المصنفات ومنها ، محصل أفكار المتقدمين

---

(١) طبعت عام ١٣٩٨هـ بالدار العربية ببيروت .

(٢) طبع الكتاب سنة ١٤٠٨هـ بالمدينة المنورة .

(٣) طبع الكتاب سنة ١٣٦٨هـ في بمباي بالهند وسنة ١٣٩٦ بلاهور بباكستان.

(٤) طبع هذا الكتاب سنة ١٤٠٦هـ .

(٥) اورد الامام ابن تيمية رحمه الله هذه الحادثة التي يستدل بها على حضور أهل هذا المعتقد في حياة الناس حيث قال : " لما ظهرت الردة والكفار وأراد مَنْ أراد منهم ان يدخل في الإسلام قبل ظهور الإسلام عليهم ، أشار عليه بعض مَنْ كان معه من الفلاسفة بأن لا يفعل قال : ذاك لسان عربي ، ولا يحتاجون إلى شريعته ، ونحو هذا الكلام ، بين ان الشريعة التي جاء بها محمد لا يحتاج اليها مثلكم وأمثالكم " ، كما أورد حادثة أخرى هي قوله : " لما قدم هولاكو الشام وتقلد القضاء من جهته بعض قضاة الشام الذين كانوا يعظمون صوفية الفلاسفة كابن عربي ونحوه ، ودخل إلى البلد ، اخذ يثني على ملك الكفار ويعظمه ويذكر من فضائله بزعمه ، فقال له بعض الحاضرين : يا ليته يسلم فقال القاضي واي حاجة لهذا إلى الإسلام سواء كان مسلما أو لم يكن . ابن تيمية – الرد على المنطقيين ص ٤٤٣ .إدارة ترجمان السنة، لاهور ١٣٩٦هـ .

(٦) الرازي ولد سنة ٥٤٤ هـ بالري ثم رحل إلى خوارزم وهو مفسر ومتكلم وفقيه وأصولي وأديب وشاعر وطبيب ، صنف عشرات الكتب في جميع علوم عصره توفي سنة ٦٠٦هـ .ابن كثير – البداية والنهاية ١٣/٥٥ ، ابن خلكان – وفيات الاعيان ١/ ٤٧ ، شذرات الذهب ٥/ ٢١.

والمتأخرين من العلماء والحكام والمتكلمين ، والمسائل الخمسون في أصول الكلام ، والمطالب العالية ، وشرح قسم الإلهيات من الإشارات لابن سينا وغيرها(١).

وقد قال في رجوعه :

" لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن الكريم ، إقرأ في الإثبات :

﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾(٢) ، ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾(٣) وأقرأ في النفي :

﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾(٤)، ﴿ **ولا يحيطون به علما** ﴾(٥)، ﴿ **وهل تعلم له سميا** ﴾(٦) .

ثم قال : " من جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي(٧)".

ومع هذا التراجع من الرازي ، فان هذا القرن قد ابتلي بعدد من الفلاسفة الذين اعتنقوا هذا المبدأ وأشاعوه بين الناس في كتبهم ومجالسهم ، ومنهم النصير الطوسي(٨)، وله عد كبير من المؤلفات في هذا المجال ومنها ، تجريد العقائد وحد شكل الانسان لابن سينا ، وتجريد أصول اقليدس .

---

(١) الزركلي – الاعلام ج٦ ص ٣١٣ .

(٢) سورة طه آية ٥ .

(٣) سورة فاطر آية ١٠ .

(٤) الشورى آية ١١ .

(٥) سورة طه آية ١١٠ .

(٦) سورة مريم آية ٦٥ .

(٧) ابن تيمية – الفتاوى ج٤ ص ٧٣ .

(٨) هو محمد بن الحسن ابو جعفر ولد سنة ٥٩٧ ه وتوفي سنة ٦٧٢هـ ، وزر لهولاكو حينما دخل بلاد المسلمين . فاسد المعتقد . ابن كثير – البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٦٧ ، ٢٦٨.

ومنهم أيضا أبو الحسن الآمدي(١)، وله عدد من المصنفات ومنها ، ابكار الأفكار في الكلام ، ودقائق الحقائق في الحكمة .

ومن فلاسفة هذا القرن أيضا ابن هود(٢)، وعرف عنه التصوف والاشتغال بالحكمة والطب(٣).

(١) هو علي بن ابي علي بن محمد بن سالم توفي سنة ٦٣١هـ أسند إليه التدريس في دمشق وبغداد . كان جدليا منطقيا خلافياً ، يقول ابن كثير: ان اتهامه بمذهب الأوائل والتعطيل لحسد غيره له ". ابن كثير ج ١٣ ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(٢) ابن هود هو حسن بن علي بن يوسف الحدافي كان يقرئ اليهود كتاب " دلائل الحائرين " لموسى بن ميمون وصفه الذهبي بالاتحاد والضلالة. توفي سنة ٦٩٩هـ ، الذهبي العبر ج٣ ص ٣٩٨ . الزركلي – الاعلام ج٢ ص ٢٠٣ .

(٣) ابن كثير ج١٣ ص ١٤٠ ، ١٤١ و ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

ابن النفيس وكتابه في السيرة :

هو علاء الدين ابن النفيس القرشي الدمشقي ، ولد سنة ٦٠٣هـ ، ونشأ بدمشق وتعلم بها الطب ، وكان صاحب ذكاء مفرط ، وقد صار إماما في الطب لا يضاهى في معرفته وإدراكه ، وله فيه عدد من الكتب التي صنفها ، منها كتابه الشامل في الطب ويقع في ثلاثمائة سفر ، وله كتاب المهذب في الكمل ، وشرح القانون في الطب لابن سينا ، وله معرفة في المنطق وصنف فيه مختصرا كما شرح الهداية لابن سينا ، وسار في ذلك على منهج ابن سينا ، كما صنف في الفقه والأصول والحديث . واشتغل بالتدريس حيث درس الفقه في المدرسة المسرورية بالقاهره بعد انتقاله إليها من الشام ، وكان له مجلس في داره يحضره جمع من الناس من مختلف فئاتهم .

توفي في القاهرة سنة ٦٨٧هـ ودفن فيها(١).

عرض ومناقشة لكتاب الرسالة الكاملية في السيرة النبوية :

صنف في السيرة كتابا سماه الرسالة الكاملية في السيرة النبوية على منهج الفلاسفة قال في مقدمتها :

" فان قصدي في هذه الرسالة اقتصاص ما ذكره فاضل بن ناطق عن الرجل المسمى بكامل فيما يتعلق بالسيرة النبوية والسنن الشرعية على طريق الإجمال " .

وهي من محاولات الفلاسفة تقريب معاني الشرع وأصول الدين كالنبوة والوحي والرسالة والشرائع إلى المفاهيم المثالية الفلسفية وربط معاني الكمال الفلسفية بالمصطلحات الشرعية وتلبيسها بها ، توهيماً للعامة عند الفلاسفة وهم الأنبياء وأتباعهم .

بدأ ابن النفيس كتابه الرسالة الكاملية بخلق الإنسان كامل ، فقد عرض ذلك بقوله :

" أن السيل نزل في جزيرة العرب فجرف التراب معه إلى مغارة جبل فسدت السيول والطين بابها ، فتفاعل التراب معه داخل المغارة عبر فصول السنة وأدى

---

(١) الذهبي – العبر ج ٣ ص٦٥ ٤٠٢ ، ابن كثير ج ١٣ ص٣١٣ ، ابن العماد الحنبلي – شذرات الذهب ج ٣ ص ٤٠١ .

ذلك إلى أن يكون مشابها لأعضاء الإنسان في القلب والكبد والدماغ وغيرها ، وأصبحت في حالة هيئتها للتحول إلى الطبيعة الإنسانية "(١).

وهذه الأطوار التي افترض ابن النفيس أنها مراحل خلق الإنسان توافق من يعتمد التدرج في الأشياء حتى تصل إلى درجة التهيئة والاستحقاق . لكن النصوص التي جاءت تصف خلق آدم عليه السلام ، تعارض افتراض ابن النفيس . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين** ﴾(٢) .

وقوله تعالى: ﴿ **هو الذي خلقكم من طين**﴾(٣).

قال قتادة :

" استل آدم من الطين ، هذا أظهر في المعنى وأقرب إلى السياق ، فان آدم عليه السلام خلق من طين لازب ، وهو الصلصال من الحمأ المسنون وذلك مخلوق من التراب "(٤).

وقد قال النبي ﷺ :

" أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود ، وبين ذلك الخبيث والطيب "(٥).

فهذا يوضح أن الله سبحانه وتعالى جمع التربة ثم خلق آدم بيده ونفخ فيه الروح. فلما وصلت الروح إلى أي من أعضائه تحرك وهكذا في جميع الأعضاء ، لم يرد أن الأجزاء كما يزعم ابن النفيس قد تهيأت لتؤدي دورها فكان الخلق .

وفي الفصل الثالث الذي سماه " في بيان وصول المسمى كامل إلى تعرف أمر النبوات " ، تخيل أنه وقد أصبح شاباً وهو لا يعرف شيئاً ، ثم التقى بالناس وتفاعل معهم وأدرك حاجاتهم المختلفة ، وأنه لا بد لهم من رسول ومبلغ عن ربه الحق ،

---

(١) ابن النفيس – الرسالة الكاملية ص٤ ، ٥ ، ٦ .

(٢) سورة المؤمنون آية ١٢ .

(٣) سورة الأنعام آية (٢) .

(٤) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٢٤١ .

(٥) رواه أبو داود في سننه ج ٤ ص٢٢٢ ، والترمذي ، وقال الترمذي حسن صحيح . ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٢٤١ .

وأنه له ثلاث منافع هي تبليغ الناس شرع الله عز وجل ، وتعريف الناس بجلال الله تعالى وسائر صفاته ، وتعريفهم بحال المعاد .

ثم قال : " إن هذه الأشياء مما يعسر على طبائع الناس قبولها إذ كثير من الناس يعسر عليهم تسليم وجود ما هو ليس بجسم ولا قوة في جسم ، ولا هو في جهة ولا إليه إشارة ، وكثير منهم يعسر عليه تصور كيفية الرسالة وكيفية بعثة الأنبياء ، وكثير منهم يعسر عليه تسليم أمر المعاد وتسليم العودة بعد الموت وتسليم البقاء الأبدي في النعيم أو الجحيم " .

وقد جلى فيما سبق عقيدة الفلاسفة في صفات الله عز وجل وهو أن الله ليس في جهة وليس بجسم ، ولا قوة في جسم ، ولا إليه إشارة ، حيث ينفون عن الله جميع الصفات الثبوتية ، وهذا معتقد الاتحادية وهو أن الوجود هو المخلوق(1) .

وأما قوله ، بان التسليم من قبل الناس في الرسالة وما سبقها وكذا التسليم في أمر المعاد ، والعودة بعد الموت والبقاء الأبدي في النعيم والجحيم يعسر على كثير من الناس . ولازم ذلك التدرج في المعرفة عبر الأنبياء ، فإننا نعلم أن الله بعث رسوله محمداً ﷺ في جاهلية فقدت أي رصيد من تعاليم النبوة ، بل انهم أنكروا الحياة بعد الموت وقال الله عنهم بعد إنكارهم :

﴿ قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾(2).

كما يبين القرآن موقفهم من البعث والذي لم يظهر عليه أي مقدمات لأثر نبوة سابقة حيث تمثل بعدم التصديق به وإنكاره قال تعالى :

﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾(3) .

---

(1) ابن تيمية – الفتاوى ج٤ ص٥٨ ، ٥٩ ، فالح آل مهدي – شرح الرسالة التدمرية ص٥٠ ط٢ . ١٤٠٥هـ الرياض .

(2) سورة يس آية ٧٨ و٧٩

(3) سورة التغابن آيه ٧ .

وهذا العرض من القرآن الكريم يبين بوضوح حالة الناس الذين بعث إليهم الرسول ﷺ وكيف أن عرى الجاهلية متحكمة في قلوبهم وعقولهم وكأنه لم يبعث نبي على وجه هذه الأرض ليقتبسوا من نوره ولو بعض الأصول والثوابت . ولهذا لم يوجد عندهم حتى القليل مما جاءت به الأنبياء .

ثم قال ابن النفيس : " ومما لا بد منه في حفظ عظمة الرسول ﷺ أن تسن الزيارة إلى قبره حتى يرغب الناس في ذلك ويسافرون إليه من أطراف البلاد، وإذا كان كذلك وجب أن يكون قبره في غير مكة ، إذ لو كان بمكة لكانت زيارته كالتبع لزيارة البيت ، فكان يظن على طول الزمن أن الحج لأجل البيت فقط وينسى قبر النبي ﷺ فيؤدي ذلك إلى نسيانه ﷺ وبطلان شريعته ، فلذلك ينبغي أن يكون قبره في بلد آخر حتى يكون السفر إليه لقصده فقط ، فيدوم حفظ عظمته ، وإنما يكون قبره في بلد آخر إذا حصل هو في ذلك البلد ومات فيه "(١) .

ويرد عليه بان شد الرحال لزيارة قبر النبي ﷺ لا أساس لها في الشرع ، فقد ورد عنه ﷺ قوله : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى "(٢) . وهذا الحديث صريح بعدم جواز إنشاء السفر لزيارة القبور حتى ولو كان قبره ﷺ . ولم يزد أي دليل على هذه الدعوى عقلي أو نقلي . بل المشروع شد الرحال لزيارة مسجده ﷺ .

أما زعمه أن الناس سينسونه ﷺ إذا لم يزار قبره ، فذلك أمر لا يعقل . فكيف ينسى من جاء الوحي عن طريقه ومن بلغ الناس الشريعة عن ربه وقال عنه المولى: ﴿ **لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﴾(٣) .

وقوله ﷺ : " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه "(٤) .

وكيف يُنسى من تضمنت العبادة اليومية للمسلمين ذكره خمس مرات في اليوم.

---

(١) ابن النفيس – الرسالة الكاملية ص ١٦، ١٧ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه . الزبيدي – مختصر صحيح البخاري ص ١٤٦ .

(٣) سورة النجم الأيتان :٣،٤ .

(٤) رواه الامام احمد حنبل في مسنده ج ٢ ص ١٢٩ .دار الفكر ، بيروت ١٤١١هـ .

ثم لو أن حفظ الشريعة بحفظ قبر صاحبها ومبلغها لعرفت قبور من سبقه من الأنبياء ، حيث لا يكاد يعرف قبر نبي واحد(١)، ولو أن حفظ القبور سيضمن استمرار معرفة أصحابها لنفعت تلك الجبال التي شيدها الفراعنة لقبورهم أصحابها لتخليد ذكراهم حيث لا يكاد يعرف من أمرهم إلا الشيء اليسير .

وبعد ذلك عرض ابن النفيس لهجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة ، وسبق أن ذكر أحد أسباب خروجه إلى المدينة حتى يعرف قبره بعد موته ويزار ، وهنا نفى أن يكون سبب الهجرة لأجل الأمور الدنيوية البحتة كالتجارة وطيب العيش فيها أو يكون الخروج لاختيار مكان فاضل عن مفضول ، كما انه لا يمكن أن يكون على سبيل النفي أو سبيل الهزيمة .

ثم قال : " إنما يمكن ذلك بان يكون على وجه يدل على عظمته في نفسه ومهانة الكفار، وذلك بان يُجْمعَ عدد كثير منهم ويتفقون على قتله سرقة وخفية وفي حال نومه ، ويخرج هو كالفارّ من ذلك ". ثم قال : " أن ذلك يدل على أمور من ذل الكفار ومهانتهم لاجتماعهم على قتل فرد واحد ، وعظمة شأن النبي ﷺ إذ لم يجسر عليه أحد أو اثنان ، واطلاعه على الأمر المغيب الذي قصده الكفار خفية "(٢) .

ولا شك أن سبب الهجرة ليس كما صوره ابن النفيس ، وهو موقف خروج النبي ﷺ من مكة على رغم ما بذلته قريش في ذلك الأمر بمنعه من الهجرة .

لكن الصحيح أن سبب هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة ، هو رفض قريش الاستجابة لدعوة الإسلام ، وفيما وجد ﷺ من يقبل دعوته بعد أن اصبح يعرضها على الناس في المواسم ، وهم أهل المدينة الذين رحبوا بالرسالة وصاحبها وفتحوا لذلك قلوبهم وبلادهم لهذا الدين ، فهاجر من اسلم من أهل مكة إلى المدينة حتى يجد فيها الأمان الذي فقد في مكة والذي أصبحت معه حياة تلك الفئة المؤمنة في خطر ، وفيما جاءه الأذن من ربه هاجر إلى المدينة ، ولمنزلة مكة ومكانتها قال ﷺ :

---

(١) ابن تيمية – الفتاوى ج٢٧ ص٤٤٤ .

(٢) ابن النفيس – الرسالة الكاملية ص ١٧، ١٨ .

" والله انك لخير ارض الله واحب ارض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت "(١) .

فكانت الهجرة مرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية ، حيث أصبحت المدينة نقطة ارتكاز ثم انطلاق للدعوة ، وموقف قريش من النبي ﷺ لم يكن وليد الساعة ، فإنها كانت تبحث السبل والوسائل التي تخلصها منه وخطتها في قتله ﷺ تزامنت مع عزمه الهجرة إلى المدينة ، ولهذا لا يمكن التسليم بما قاله ابن النفيس بان هذا الموقف الذي أعدته قريش لقتل النبي ﷺ كان سبب الهجرة .

أما اختيار المدينة ، فهو بسبب استجابة أهلها دعوة النبي ﷺ وإيمانهم برسالته وضمانهم حمايته وحماية دعوته بعد بيعتي العقبة .

وأما كون وجود قبر والدة الرسول ﷺ في المدينة سبب للانتقال إليها ، فهذه دعوى تكلف فيها ابن النفيس لأنه لا يوجد ما يربط الشريعة بوالدته ﷺ وحديثه في ذلك بين واضح فقد قال :

" استأذنت ربي أن أستغفر لأمّي ،، فلم يأذن لي واستأذنته أن ازور قبرها ، فأذن لي "(٢). وقبرها خارج المدينة .

وفي الفصل الثامن قال :

" أن دعوة هذا النبي لجميع الناس ، أن يكون عظيم القدر ، ولهذا لم يخبر أن تكون رسالته إلى ملك كما أرسل موسى عليه السلام إلى فرعون ، إذ لو أرسل إلى ملك فلا يخلو أن يخاطبه بالخطاب الذي يليق بالملوك ، أو لا يكون كذلك ، فإذا كان الأول كان ذلك حطا لمنزلته ونقصا في حقه ، وإذا كان الثاني عُدَّ سيء الأدب واستجهل ، فلذلك جعلت رسالته إلى الناس كلهم وعلى السواء"(٣).

ومعلوم أن رسالة نبينا محمد ﷺ للناس كافة .

---

(١) اخرجه الترمذي : محمد بن عيسى في المناقب ، وقال هذا حديث حسن غريب صحيح . الجامع الصحيح للترمذى ج٥ ص٧٢٢ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت د . ت .

(٢) رواه مسلم . النووي – شرح صحيح مسلم ج٧ ص٤٥ .

(٣) ابن النفيس – الرسالة الكاملية ص٢٤ .

قال تعالى:

﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾(١) .

فهي لعموم الناس الملك والمملوك والرئيس والمرءوس ، بدون استثناء يجب أن تصلهم الرسالة ، وهذا ما قام به الرسول ﷺ ، فدعا الناس جميعا وخاطب زعماء ذلك العالم بما يناسبهم ، وتأكيدا لواقعية هذا الدين جاء التوجيه للنبي ﷺ حين طمع بإسلام زعماء قريش وتأخر في الرد على عبد الله بن أم مكتوم(٢)، فأصبح قرآنا يتلى إلى قيام الساعة . قال تعالى : ﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى ﴾(٣).

أما دعواه بمخاطبة الملوك بما يليق بهم تقلل من قيمة الرسول ، فيرد عليه من وجهين :

الأول : أن موسى عليه السلام جاءته لغة الخطاب من ربه لفرعون بقوله عز وجل :

﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾(٤) .

ولم تحط هذه اللغة من قدر موسى عليه السلام .

الثاني : أن النبي ﷺ في خطابه للملوك واستقباله لمن يأتي منهم كان على درجة من اللين والشفقة بهم ولم يقل أحد أن ذلك حط من شأنه وهو بهذا الأسلوب.

قال تعالى عن نبيه محمد ﷺ :

﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾(٥).

---

(١) سورة سبأ آية ٢٨ .

(٢) هو عبد الله بن ام مكتوم وقبل هو عمرو بن قيس ، قدم المدينة مع مصعب بن عمير ، وقيل بعد يوم ، استخلفه الرسول على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته وكان يؤذن له ، واستشهد في معركة القادسية .ابن عبد البر يوسف بن عبدالله – الاستيعاب جزء ٣ ص١١٩٨ . تحقيق علي البجاوي ، دار النهضة مصر د . ت .

(٣) سورة عبس آية ١و ٢

(٤) سورة طه آية ٤٤ .

(٥) سورة القلم آية ٤ .

ثم قال ابن النفيس :

" وينبغي أن تكون دعوته إياهم أولا بلين ورفق واحتمال ، لما يصدر منهم من مكروه ، وأما إذا كثر أصحابه وأحس من نفسه بالقوة على المقاتلة ، فيجب أن تكون دعوته للناس حينئذ بالقهر والسيف ، وذلك لان دعوته لو كانت أولا بالسيف لتعذر عليه ذلك لقلة عدده ولو استمرت دعوته على وجه اللين لكان زمانه يضيق عن تعميم ذلك للناس كلهم فلذلك يجب أن تكون دعوته ﷺ للناس أولا باللين وأخيرا بالسيف"(١).

والجواب على ما ذكره ابن النفيس نقول :

أن الدعوة إلى الإسلام كانت وما زالت باللين ، ونصوص القرآن قد وجهت رسول الله ﷺ وأمته إلى ذلك ، ومنها قوله تعالى :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ﴾(٢).

ولم يعلم أن الإسلام فرض على أحد بالسيف في عهد رسول الله ﷺ ، ولا من جاء بعده .

أما القوة التي استخدمت في الإسلام ، والتي قال عنها ابن النفيس أنها الدعوة بالسيف ، فقد كانت للدفاع عن النفس ومجابهة مشركي قريش وغيرهم من أعداء الدعوة ، الذين لم تسلم الدعوة ولا أتباعها من أذاهم .

أما الفتوحات التي بدأت بالجزيرة العربية ، وانتهت بأقاليم متعددة على هذه الأرض ، فقد كانت لإزالة الحواجز المادية التي تقف ضد وصول الدين إلى الناس.

والجهاد في الإسلام فرض كفاية على المشهور ، إلا أن تدعو الحاجة إليه بان يداهم العدو بلاد المسلمين فيتعين على من عينه الإمام القيام به ، وقد استمر الجهاد زمن النبي ﷺ ومن بعده من الخلفاء حتى تكاملت الفتوح لمعظم البلاد وانتشر الإسلام في أقطار الأرض(٣).

---

(١) ابن النفيس – الرسالة الكاملية ص ٢٤،٢٥ .

(٢) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٣) ابن حجر – فتح الباري شرح صحيح البخاري ج٦ ص٣٧ .

وقال ابن حجر :" والتحقيق أن جنس جهاد الكفار متعين على كل مسلم ، إما بيده أو بلسانه أو بماله أو بقلبه "(١).

والقتال في الإسلام ليس لفرض الدين على الأفراد ، بل لإبلاغهم هذا الدين وعند ذلك تترك لهم حرية اعتناقه(٢) .

وفي الفصل العاشر " تناقض ابن النفيس مع نفسه ، حيث سبق أن قال في الفصل الثاني ، أن استمرار الشريعة مقترن بمعرفة قبر النبي ﷺ حتى يقصد للزيارة ولا تنسى بذلك الشريعة "(٣)، ثم هو هنا يقول :

" ولما كان هذا النبي خاتم النبيين ، وجب أن تكون الحاجة إلى حفظ شريعته أكثر وذلك لان النبوة بعده منقطعة ، فلو نسي شرعه لفقد الشرع أصلا لتعذر حدوث شرع جديد ، فلذلك لا بد أن تكون الحاجة إلى حفظ شرع هذا النبي ﷺ أكثر من حفظ شرع غيره " ثم قال : " وانما يكون ذلك إذا كان له كتاب مما تتوافر الدواعي على حفظه " (٤).

وهذا إقرار واضح أن الحفظ مقترن بالكتاب ، لا بمعرفة قبر النبي ﷺ وقصده للزيارة ، وكتاب الله حفظ حفظا لم ينله كتاب آخر .

قال تعالى :

﴿ إنّا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾(٥).

قال ابن كثير : " قرر تعالى انه هو الذي انزل عليه الذكر ، وهو القرآن ، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل " (٦) .

---

(١) فتح الباري – شرح صحيح البخاري ج٦ ص ٣٨ .

(٢) نعيم ياسين – الجهاد في الإسلام ميادينه واساليبه واحكامه ص٧٧ . دار الفرقان عمان ١٤٠٦هـ .

(٣) ابن النفيس – الرسالة الكاملية ص ١٧ .

(٤) ابن النفيس – الرسالة الكاملية ص ٢٦

(٥) سورة الحجر آية ٩ .

(٦) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٤٨ .

ثم قال فيما سماه : " فيما يأتي به هذا النبي ﷺ من صفات الله" :

" ينبغي أن يعرف الناس أن لهم صانعا ، وان هذا الصانع من البهاء والجلال إلى حد لا نهاية له " .

ثم قال : " ومع ذلك فان هذا النبي لا يظهر أن وراء ذلك شيئا أخفاه ، ولا يكلف الناس ما لا يسهل عليهم الوقوف عليه ، مما يعسر قبول الوهم له ، كما أن الله تعالى ليس في داخل العالم ولا هو في خارجه وانه ليس بجسم ولا محسوس ولا هو في جهة ولا إليه إشارة حسية " .

ثم قال : " لو صرح بها لانشغلوا بفهمها وتشوشوا وتحيروا ، واشتغلوا بها عن معاشهم ، واختل عليهم نظام شملهم ، فلذلك ينبغي أن يكون ذكر النبي ﷺ لهذه الأشياء ذكر مجمل من غير تفصيل ظاهر ، ومع ذلك فلا يظهر أن هناك تفصيلا ، ومع ذلك فلا يهمل من التفصيل أصلا بل يجعله في كلامه من الرموز والإشارات ما يفهم الخواص منه تفصيل ذلك كله ، مع افتقار العامة إلى ما يفهمونه على ظاهره " (١).

والجواب على ما ذكره ، أن الأولى منه أن يستخدم لفظة غير الصانع لتتوافق مع صفات الله ، لان الله سبحانه وتعالى خالق ، والخلق هو الإنشاء من العدم .

أما قوله : " أن الله تعالى ليس في داخل العالم ، ولا هو في خارجه ، وانه ليس بجسم ولا محسوس ، ولا هو في جهة ، ولا إليه إشارة حسية " فهذا منهج النفات ، الذين يسلبون الصفات عن الله وهم الفلاسفة . وقوله انه ليس في داخل العالم ولا في خارجه هو من سلب الصفات ، وهو أمر ممتنع ويعلم استحالته وبطلانه (٢).

أما قوله ليس بجسم ، فهذه لفظة حادثة وحسب المراد بها تثبت أو تنفى ، فان كان المراد يليق بجلال الله ويوافق النصوص اثبت وان كان خلاف ذلك نفي (٣) .

---

(١) ابن النفيس – الرسالة الكاملية ص٢٧ .

(٢) فالح آل مهدي – شرح الرسالة التدمرية ص١٤١ .

(٣) فالح آل مهدي – شرح الرسالة التدمرية ص ١٥٤، ١٥٥ .

وأما قوله : " ولا هو في جهة " فان كان المراد أنها شيء مخلوق فالله ليس داخلا في المخلوقات ، وان كان المراد بالجهة ما وراء العالم ، فلا ريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات ([١]).

وأما قوله : " ولا إليه إشارة حسية ، فان النبي ﷺ لما سأل الجارية بقوله : " أين الله ؟ . فقالت : في السماء ، وأشارت بيدها " ، اقرها على ذلك ([٢]). كما انه أشار بإصبعه إلى السماء مشهدا الجمع الأعظم ([٣]).

وأما قوله ، أن ذكر الصفات جاء مجملا من غير تفصيل ، وان جاء التفصيل ففيه من الرموز والإشارات ما يفهم الخواص منه التفصيل ، مع افتقار العامة على ما يفهمونه من ظاهره " .

فإن مذهب السلف من القرون الثلاثة ومن سار على نهجهم يرون أن تمر الصفات كما جاءت ، وأنه يجب الإيمان بها ، وهي صريحة الدلالة واضحة المعنى وظاهرها مراد الله بكلامه([٤]) ، بما يليق بذاته المقدسة .

يعتقد الفلاسفة أن الأنبياء يخبرون الناس بما يعرفون ويتخيلونه ويتوهمونه وان كان الأمر ليس كذلك في نفس الأمر ، لأن من مصلحة الجمهور أن يخاطبوا بما يتوهمون به ، ويتخيلون أن الأمر هكذا ، وان كان هذا كذبا فهو كذب لمصلحة الجمهور إذا كانت دعوتهم ومصلحتهم لا تمكن إلا بهذه الطريقة ([٥]) .

وفي الفصل الذي سماه : " تعرف كامل المعاصي التي لا بد أن تقع لملة هذا النبي ".

" أن هذا النبي لا بد وان يحرم شرب الخمر لأنه يذهب صحة العقل ، ولا بد أن يحرم ظهور النساء وتكشفهن للأجانب ومن لازم هذا :

---

(١) فالح آل مهدي – التحفة المهدية ص ١٥٦ .

(٢) رواه مسلم جـ ١ ص ٣٨٢ .

(٣) فالح آل مهدي – التحفة المهدية ص١٥٥.

(٤) فالح آل مهدي – التحفة المهدية ص ١٦٣ .

(٥) ابن تيمية – درء تعارض العقل والنقل ج١ ص٩ – نشر جامعة الامام ١٤٠١ هـ .

١- أن يكثر في ملة هذا النبي مخالفته في تجنب الخمر وذلك لأجل شدة ميل النفوس لها مع أنها مما لا يستغنى عنه في حفظ الصحة وفي دفع كثير جدا من الأمراض .

٢- أن يكثر في ملة هذا النبي ﷺ اللواط ، وذلك لأنه لما أمر بخبأ النساء عسر الزواج على كثير من الناس وعسر على من له زوجة أن يصحبها معه في الأسفار والغزوات ونحو ذلك ، فلذلك يحتاج كثير مَنْ أهل هذه الملة إلى معاملة من يشبه النساء من الرجال كما يعامل النساء وذلك لأجل الشبق وقوة شهوة الجماع على الناس وتعذر مخالطة النساء على كثير من أهل هذه الملة ، فلذلك يكثر في هذه الملة اللواط ومخالفة النبي ﷺ في اجتناب الخمر" (١) .

أما اللازم الأول الذي ذكره ، وهو كثرة شرب الخمر في هذه الأمة لميل النفوس إليها ، لأنها مما لا يستغنى عنه في حفظ الصحة ودفع كثير من الأمراض ، فهذه الدعوى معارضة صريحة للتشريع السماوي في تحريم الخمر الذي قال الله تعالى فيه :

﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما اكبر من نفعهما ﴾ (٢) .

والأمر الآخر ، انه يستغنى عن الخمر في حفظ الصحة وفي دفع الأمراض ، ولا يمكن أن تحرم الشريعة شيء فيه منافع للناس اكبر من مضاره ، بل أدرك الناس عبر حياتهم خطر الخمر وضرره الكبير على الصحة وابن النفيس وهو الطبيب كيف لا يدرك ذلك !.

وأما اللازم الثاني الذي ذكره ، فهو دعوى انتشار اللواط في هذه الأمة ، سببه كما ذكر خبيء النساء وعسر الزواج على كثير من الناس ، وعدم القدرة على اصطحاب الزوجات في السفر .

فأما خبيء النساء ، فهو لصيانتهن من التبذل والسفور حتى لا يقعن في حبائل شياطين الإنس ، ولهذا جاءت النصوص بذلك ومنها قوله تعالى :

---

(١) ابن النفيس – الرسالة الكاملية ص ٤١ ، ٤٢ .

(٢) سورة البقرة آية ٢١٩ .

﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ (١) .

وأما عسر الزواج على كثير من الناس فلا يسلم له بإطلاق .

فنصوص الشريعة تؤكد على الزواج وتحث الناس عليه ، قال تعالى :

﴿ وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ، أن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ، وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ (٢).

ومن ذلك قوله ﷺ :

" يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر أحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء " (٣) .

وجاءت وقائع كثيرة زمن النبي ﷺ تدل على يسر الزواج في منظور الإسلام (٤).

وأما استصحاب الزوجات في السفر والغزوات ، فلا يوجد مانع شرعي منه ، فقد كان ﷺ إذا أراد السفر اقرع بين نسائه فأيهم وقعت عليها القرعة سافر بها (٥).

ثم هل من لازم عدم اصطحاب الزوجات في السفر الوقوع في الحرام ، أن ذلك افتراض في غير محله ، فالإسلام يربي أفراده على الطهر والعفاف بما يغرسه من إيمان في قلوب أهله ، فيورث ذلك الخوف والخشية من الله من أن يقع أحدهم فيما حرم الله ، بجانب ذلك فهو يمنع الوسائل التي تقرب إلى الحرام .

---

(١) سورة النور آية ٣١ .

(٢) سورة النور آيه (٣٢،٣٣)

(٣) مسلم – صحيح الامام مسلم ج٤ ص ١٠١٩ .

(٤) زوج النبي صلى الله عليه وسلم المراة التي عرضت نفسها عليه رجلا بما معه من القرآن . صحيح مسلم ج ٢ ص ١٠٤١ .

(٥) مسلم – صحيح الامام مسلم ج ٤ ص ٢١٣٠ .

ولهذا فان افتراض الوقوع في الحرام في حالة السفر افتراض غير معقول للأمور آنفة الذكر .

ووجود اللواط ليس سمة خاصة بالمسلمين ، بل هو شذوذ خلقي يوجد عند منتكس الفطرة في المجتمعات البشرية ، إسلامية وغير إسلامية ، والناظر في حال المجتمعات قديمها وحديثها يدرك ذلك ، ولذلك فدعواه كثرة اللواط في الأمة الإسلامية تحتاج إلى دليل يستند إليه ، حيث الواقع عير التاريخ للأمة الإسلامية خلاف ما ذكر ، بل أن كثرة هذا السلوك عند غيرها أظهر وأبين .

وفي الفصل الرابع والذي عنونه " في كيفية تعرف كامل لما يحدث لملة هذا النبي لأجل عصيانهم من العقوبة " . قال : " أن عقوبة هذه الأمة بسفك الدماء مما لا يحط من المنزلة ، وان هذا القتل يكون من غير ملتهم "(١) .

ولعل هذا الاستنتاج من ابن النفيس ، بناه على ما شاهده في حياته من القتل بالمسلمين من قبل التتار والصليبيين ، فرتب على هذا عقوبة الأمة بالقتل وان قاتلها من غير ملتها .

لكن الإمام القرطبي رحمه الله ، والذي عاش في القرن السابع ، وشاهد ما شاهده ابن النفيس من ما حل بالأمة من القتل قال عند قوله تعالى :

﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون ﴾(٢).

" فان المشاهد في الوجود فقد لبسنا العدو في ديارنا ، واستولى على أنفسنا وأموالنا ، مع الفتنة المستولية علينا بقتل بعضنا بعضا واستباحة بعضنا أموال بعض"(٣).

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال :

" قال رسول الله ﷺ : " أن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وان أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة ، وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وان ربي قال : يا محمد أنى إذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، وإني قد أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من أقطارها ، أو قال من بين أقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ، ويسبي بعضهم بعضاً "(٤) .

---

(١) ابن النفيس – الرسالة الكاملية ص ٤٠، ٤١ .

(٢) سورة الانعام آية ٦٥ .

(٣) الجامع لاحكام القرآن ج٧ ص ١٠ .

(٤) النووي – شرح صحيح الامام مسلم ج ١٨ ص ١٤ .

وهذا الحديث يرد بصراحته على دعوى ابن النفيس ، بأن عذاب هذه الأمة بقتلها من قبل عدوها الذي لا يدين بدينها ، بل عذابها بإهلاك بعضهم بعضا .

الحسن بن علي بن القطان وكتابه الروضات البهية الوسيمة في الغزوات النبوية الكريمة :

هو أبو محمد الحسن بن علي القطان(١)، لا يعرف تاريخ محدد لمولده ، ولعل ما نقل عن والده وهو يذكر إجازة ابنه من أحد العلماء يعطي الدلالة على الزمن التقريبي الذي ولد فيه ، حيث يقول :

" قدم علينا تونس سنة اثنتين وستمائة واستجزته لابني فأجازه واياي "(٢).

وقد اشتغل بطلب العلم وهو في ريعان شبابه ، وحينما اشتد عوده كان عوناً لوالده في كتاباته ، حتى قيل انه هو الذي وضع عناوين كتبه .

وكانت حياة ابن القطان في أواخر دولة الموحدين ، والتي تلقت ضربات عدة كانت هي نهايتها .

وعمل ابن القطان لدى الأمير الموحدي عمر بن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالمرتضى(٣).

والمطلع على ما كتبه عن الدولة الموحدية يدرك حماسه الشديد لها ، والإيمان الصادق بها فكان على خطى والده في ذلك(٤).

ومن أعماله العلمية مؤلفاته التي منها نظم الجمان ، وواضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان ، وكتاب شفاء العلل في أخبار الأنبياء والرسل ، وكتاب الأحكام لبيان

---

(١) ابن عذارى – البيان المغرب القسم الموحدي ص ٤٤٦ .

(٢) المقري – نفح الطيب ج ٢ ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٣) ولي المرتضى الموحدي عرش الموحدين ٦٦٤ هـ ، وقد عجز عن الوقوف امام بني مرين وانشغل في العلم والثقافة والبنيان ، وقد قتل على يد منافسه وقائده العسكري ابي دبوس سنة ٦٦٣هـ . ابن عذارى – القسم الموحدي ص ٣٨٧ – ٤٤٧ .

(٤) المقري أحمد بن محمد – نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب . ج ٣ ص ١٣٥ ، ١٣٦. تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، دار المأمون ١٩٣٦م .

آياته عليه السلام(١)، وكتاب الروضات البهية الوسيمة في الغزوات النبوية الكريمة(٢).

وكانت وفاته في منتصف القرن السابع .

ومن الملاحظ أن ابن القطان ومن خلال كتابه نظم الجمان ، قد اظهر إعجابه وقناعته بما جاء به أبو عبد الله محمد بن تومرت(٣)، بل انه صرح في بعض من مواضع كتابه عن موافقته له في بعض ما جاء به .

ومن ذلك ما بدأه في الحديث عنه بقوله :

" ابتداء إعلام الإمام المعصوم المهدي المعلوم رضى الله تعالى عنه بإعلان أمره العزيز ومبايعة الناس له "(٤) .

وهذا لفظ صريح من ابن القطان بان ابن تومرت يتمتع بالعصمة ، ومعلوم أن العصمة لم تكن إلا للأنبياء فيما يبلغون به عن الله .

واعتبره المهدي ، الذي اخبر(٥) الرسول ﷺ بخروجه آخر الزمان ، وهذا أمر لم يتحقق بعد .

وعند الحديث عن أخلاق المهدي يقول :

---

(١) ابن عذارى – البيان المغرب القسم الموحدي ص ٤٤٦.

(٢) لم يوجد من كتبه سوى جزء من نظم الجمان والذي سبق الاشارة اليه ، وكتاب الغزوات النبوية وهي مخطوط محفوظة بجامعة القرويين . انظر د. محمود على مكي – مقدمة كتاب نظم الجمان ص ٣٩ .

(٣) هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت ولد سنة ٤٨٥هـ وارتحل إلى المشرق فحج، وحصل على اطراف العلم ، ثم ارتحل إلى المغرب ، وهناك اسس دولة الموحدين ، وكان بدأ ذلك سنة ٥١٠ هـ وقد استطاع اسقاط دولة المرابطين وخلافتها وله معتقد خاص يجمع فيه بين الاشعرية والتشيع والاعتزال توفي ٥٢٤ هـ . ابن القطان – نظم الجمان فيما سلف من اخبار الزمان ص ١٢٣ – تحقيق د . محمود علي مكي . نشر دار الغرب الاسلامي . بيروت ١٩٩٠م ، الذهبي – سير اعلام النبلاء ج١٩ ص ٥٤٠ و ٥٤٨ .

(٤) ابن القطان – نظم الجمان ص ٨٧ .

(٥) ابن القطان – نظم الجمان ص ٩٠ .

" كان شجاعا كريما ، مصمما على الحق ، لا يأخذه في الله لومة لائم ، عالما متمليا من علوم الحديث والأصولين أصول الفقه وأصول الدين " .

وهو بهذا وصفه بأنه مصمم على الحق ، أي أن ما جاء به هو الحق ، ومعلوم أن تصميمه لم يتوقف على جانب معين بل كان شاملا للعلم والعمل حتى أنشأ دولته التي طبق بها قناعاته الاعتقادية .

وجعلت العلماء يقولون رأيهم فيه كما سيأتي .

ووصف ابن القطان له بأنه عالم في الأصولين الحديث وأصول الدين تدل على قناعة ابن القطان بمقدار علمه وسلامته وصحته ، والمهدي ابن تومرت والذي ظهر من ابن القطان قناعته بما جاء به عرف عنه الجمع بين المعتقدات المختلفة .

فقد قال المراكشي :

" أن ابن تومرت على مذهب أبى الحسن الأشعري في أكثر المسائل إلا في إثبات الصفات ، فانه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها ، وكان يبطن شيئا من التشيع ، غير انه لم يظهر منه إلى العامة شيء "(١).

وعد الإمام ابن تيمية رحمه الله مذهب ابن تومرت في الكلام بأنه مزيج من الملل والأهواء ومذاهب الفلاسفة(٢).

ويقول أيضا عنه : " كان قوله في التوحيد قول نفات الصفات "(٣) .

قال الذهبي عنه : " وافق المعتزلة في شيء ،، والأشعرية في شيء ، وكان فيه تشيع"(٤).

ومن الأقوال التي حكم من خلالها على عبد الله بن تومرت قوله :

" والوجود المطلق هو القديم الأزلي ،، الذي استحالت عليه القيود بمطلق الوجود من غير تقييده ، ولم يرتبط وجوده بوجود على الإطلاق ، ولا سابقة قبلية ولا

---

(١) المعجب ص ٢٧٥ .

(٢) ابن تيمية – درء تعارض العقل والنقل ج٣ ص ٤٣٨ . نشر جامعة الامام بالرياض ١٤٠١ هـ . تحقيق د . محمد رشاد سالم .

(٣) ابن تيمية – الفتاوى ح١١ ص ٤٧٦ .

(٤) سير اعلام النبلاء ج١٩ ص ٥٤٨ .

متابعة بعدية "(١).

فهو بهذا يوافق المعتزلة الذين يقولون : " أن الله لا يتصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم ... ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ، ولا تجري عليه الآفات ، ولا تحل به العاهات ، وكل ما خطر بالبال أو تصور بالوهم فغير شبه له ولم يزل أزلا أولا سابقا للمحدثات "(٢) .

ويلاحظ مع هذا التوجه الفكري لابن القطان ، الذي ظهر من خلال كتابه نظم الجمان ، والمتضمن الإعجاب والقناعة بما جاء به ابن تومرت ، بل والدفاع عنه.

أما كتابه " الروضات البهية الوسيمة في الغزوات النبوية الكريمة " ، والذي أفاد في مقدمته له أن كتابته له تنفيذ لأمر الأمير الموحدي المرتضى .

نرى انه لم يصبه في قالب قناعته الفكرية والتي ظهرت في كتابه نظم الجمان ، بل يظهر للقارىء انه عرض مجرد للغزوات النبوية من جانب تاريخي ، حتى انه ومن خلال عرضه للأحداث التي تتعلق بها الشيعة من السيرة والتي تدور حول ما قام به علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أعمال في حياة الرسول ﷺ ، يعرضها كما جاءت في كتب السيرة دون إخفاء شيء مما يقوله الشيعة حول لحاق علي رضي الله عنه بابي بكر رضي الله عنه عام تسع من الهجرة ليبلغ سورة براءة(٣). وكما في موقف النبي ﷺ من علي رضي الله عنه حين لقيه في غدير خم وهو راجع من حجة الوداع(٤).

---

(١) نقل هذا القول لعبد الله بن تومرت من كتاب اعز ما يطلب . د . علي الادريسي في كتابه الامامة عند ابن تومرت ص ١٨٦ .

(٢) الاشعري – مقالات الاسلاميين ج١ ص ٢٣٥ . نشر المكتبة العصريه بيروت ١٤١١هـ – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

(٣) ابن القطان – الروضات البهية الوسيمة في الغزوات النبوية الكريمة ورقة رقم ١٤١ . مخطوط بجامعة القرويين تحت رقم (٢٩٦،٢٤٠) وصورة منه بجامعة أم القرى بمكة المكرمة تحت رقم ١٣٣ سيرة .

(٤) ابن القطان – الروضات البهية الوسيمة ورقة ١٤٦ .

وبهذا يمكن القول ، أن هذا الكتاب جزء من الترف العلمي الذي توجهت له دولة الموحدين في عصر المرتضى ، وغفلت به عن الضربات التي كانت تتلقاها أقاليم الدولة المتعددة من أعدائها وهي تنذر بنهايتها .

وكان المؤمل أن يكون اختيار هذا الموضوع حافزا للموحدين في الدفاع عن أنفسهم واقتفاء اثر الرسول ﷺ وهو على الأقل بالجانب الحري من سيرته ، ولكن هذا الذي لم يحدث .

المبحث الرابع

أثر عقيدة أهل السنة على كتابة السيرة .

- تعريف بهم . نشأتهم .
- منهجهم في تلقي القرآن والسنة .
- أثر منهج أهل السنة على كتابة السيرة في هذا القرن .
- اعتمادهم آيات من القرآن الكريم في استنباط وتوضيح أحداث السيرة النبوية.
- استخدام السيرة للرد على من اتخذها وسيلة لتأكيد اتجاهاته .
- استخدام السيرة النبوية للوقوف في وجه أعداء الإسلام .
- استخدام السيرة في بيان مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم ومنزلته .
- وقوع بعض كتاب السيرة من أهل السنة في خطأ غيرهم .
- نقل الروايات دون تمحيص .
- العناية ببعض جوانب السيرة .
- محاكاتهم لغيرهم في بعض مناهجهم وأساليبهم .

تعريف : أهل السنة والجماعة :

في **اللغة** :

السنة : السيرة والطريقة ، حسنة كانت أم قبيحة(١).

و**شرعا** : ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ، ونهى عنه ، وندب إليه قولا وفعلا .

والجماعة : أصلها جمع وهي الشيء المتفرق فاجتمع .

وفي **الاصطلاح** :

أهل السنة : أي المعتصمون والمتمسكون بها ، والمعتنون بدراستها وفهمها ، المحكمون لها في القليل والكثير ، وهم الصحابة ، والتابعون لهم في الاعتقاد والقول والعمل[٢] .

و**الجماعة** : الفرقة من الناس والمراد بهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة .

وجاء في النصوص بلزوم تلك الجماعة ، والمراد بها من تمسك بالحق مع قلتهم وكثرة الباطل .

ونشأة مصطلح أهل السنة لا يكاد يقطع بزمن معين لها ، فمن المعلوم أن الفرق لم تتحدد معالمها إلا بعد أن خططت لقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وزرعت بذور الفتنة في صفوف المسلمين ، فعند ذلك بدأت تفتك في جسد الأمة، وتتسمى بأسماء مختلفة تعبر عن واقعها ومنهاجها الذي تسير عليه ، لكن أهل السنة هم الأصل . إذ لما سئل الإمام مالك عن أهل السنة قال :

---

(١) الرازي- مختار الصحاح ص ٣١٧، دار القلم بيروت ؛ ابن منظور : لسان العرب ج٣ ص٢١٢٥ ؛ مصطفى السباعي - السنة ومكانتها في التشريع ص ٤٧ _ المكتب الإسلامي _ دمشق _ بيروت _ ١٤٠٥هـ .

(٢) ابن تيمية - العقيدة الواسطية _ شرح الشيخ عبد العزيز الرشيد ص ١٥ _ نشر دار الرشيد _ الرياض . د . ت .

" وأهل السنة ليس لهم لقب يعرفون به لا جهمي ولا قدري ولا رافضي " [١].

وقال الإمام ابن تيمية :

" مذهب أهل السنة والجماعة ، مذهب قديم معروف ، قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالك والشافعي وأحمد . فانه مذهب الصحابة الذي تلقوه عن نبيهم " [٢] .

وهذه التسمية أقر لهم بها بعض أرباب الفرق الأخرى ، وبعضهم أسبغ على نفسه هذه التسمية مع انحراف معتقده ، وهو بهذا يريد تأكيد صحة وسلامة فهمه .

ووقت نشوء هذا الاسم لأهل السنة غير معروف[٣] ، لكن التابعي الجليل ابن سيرين رحمه الله ، حدد زمنا تقريبيا لتميز أهل السنة عن غيرهم بهذا الاسم ، فيقول :

" لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا : سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ منهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ منهم" [٤].

منهجهم في تلقي القرآن والسنة :

يأخذ أهل السنة والجماعة بالنصوص القرآنية الواردة في توجيههم إلى كيفية تلقيه ، فيقفون عندها ولا يتجاوزونها ، فعند قوله تعالى :

﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ﴾[٥] .

قال ابن كثير : " أنزله جبريل بالصدق والعدل ، ليثبت الذين آمنوا ، فيصدقوا بما نزل أولا وثانيا وتخبت له قلوبهم . **﴿ وهدى وبشرى للمسلمين ﴾** أي جعله هاديا وبشارة للمسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله " [٦].

---

(١) ابن عبدالبر – الانتقاء في فضائل الأئمة الفقهاء ص ٣٥ _ دار الكتب العلمية _ بيروت .

(٢) منهاج السنة ج٢ ص ٤٨٢ _ نشر جامعة الإمام _ الرياض .

(٣) فهد الرومي – اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري ج١ ص ٥٥ _ رسالة دكتوراه في التفسير _ الرياض ١٤٠٧هـ .

(٤) رواه الإمام مسلم شرح النووي ج١ . ص ٨٤ .

(٥) سورة النحل آية ١٠٢ .

(٦) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٥٨٦ .

ويستشهدون من القرآن بأن الإيمان به هو أصل الإيمان .

وذلك من قوله تعالى:

﴿ **ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة** ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم** ﴾[٢].

ويقول الإمام أحمد :

" ونؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه " [٣].

ولهذا فمعتقدهم كما بين الطحاوي بالقرآن :

أنه كلام الله ، منه بدأ بلا كيفية قولا ، وأنزله على رسوله وحيا ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا ، وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة ، ليس بمخلوق ككلام البرية ، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر ، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر . حيث قال تعالى : ﴿ **سأصليه سقر** ﴾[٤] فلما أوعد الله بسقر من قال ﴿ **إن هذا إلا قول البشر** ﴾[٥] ، علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ، ولا يشبه قول البشر[٦] .

وفي اعتصام السلف بالقرآن والسنة . قال ابن تيمية :

" وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم ، اعتصامهم بالكتاب والسنة ، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن ، لا برأيه ولا ذوقه ولا معقولة ولا قياسه ولا وجده . فأثبت عندهم بالبراهين القطعيات ، والآيات البينات ، أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق،

---

(١) سورة البقرة ، الأيات ٣،٢،١ .

(٢) سورة المائدة آية ١٣٦ .

(٣) ابن قدامة – لمعة الاعتقاد ص ٤ .

(٤) سورة المدثر آية ٢٦ .

(٥) سورة المدثر آية ٢٥ .

(٦) الطحاوي – العقيدة الطحاوية . تعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، ص ١٢ ، نشر دار الإفتاء بالرياض .

وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم ، فيه نبأ من قبلهم ، وخبر ما بعدهم ، وحكم ما بينهم " (١).

وبهذا يتضح أن أهل السنة والجماعة ، اتفقت أقوالهم بأن القرآن الكريم تلقى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما جاء عن الله دون زيادة أو نقص ، ومن قال غير ذلك حكم عليه بالكفر .

أما منهجهم في تلقي السنة :

فقد سبق بيان أن السنة هي ما حدث به النبي صلى الله عليه وسلم من قوله أو فعله أو إقراره . فمما قاله إن كان خبرا ، وجب التصديق به ، وان كان تشريعا إيجاباً أو تحريما أو إباحة ، وجب إتباعه فيه(٢) .

والسنة النبوية تابعة للقرآن الكريم ، وشارحة له ، وموضحة لنصوصه ، وقد جاء ذلك في حديث معاذ رضي الله عنه ، حين بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليمن .

قال: " أرأيت إن عرض لك قضاء ، كيف تقضي ؟ .

قال : أقضي بكتاب الله.

قال : فان لم يكن في كتاب الله .

قال : فبسنة رسول الله " – الحديث(٣).

وقد قال الإمام أحمد بن حنبل أن السنة تفسر الكتاب وتبينه(٤) .

ونتيجة لهذا الاهتمام بالسنة ، وعلو منزلتها عندهم ، بذلوا جهدهم في تمحيص رواياتها . ففي القرن الثاني الهجري والذي ظهرت فيه الأفكار المنحرفة ، وأعلنت للناس أنها الحق ، ممثلة بالمعتزلة والباطنية وغيرها ، كانت مناهج أهل السنة في الحديث قوية وواضحة ، ولأهلها دراية بما يحفظ حديث رسول الله صلى

---

(١) الفتاوى ج١٣ ص ٢٨ .

(٢) ابن تيمية – الفتاوى ج١٨ ص ٧ .

(٣) الحديث رواه الدارمي في سننه جـ١ ص ٦٥ نشر دار القلم دمشق ١٤١٢هـ .

(٤) ابن القيم – أعلام الموقعين ص ٣١. تحقيق عبدالرحمن الوكيل ، دار الكتب العلمية د . ت

الله عليه وسلم من زيغهم وهلاكهم . فتعددت مصنفاتهم سواء كانت مسانيد[١] ، أو سنن[٢] ، أو صحاح[٣] .

وأجمعت الأمة على صحة صحيحي الإمام البخاري ومسلم ، ثم صنفت المصنفات الأخرى بعد نشوء علم مصطلح الحديث . فكان القرن الثالث أزهى عصور السنة النبوية . ولهذا فالسنة لها حكم القرآن ، في ثبوت العلم واليقين والاعتقاد والعمل[٤] . فهي أصل الدين والمصدر الثاني في التشريع.

قال الحسن البصري وسعيد بن جبير :

" لا يصلح قول وعمل إلا بنية ، ولا يصلح قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة . فأنظر إلى أهمية السنة ، فهي مدار كل عمل "[٥] .

---

(١) وطريقة أصحاب المسانيد : ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتبة أسماؤهم على حروف المعجم أحيانا وغير مرتبة أحيانا أخرى ، ثم يذكر في ترجمة كل صحابي الأحاديث التي يروونها من طريقه غير متقدمين بأن يكون الحديث صحيحا . سعد ياسين – علم الحديث ص ٢٩ .

(٢) والسنن : سميت بذلك لأنها صنفت على موضوعات .

(٣) والصحاح : لاشتراط أصحابها الصحة فيما يروونه .

(٤) الهراس – شرح العقيدة الواسطية ص ١٠١ . نشر الجامعة الإسلامية – المدينة ١٣٩٦هـ.

(٥) ابن تيمية : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٧٦ ، دار الكتاب الجديد – بيروت ١٩٧٦م .

أثر منهج أهل السنة على كتابة السيرة في القرن السابع الهجري :

اعتمادهم آيات من القرآن الكريم في استنباط وتوضيح أحداث السيرة النبوية:

لقد كان من منهج أهل السنة ، اعتماد القرآن الكريم والسنة النبوية في كتابة سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، قد تأصل هذا المعنى في نفوسهم ، إلا أنه برز في هذا القرن من اتجه إلى آيات القرآن الكريم يفسرها على ضوء ما نزلت به ، ويستنبط منها معجزات وخصائص الرسول صلى الله عليه وسلم ، يوضح بها أحداث السيرة مستفيدا من ظروف وقوع الحدث ونزول الآيات به ، ومسترشدا بنصوص السنة النبوية الأخرى ذات العلاقة بالمعنى الذي يراد الحديث به .

وممن استخدم آيات القرآن الكريم ، في الربط بين وقائع السيرة النبوية ، الإمام ابن تيمية رحمه الله ، وذلك في كتابه : الصارم المسلول على شاتم الرسول . فقد وقف عند قوله تعالى :

﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم﴾[(١)] .

قال : فبدر كانت أساس عز الدين ، وفتح مكة كمال عز الدين ، فكانوا قبل بدر يسمعون الأذى الظاهر ويؤمرون بالصبر عليه ، وبعد بدر يؤذون في السر من جهة المنافقين وغيرهم ، فيؤمرون بالصبر عليه . وفي تبوك أمر بالإغلاظ لكفار المنافقين ، فلم يتمكن بعدها كافر ولا منافق من أذاهم في مجلس خاص ، لعلمهم بأنه يقتل إذا تكلم. وقد كان بعد بدر لليهود استطالة وأذى للمسلمين[(٢)] إلى أن قتل كعب بن الأشرف[(٣)] . فقلل ذلك من أذاهم حتى تلاحقت عليهم الأحداث وأضعفت وجودهم في المدينة .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٤٨ .

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٢٠ . تحقيق محي الدين بن عبدالحميد ، عالم الكتب ١٤٠٣هـ .

(٣) هو كعب بن الأشرف الطائي ، شاعر جاهلي ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وآذى النبي صلى الله عليه وسلم فهجاه وتغزل بنساء المسلمين ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله =

وهذا الاستنباط من هذه الآية ، وتطبيقه على أحداث السيرة من الإمام ابن تيمية، له دلالته الكبرى في فهم آيات القرآن الكريم ، وفهم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد بين أن غزوة بدر كانت أساس العز للإسلام بين الناس ، ثم تكررت الأحداث في السيرة النبوية حتى توج ذلك العز بالقضاء على مركز الوثنية في مكة بعد فتحها، وأصبح لا يوجد قوة تقف أمام المسلمين في موقف الند في الحجاز . وهذا التغير زاد من قوة المسلمين ، ولهذا ففي غزوة تبوك أمروا بالإغلاظ على المنافقين والكفار ، ولم يؤمروا قبل ذلك ، وسببه تنامي قوتهم ، ولم يعد لأحد حرية النيل من الرسالة أو صاحبها . وهذا ما ينبغي على الدعاة إلى هذا الدين فقهه ، في كل زمان ومكان حتى لا يهدروا طاقاتهم في استعجال النتائج قبل توفر الضمانات لها .

وعند قوله تعالى :

﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ﴾(١) .

قال : " أمر سبحانه بقتال الناكثين الطاعنين في الدين ، وضمن لنا – إن فعلنا ذلك – أن يعذبهم بأيدينا ، ويخزهم ، وينصرنا عليهم ، ويشفي صدور المؤمنين الذين تأذوا من نقضهم وطعنهم ، وأنه يذهب غيظ قلوبهم ، لأنه رتب ذلك على قتالنا ترتيب الجزاء للشرط ، والتقدير : إن تقاتلوهم يكن هذا كله . فدل على أن الناكث الطاعن مستحق هذا كله ، وإلا فالكفار يدالون علينا المرة ، وندال عليهم الأخرى ، وان كانت العاقبة للمتقين "(٢) .

فبين رحمه الله حال كفار مكة بعد نقضهم العهد مع المسلمين ، والذي اتفق عليه في صلح الحديبية ، وأن الله سبحانه قد دعا إلى قتالهم ، وضمن للمسلمين النصر

= فقتلته ثلة من الأنصار سنة ٣هـ . البخاري – صحيح البخاري ج٥ ص ١١٦ ، السهيلي – الروض الأنف ج٣ ص ١٤ .

(١) سورة التوبة الآيتان ١٤ و ١٥ .

(٢) ابن تيمية : الصارم المسلول ص ١٩ .

عليهم ، وأن جزاء نقض العهد يختلف عن جزاء الكفر ، فناقضي العهد ضمن الله النصر عليهم ، أما الكفار فالحرب تدال عليهم مرة وعلى المسلمين أخرى .

ثم بين رحمه الله : ذكر الله سبحانه النصر عليهم ، وأنه يتوب بعد ذلك على من يشاء ، يخرج منه الفرد الواحد الذي لا يمكن قسمته ، وهو مراده رحمه الله في كتابه هذا .

وبين رحمه الله أن الفئة تختلف في مباشرتها للفعل ، فقد يباشر البعض دون البعض الآخر ، ولا يلزم من التوبة على المعين التوبة على المباشر ، واستشهد بأن النبي صلى الله عليه وسلم أهدر عام الفتح دم الذين باشروا الهجاء ، ولم يهدر دم الذين سمعوه ، وأهدر دم بني بكر ، ولم يهدر دم الذين أعاروهم السلاح(١) .

ومما سبق يتضح أن ابن تيمية رحمه الله ، قد استنبط من تلك الآيات ما استدل به على منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومكانته بين الناس ، كما استنبط أيضا عظم جرم المعاهد للمسلمين إذا نقض ذلك العهد معهم ، وكيف أن الله أمر بقتاله ، وأنه سبحانه سيعين عليه . كما أبان أن موقف النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة قد بني على أسس من الشريعة ، كيف لا وهو المشرع لأمته ؟! . وذلك حين أهدر دم(٢) من باشر الأذى للنبي صلى الله عليه وسلم ، وترك غيرهم ممن لم يكن له سوى السماع . كما أنه ترك من أعان بني بكر بالسلاح وشاركها بقتال خزاعة وقصر إهدار الدم عليها ، وترك غيرها من قريش .

واستنبط من آيات القرآن الكريم **خصائص النبي صلى الله عليه وسلم** .

وممن قام بهذا ابن دحيه في كتابه : " نهاية السول في خصائص الرسول " .

وقد ذكر عددا من الخصائص منها :

أن الله سبحانه وتعالى جادل عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، بينما الأنبياء كل جادل عن نفسه :

---

(١) الصارم المسلول ص ١٩ .

(٢) فممن أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه كل من عبدالله بن خطل ومقيس بن صبابة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وعبدالله بن سعد بن أبي السرح ، وقينتان لعبدالله بن خطل . ابن هشام – السيرة النبوية ج٣ ص ٤١ ، ابن تيمية – الصارم المسلول ص ١٣٤ .

فقد قال نوح عليه السلام لما قال له الناس :

﴿ **قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين** ﴾[١] ، فرد عليهم نوح بقوله :

﴿ **قال يقوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون** ﴾[٢] .

أما هود عليه السلام فقد قال تعالى عنه وعن قومه :

﴿ **قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين ، قال يا قوم ليس بي سفاهة** ﴾[٣] .

وهكذا بقية الأنبياء عليهم السلام .

أما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فلما قال قومه : " انه مجنون " ، رد عليهم القرآن بقوله : ﴿**وما صاحبكم بمجنون** ﴾[٤] .

وحينما قالوا : " إنما يعلمه بشر " [٥] .

قال تعالى : ﴿ **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر** ﴾ ، رد عليه القرآن بقوله تعالى : ﴿**لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين** ﴾[٦] .

وهذا الاستنباط من ابن دحيه له دلالته الواضحة في بيان فضل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء ، وقد تجلى هذا التفضيل من خلال ممارستهم العملية للدعوة إلى الله . وقد أضاف ابن دحيه معنى جديدا للدعوة المكية ربما غاب عن الكثير من كتاب السيرة النبوية ، وتمثل ذلك بمجادلة الله عن نبيه في كل ما

---

(١) سورة الأعراف آية ٦٠ .

(٢) سورة الأعراف آية ٦١ و٦٢

(٣) سورة الأعراف آية ٦٦ ، ٦٧ .

(٤) سورة التكوير آية ٢٢ .

(٥) ابن دحية : عمر بن حسن : نهاية السول في خصائص الرسول ورقة ١٨ .مخطوط بدار الكتب المصرية برقم (١٩٥٠٧ ب) .

(٦) سورة النحل آية ١٠٣ .

أثير عليه من شبهة زعمتها قريش ، بينما ترك الأنبياء السابقون يردون على قومهم في كل ما ادعوه عليهم .

لكن حماية الرسل ودعواتهم داخل تحت مدافعة الله عن المؤمن به ، فلا يفهم من ذلك تخلي الله عنهم ، بل المراد خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم في جانب المدافعة دون غيره من الأنبياء .

وقد استنبط ابن دحيه خصائص للنبي صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم ، وهي أن الله تعالى قد قرن اسم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم معه ، في عدد من المواطن التي تتجلى فيها منزلة نبينا عليه الصلاة والسلام ، فيما يبلغه عن ربه عز وجل ، ومن هذه المواطن :

الولاية[١] : وهي ما جاء في قوله تعالى :

﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا** ﴾[٢] .

لكن ابن كثير يربط هذه الآية بما قبلها[٣] ، وهو براءة عبادة بن الصامت[٤] رضي الله عنه من حلف اليهود ، ورضاه بولاية الله ورسوله والمؤمنين .

---

(١) ابن دحيه – نهاية السول في خصائص الرسول ورقة ١١٢ .

(٢) سورة المائدة آية ٥٥ .

(٣) والآيات التي قبلها هي قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ . ونزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت وعبدالله بن أبي سلول ، فتبرأ عبادة بن الصامت رضي الله عنه من موالاة اليهود ، وتمسك بها ابن أبي وقال : إني أخاف أن تدور الدوائر .

ولهذا لما جاء الحديث عن قوله تعالى ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا** ﴾ . قال ابن كثير : أي ليس اليهود بأوليائكم ، بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين ، وورد الأحاديث الواردة بأنها خاصة بعلي رضي الله عنه . البغوي – معالم التنزيل ج٢ ص ٤٧ ، ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٧٢ .

(٤) هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أحرم الخزرجي الأنصاري . شهد العقبة الأولى والثانية ، واستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم على الصدقات وجمع القرآن ، وأرسله عمر رضي الله عنه إلى الشام مع معاذ بن جبل وأبي الدرداء ليعلموا الناس . توفي سنة ٣٤هـ =

ولهذا فان قول ابن دحيه ، أنها من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم ، لا يسلم له في ذلك ، حيث أن الله قرن معها ولاية المؤمنين ، وهي داخلة في ولاية الله ورسوله.

ومن الخصائص التي ذكرها ابن دحيه للنبي صلى الله عليه وسلم ، أن الله قرن رضاه برضى نبيه صلى الله عليه وسلم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **والله ورسوله أحق أن يرضوه** ﴾[١] . فبعد أن جاء المنافقون للمؤمنين ليرضوهم ، بين الله سبحانه وتعالى لهم أن رضاه ورضى رسوله أحق من غيرهم[٢] . فاستنبط ابن دحيه أن الله ما قرن رضاه برضى رسوله صلى الله عليه وسلم ، إلا لمنزلة خاصة ، لا سيما في هذا الموقف .

وممن استنبط من آيات القرآن الكريم أحداث ودلالات السيرة النبوية ، **القرطبي** رحمه الله ، وذلك في تفسيره للقرآن الكريم " أحكام القرآن " .

فعند قوله تعالى : ﴿ **قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون** ﴾[٣].

قال القرطبي : في هذه الآية دليل على صحة إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ففي زمن أبي بكر دعاهم إلى قتال بني حنيفة ، وعمر دعاهم إلى قتال فارس والروم . وقد رد على من قال[٤] أن ذلك هوازن وغطفان يوم حنين ، لأنه

= بالرملة . ابن الأثير – أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٣ ص ١٠٦ ، ١٠٧ . المكتبة الإسلامية لرياض الشيخ د . ت .

(١) سورة التوبة آية ٦٢ .

(٢) نهاية السول في خصائص الرسول ورقة (١٤) .

(٣) سورة الفتح آية ١٦ .

(٤) ممن قال بهذا القول : سعيد بن جبير ، وقتادة . وقال الزهري هم بنو حنيفة أهل اليمامة . وقال مجاهد أهل فارس . البغوي – معالم التنزيل ج٤ ص ١٢٠ ، ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٤ ص ١٩١ .

يمتنع أن يكون الداعي الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن الله تعالى قال : ﴿**لن تخرجوا معي أبداً** ﴾[١] . ومعلوم أنه لم يدع هؤلاء القوم بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما[٢] .

ومع تلك الأقوال الواردة في تفسير هذه الآيات ، فان القرطبي قد مال إلى هذا الرأي ، مبينا أسباب الأخذ به ، وهو بهذا استطاع أن يستنبط من هذه الآية التي وصفت حال الأعراب بعد تخلفهم عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الحديبية . وأن الدعوة التي أشارت إليها الآية ، لا يلزم أن تكون في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، بل جاءت بعده ، وقد كان الداعي لهم كل من الخليفة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. وهو بهذا يرد على دعوى الشيعة الذين يطعنون في خلافتيهما ، أما وقد نزلت الآيات تتحدث عن أمر مستقبلي لهؤلاء الأعراب ، فقد كان تحققه على يد خليفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة التوبة آية ٨٣ .

(٢) أحكام القرآن ج١٦ ص ٧١ ، ٧٢ .

استخدام السيرة للرد على من اتخذها وسيلة لتأكيد اتجاهاته :

استخدمت بعض الفرق الضالة السيرة النبوية في هذا القرن ، فاعتمدت على تحريف النصوص أو تأويلها واختلاق الأحداث .

وهذا التوجه يقصد به كسب قناعة الناس بمنهجهم ، لعلمهم فاعلية السيرة النبوية في نفوسهم ، وتأثيرها السريع على قناعاتهم الفكرية .

وقد وقف عدد من كتاب أهل السنة في هذا القرن أنفسهم للرد على أولئك ، فكشفوا شبههم ، وطعنوا في رواياتهم وتأويلاتهم ، وبينوا زيفها وبعدها عن الحقيقة وواقع السيرة الفعلي . وسنعرض في هذا البحث لجانب من دورهم في هذا المجال.

وممن له دور في الرد على ضلالات أولئك القوم :

المحب الطبري :

هو أبو العباس أحمد عبدالله بن محمد بن محمد بن إبراهيم المكي الشافعي . ولد سنة ٦١٠هـ في مكة ، وقد سمع من ابن المعتز وجماعة غيره ، وروى عنه البرزالي وآخرون .

له عدد من المصنفات منها : السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين ، **والرياض النضرة في مناقب العشرة** ، والقرى في ساكن أم القرى ، وذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، والأحكام . كانت وفاته في مكة سنة ٦٩٤هـ[١] .

وفي كتابه الرياض النضرة في مناقب العشرة ، وأثناء حديثه عن أبي بكر رضي الله عنه ، تحدث عن بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبي بكر الصديق ، ومما قال في هذا :

" أما أن يعتقد صحة خلافة أبي بكر مع أحقيته فيكون تخلفه عن البيعة ومفارقة الجماعة ونزع ربقة الطاعة عدولا عن الحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ، وهو مبرأ عنه .

أو لا يعتقد صحتها ، فيكون قد أقر على الباطل ، لأنه رضي الله عنه أقر الطير على وكناتها ، ولم يظهر منه نكيرعلى فعلهم لا يقول ولا يفعل ، مع قوة

---

(١) الذهبي – العبر ج٣ ص ٣٨٢ ، ابن العماد – شذرات الذهب ج٥ ص ٤٢٥ ، الزركلي – الأعلام ج١ ص ١٥٣ .

إيمانه وشدة بأسه ، وكثرة ناصره ، وكفى بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبني هاشم بأجمعهم ظهيرا ونصيرا ، مع ما أسس له رسول الله صلى الله عليه وسلم من القواعد في العقائد وأن موالاته مع موالاته ، ومحبته مع محبته ، والدعاء لمن والاه وعلى من عاداه ، ومع ذلك لم يظهر منه ما يقتضيه حال فعله مع إنكار الباطل بحسب طاقته ، فلو كان باطلا للزم تقريره الباطل ، واللازم باطل إجماعا ، فالملزوم كذلك[١] ".

ثم انتقل إلى نقض مقالة الروافض في موقف علي رضي الله عنه من بيعة أبي بكر ، بعد أن بين وفق العقل والنقل استحالة امتناعه عن تلك البيعة ، فقال :

" أما أن يقال أن سكوته كان تقية كما يزعم الروافض ، باطل عريق في البطلان ، فان مقتضى ذلك ضعف إما في الدين أو في الحال ، والأول باطل إجماعا ، والثاني باطل لما قررناه آنفا[٢] " .

ولتأكيد الرأي الذي رد به على الشيعة الذين يقولون بأحقية علي بخلافة النبي صلى الله عليه وسلم من بعده ، حيث أوصى له بذلك ، أورد الطبري قولا لعلي رضي الله عنه ونصه :

" لوكان عندي عهد من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ما تركت أخا بني تيم وبني مرة وعمر بن الخطاب يقومان على منبره ، ولقاتلتهما بيدي ، ولو لم أجد إلا بردتي هذه[٣] " .

كما أورد قولا رد به على الشيعة في دعواهم للحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، حيث قال للرافضين :

" لو كان الأمر كما تقولون ، أن النبي صلى الله عليه وسلم اختار عليا لهذا الأمر والقيام على الناس بعده ، فان عليا أعظم الناس خطية وجرما ، إذ ترك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقوم به ويعذر إلى الناس ، فقال له الرافضي ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه ، فقال أما والله لو يعني

---

(١) الرياض النضرة ج٢ ص ٢١١ . دار الندوة الجديدة ، بيروت ١٤٠٨هـ .

(٢) الرياض النضرة ج٢ ص ٢١٢ .

(٣) الرياض النضرة ج٢ ص ٢١١ .

بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر والسلطان لأفصح به ، كما أفصح بالصلاة والزكاة والحج والصيام ، وقال انه الوالي بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا[١] "

وبهذا يظهر جليا حرص الطبري وسعيه للوقوف في وجه أولئك القوم الذين اتخذوا من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيلة لتأكيد أهدافهم واتجاهاتهم ، متخذين من تحريف أحداث السيرة مطية لهم في توجيهها وفق ما يريدون . وقد اعتمد في ذلك على التحليل لتلك الآراء ، ونقضها بالبرهان والدليل ، بل وناقلا لآراء أئمتهم الذين يزعمون إمامتهم وعصمتهم ليجد رأيه مكانا عندهم .

ولكننا سنرى فيما بعد كيف أن الطبري قد كتب في مصنفه الآخر ، **ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى** ما وافق به الشيعة في بعض تصوراتهم عن علي رضي الله عنه .

ومن الشخصيات الأخرى التي ردت على من اتخذ السيرة لتأكيد اتجاهاته :

الإمام ابن تيمية رحمه الله :

فقد كتب كتاب منهاج السنة في ثمانية أجزاء للرد على ابن المطهر الشيعي توفي سنة ٧٢٧هـ الذي كتب مصنفه الذي سماه منهاج الكرامة .

قال ابن تيمية في مقدمة كتابه :

" أما بعد ، فانه قد أحضر إلى طائفة من أهل السنة والجماعة كتابا صنفه بعض شيوخ الرافضة في عصرنا ، منفقا لهذه البضاعة ، يدعو به إلى مذهب الرافضة الإمامية من أمكنه دعوته من ولاة الأمر وغيرهم ، أهل الجاهلية ، ممن قلت معرفتهم ولم يعرفوا أصل دين الإسلام[٢] " .

---

(١) الطبري – الرياض النضرة ج١ ص ٢١٠ .

(٢) منهاج السنة ج١ ص ٥ .

وبين رحمه الله أن هؤلاء القوم ، يعني الشيعة ، من أضل الناس في المنقول والمعقول ، وانه لم يرد عليهم إلا بعد الإلحاح عليه ، معللين أن عدم الرد " خذلانا للمؤمنين ، وظن أهل الطغيان نوعا من العجز عن رد هذا البهتان " [١].

وقد تضمن كتاب " منهاج الكرامة لابن المطهر " أربعة فصول :

الأول : نقد المذاهب في هذه المسألة ، والفصل الثاني : أن مذهب الإمامية واجب الإتباع ، والفصل الثالث : الأدلة على إمامة علي رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والفصل الرابع في الأئمة الاثني عشر ، والخامس في إبطال خلافة أبي بكر وعمر وعثمان[٢] رضي الله عنهم .

وقد رد الإمام ابن تيمية على ابن المطهر في كتابه الذي سماه " منهاج السنة " ، ردا واضحا جليا بالدليل والحجة والبرهان ، كما تناول أحداث السيرة النبوية التي أوردها ابن المطهر محرفة، وذلك في أحداث الدعوة المكية ، ومرافقة أبي بكر للنبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة[٣] وفي غزوة بدر وأحد ، وبعث أبي بكر للحج بالناس من قبل النبي صلى الله عليه وسلم[٤] ، ولحاق علي بعده بسورة براءة ، وفي فضائل الخلفاء الراشدين ، وما جرى لعلي رضي الله عنه في الغدير وامرة المدينة بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك[٥] .

وسبق في البحث الخاص عن أثر عقيدة الشيعة على كتابة السيرة بعض ردود الإمام ابن تيمية على ابن المطهر على وجه الخصوص ، والشيعة على وجه العموم .

ونذكر في هذا المقام ، مقالا لما رد به ابن تيمية على ابن المطهر . فعندما قال ابن المطهر :

---

(١) منهاج السنة ج١ ص ٥ .

(٢) ابن تيمية – منهاج السنة ج١ ص ٧٣ – ٧٥ .

(٣) ابن تيمية – منهاج السنة ج٨ ص ٣٦٤ – ٤٢٧ .

(٤) ابن تيمية – منهاج السنة ج٨ ص ١٩٤ – ١٠٥ و من ٢٩٥إلى ٣٠٠ .

(٥) ابن تيمية : منهاج السنة جـ ٧من ص ٣١٣إلى ٣٢٥ ومن ص ٣٤١إلى ٣٥٣ .

" وان كان الحزن طاعة استحال نهي النبي صلى الله عليه وسلم عنه ، وان كان معصية كان ما ادعوه فضيلة رذيلة " .

فرد عليه ابن تيمية بوجوه عدة ، نذكرها بتصرف . قال :

" الأول ، أنه لم يدع أحد أن مجرد الحزن كان هو الفضيلة ، بل الفضيلة ما دل عليه قوله تعالى : ﴿ **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني لثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا** ﴾ (١).

فالفضيلة كونه خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحال ، واختص بصحبته وكمال محنته ، ولعزه للنبي صلى الله عليه وسلم هذا الموجب لحزنه .

ثانيا : أن هذا الحزن ورد لعدد من الآيات ، كقوله تعالى لنبيه : ﴿ **ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون** ﴾(٢) .

ثالثا : ليس في نهيه عن الحزن ما يدل على وجوده ، بل قد ينهى عنه إذا وجد مقتضيه ، وحينئذ فلا يضر كونه معصية لو وجد ، وان وجد فالنهي يكون نهي تسلية وتعزية وتثبيت .

رابعا : لو قدر أن الحزن كان معصية ، فهو فعله قبل أن ينهى عنه " (٣).

وهكذا كانت طريقته في ردوده على ابن المطهر الذي سعى إلى السيرة النبوية لتأكيد اتجاهه ، فكان رد ابن تيمية عليه واضحا مفصلا.

وممن رد عليهم بشأن هذه الآية ، **القرطبي** في تفسيره أحكام القرآن ، فقد قال :

" إن حزن الصديق إنما كان خوفا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يصل إليه حزن ، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت معصوما ، إنما تنزل عليه ﴿ **الله يعصمك من الناس** ﴾ ، في المدينة " (٤).

---

(١) سورة التوبة آية ٤٠ .

(٢) سورة النحل ، آية : ١٢٧ .

(٣) ابن تيمية – منهاج السنة ج٢ ص ٤٦٢،٤٦٦ .

(٤) القرطبي – أحكام القرآن ج٨ ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

وكما وقف ابن تيمية رحمه الله أمام الشيعة في رد شبههم وضلالاتهم ، فقد وقف في وجه الصوفية عصره ، الذين ابتدعوا أعمالا للرسول صلى الله عليه وسلم مع صحابته وأشاعوها بين الناس ، لم تذكر في كتب السيرة ، بل أرادوا من خلالها التشريع لبدعهم وأهوائهم . كما بين رحمه الله ما حرف من أحداث السيرة النبوية التي أراد غلاة الصوفية جعلها مستندا لهم في التأكيد على ضلالاتهم وبدعهم، وأظهر للناس الحقيقة فيما ادعوه ، وبين باطلهم الذي لبسوا على الناس .

ومما أبانه ، حقيقة أهل الصفة في المدينة ، ورد ما أشيع حولهم من كذب وافتراء ، كدعواهم أنهم كانوا في مكة قبل المدينة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم استأذن عليهم فردوه حتى قال أنه مسكين ، ففتحوا له . وزعمهم أن عمر رضي الله عنه كان يقول : كنت كالزنجي ، وبين أبي بكر والنبي صلى الله عليه وسلم[1]. وسبق التفصيل عن هذا الموضوع في مبحث أثر عقيدة الصوفية .

---

(١) ابن تيمية – الفتاوي ج١١ ص ٣٧ – ٧٢ ومن ص ١٠١ – ١٢٦ .

استخدام السيرة النبوية للوقوف في وجه أعداء الإسلام :

تعرض الإسلام لحرب شرسة في هذا القرن ، كما تعرض لها في قرون سابقة ولاحقة ، ولن تنال منه أيدي المبطلين لحفظ الله له ، حيث قال تعالى : ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون**﴾(١) . ومن حفظ الله له أن يقيض له في كل وقت وحين من ينافح عنه بالحجة والبرهان ، لأنه نزل وبقي واضحا كالمحجة البيضاء

وقد وقف في وجه الإسلام في هذا القرن كافة أعدائه ، مع اختلاف مللهم ونحلهم ، ومع ذلك خرج ظافرا منتصرا . ومن هؤلاء الأعداء الذين حاولوا النيل منه ومن المسلمين ، نصراني من من طليطلة في الأندلس كتب مصنفا سماه تثليث الوحدانية

وقد انبرى الإمام القرطبي للرد عليه في كتاب سماه " الاعلام " . وبدأ كتابه هذا بوصف هذا النصراني في مقدمة كتابه بقوله :

" انه يهرف بما لا يعرف وينطق بما لا يحقق " . ثم قال :

" وليته اذا ادعى النظر سلك طريقه والتزم شروطه ، فاعترف بالبدهيات ، ولم ينظر الضروريات التي هي أصول النظريات " (٢).

ثم انتقل للحديث عن أهم أمر ، سعوا جهدهم للنيل منه وإنكاره ، ألا وهو : جحد المعجزات والدلالات ، التي تظهر نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . فذكر أنهم أنكروا ما جاء في كتبهم عنها .

وقد قسم القرطبي كتابه هذا " الأعلام " إلى صدر وأربعة أبواب وهي :

الأول : في الكلام على الأقانيم ، والثاني : في الاتحاد والحلول . والثالث : في الكلام على النبوات ، واثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، والرابع : في جمل من فروع أحكامهم .

ففي القسم الثالث ، عرض فيه لأربعة أمور :

الأول : أنواع أخبار الأنبياء قبله ، ووصفهم له في كتبهم .

---

(١) سورة الحجر آية ٩ .

(٢) القرطبي – الأعلام بما في دين النصارى من الفساد والأهام وإثبات نبوة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ص ٤٣ ، ٤٤ . تحقيق أحمد حجازي السقا ، دار التراث العربي د . ت

وقد نقل نصوصا من التوراة والإنجيل والزبور ، تؤكد وجود النبي صلى الله عليه وسلم فيها ، وموقفهم منه[١] .

ثم انتقل إلى الثاني والثالث ، وهو الاستدلال على نبوته ، بقرائن أحواله صلى الله عليه وسلم ، وقد بدأ ذلك بذكر حمله وولادته ورضاعه في بني سعد . ولكنه لم يتخلص من ذكر أحداث لم تثبت في هذا الجانب ، بل أوردها وربما زاد عليها . ثم انتقل إلى رعايته في كنف جده عبدالمطلب بعد وفاة والدته ، ثم كفالة عمه أبي طالب بعد وفاة جده .

وقد أكد فيما ذكر عن نشأة الرسول صلى الله عليه وسلم على ما له علاقة بأهل الكتاب ، فذكر مفصلا ذهاب النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه إلى الشام للتجارة، ثم ما حصل له مع الراهب بحيرا وعودة عمه سريعا إلى مكة آخذا بوصية بحيرا خوفا عليه من اليهود .

وقد عرض ذلك عرضا حسنا ، فلم يكثر من الروايات التي لا أصل لها ، بل اكتفى بالموضوع نفسه وكما رواه الإمام الترمذي . وسيأتي الحديث عن هذا مفصلا .

كما أنه ذكر ما جاء عن تجارته في مال السيدة خديجة ، وكيف أنه نزل تحت ظل شجرة فقال راهب : " لا ينزل تحتها إلا ملك " ، وما كان يجري في الطريق من قيام الملائكة بحمايته من الشمس ، وقد جاءت عن طريق الواقدي وهو متروك[٢] .

وذكر سؤال خديجة رضي الله عنها لورقة بن نوفل وأجابته أن ذلك علامات لنبي ينتظر . كما تحدث عن موقف اليهود في الجاهلية من هذا النبي ، وكيف أنهم كانوا يتوعدون به العرب . كما عرض لقصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه ودلالاتها على علم أهل الكتاب عن مبعث النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) القرطبي – الأعلام ص ٢٦٣ ، ٢٨٠ .

(٢) الأعلام ص ٢٨١ – ٢٨٨ ، العمري – السيرة النبوية الصحيحة ج١ ص ١٠٧ ، ١١٣ .

ثم انتقل للحديث عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم . من نزول الوحي ومرورا بمراحل دعوته ومعاناته من قومه ، وبعض صفاته الخاصة وبالذات ما تمتع به من شجاعة أثناء غزواته .

وبعد ذلك بين أنه يستدل على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم ، ومن الآتي :

١- أن لسان العرب بيان للسان غيرهم .

٢- نظمه العجيب وأسلوبه الفريد .

٣- ما يتضمنه من الأخبار والمغيبات .

وفي القسم الرابع : ذكر أنه يستدل على نبوته بما يحمله من الآيات الخارقة للعادات . ثم ذكر بعض معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم [١] .

وهكذا استطاع الإمام القرطبي ومن خلال عرض سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، الوقوف في وجه أعداء الإسلام ورد شبههم وأباطيلهم التي أثاروها . كما بين صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لما صاحبها من آيات ودلالات ومعجزات تجعل العقل البشري يقف مسلما بها .

---

(١) الأعلام ص ٢٨٨ - ٣٨٧ .

استخدام السيرة في بيان مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم ومنزلته :

لقد شاع في هذا القرن الكتابة عن موضوع خاص في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهو ما يعنى ببيان منزلة هذا الرسول العظيم ومكانته . ولعل لاختلاط المسلمين بغيرهم في هذا القرن بأهل الكتاب من اليهود ومن النصارى في بلاد المسلمين الذين أخذوا يجاهرون في إعلان دينهم ومنزلته ، بل وزعمهم علوه على دين المسلمين ، هو ما ولد لدى المسلمين الرد عليهم بالطريقة التي استخدموها، وهي بيان فضل هذا النبي صلى الله عليه وسلم ، وفق ما جاء في الكتاب والسنة ، وما ميزه الله به من المعجزات والخوارق التي لم تكن لغيره من الأنبياء.

وقد كتب في ذلك ، **كمال الدين الزملكاني** الشافعي :

وهو محمد بن علي الزملكاني ، ولد سنة ٦٦٦هـ ، وأخذ العلم عن عدد من العلماء . وقد تفقه في مذهب الإمام الشافعي ، ودرس بعدد من مدارس دمشق ، كما اشتغل في عدد من وظائف الدولة المختلفة ، وانتهت إليه رئاسة المذهب بالشام .

ومن مصنفاته شرح المنهاج للنووي ، والرد على ابن تيمية في مسألة الطلاق ، وكتابه عجالة الراكب في ذكر أشرف المناقب . وقد انتقل إلى حلب للقضاء فدرس هناك ، ثم طلب إلى مصر ، فتوفي وهو في الطريق إليها سنة ٧٢٠هـ(١) .

وقد قال عن كتابه (عجالة الراكب في ذكر أشرف المناقب) :

" أنه كتبه وهو في بيت الله الحرام " ، وقال : " إنها من الثناء والمديح ، ليكون وسيلة إلى قبول ما يرفق إلى الله تعالى من السؤال والدعاء " ، وقال : " لولا أنه صلى الله عليه وسلم قال :

" لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم " (٢) .

---

(١) ابن كثير – البداية والنهاية ج١٤ ص ١٣٢،١٣١ ، الكتبي.ابن شاكر محمد بن أحمد – فوات الوفيات ج٢ ص ٢٥ القاهرة ١٩٥١هـ ، الزركلي – الأعلام ج٦ ص ٨٤ .

(٢) البخاري – صحيح الإمام البخاري ج٤ ص ٢٠٤ .

لوجدنا فيما يثنى به عليه ، ما تكل الألسن عن بلوغ مداه " [١] .

ومما يدل على أثر الواقع الذي يعيشه عليه ، أنه بدأ بذكر تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء ، مدللا على قوله بنصوص من الكتاب والسنة . وقد أشار إلى أنه صلى الله عليه وسلم أفضل مخلوق وأكمله ، ولكنه لم يورد دليلا يعتمد عليه في قوله هذا ، ومن المعلوم أنه صلى الله عليه وسلم قال :

" أنا سيد ولد آدم ولافخر ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ، وأنا أول شافع ولا فخر ، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر " [٢].

فكونه أفضل مخلوق يحتاج ذلك إلى دليل، أما أفضليته على بني آدم فهذا الحديث شاهد لذلك .

كما أورد نصوصا كثيرة قصد فيها بيان فضل النبي صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء ، وشرح تلك النصوص ، وأكد على تلك الأفضلية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم[٣] .

ثم انتقل للحديث عن معجزاته صلى الله عليه وسلم وأنها باقية إلى قيام الساعة ، كالقرآن العظيم .

وفي معرض حديثه عن كرامات الأولياء ، ورد في عبارته ما يوحي تصديقه بما يزعمه بعض من يدعي الولاية من وقوع معجزات لهم ، وهي المشي على الماء ، والطير في الهواء ، وتكليم الجمادات ، وإحياء الله للأموات لهم ، وعدم إحراق النار لهم[٤] . وكل هذه الأمور كانت شائعة في عصره عند بعض الصوفية ، وقد كذب وقوعها الإمام ابن تيمية وحاجهم في ذلك .

---

(١) الزملكاني : محمد بن علي : عجالة الراكب في ذكر أشرف المناقب ص ٢ – ١٠ . مخطوط بالظاهرية مجموعة (٢٧) وصورة منه بجامعة الملك سعود برقم ف ١٨/١٥٥ م .

(٢) رواه ابن ماجة ج٢ ص ٤٥٠ ، الترمذي ج٥ ص ٥٨٧ وقال الترمذي حديث حسن صحيح – دار إحياء التراث بيروت .

(٣) عجالة الراكب ص ١٠ – ١٨ .

(٤) عجالة الراكب في ذكر أشرف المناقب ص ٢٨ .

وعمد الزملكاني إلى مقارنة ما حصل من كرامات لبعض المسلمين بمعجزات الأنبياء ، وبين فيها تفوق كرامة الولي على معجزة النبي(١) صلى الله عليه وسلم ، وهذا أمر لا يوافق عليه ، فقد قال الإمام ابن تيمية :

" فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين ، فلا تبلغ كرامة أحد معجزة المرسلين ، كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب درجاتهم " (٢).

وممن كتب في هذا الموضوع " **العز بن عبد السلام** " :

وهو أبو محمد عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم السلمي . ولد في دمشق سنة ٥٧٧هـ ، وطلب العلم فيها على كبر ، وقد أخذه عن جمع من العلماء منهم : محمد عبدالواحد الحرستاني توفي سنة ٦١٢هـ ، وعبدالرحمن بن محمد بن عساكر(٣) توفي سنة ٦٠٢هـ .

كما رحل إلى بغداد لطلب العلم ، ثم ما لبث أن عاد إلى دمشق .

وقد أخذ العلم عنه عدد من العلماء منهم عبدالرحمن بن إسماعيل أبو شامة توفي سنة ٦٦٥هـ ، وعبد المؤمن بن خلف الدمياطي توفي سنة ٧٠٥هـ .

وقد ترك عددا من المصنفات منها : فوائد مشكل القرآن ، والفتاوى المصرية ، وقواعد الأحكام في مصالح الإمام ، وترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام ، وكتابه في السيرة بداية السول في تفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١) عجالة الراكب في ذكر أشرف المناقب ص ٢٨ .

(٢) ابن تيمية – النبوات ص ٢١ .بتحقيق محمد عوض دار عالم الكتاب العربي ١٤٠٥هـ .

(٣) هو أبو منصور عبدالرحمن بن محمد بن الحسن المعروف بابن عساكر . ولد سنة ٥٥٠هـ في دمشق وبها تعلم ، ورحل إلى مكة وبيت المقدس وعسقلان ، ثم استقر بدمشق ودرس بعدد من مدارسها . عرف بالزهد والعبادة . الذهبي – سير أعلام النبلاء ج١٢ ص ١٨٩ ، ابن العماد الحنبلي ج٤ ص ٣٩٠ ، أبو شامة – الذيل على الروضتين ص ١٣٦ .

انتقل من الشام إلى مصر وأقام بها ، وله مواقف مع حكامها المماليك ، وكان لـه دور في الدعوة إلى الجهاد . وقد وافاه الأجل سنة ٦٦٠هـ(١) .

بدأ العز بن عبدالسلام كتابه " بداية السول " في تفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى :

﴿ **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما** ﴾(٢) . وقوله تعالى :

﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات** ﴾(٣) .

وقال إن التفضيل الأول صريح في المفاضلة ، أما الثاني فانه جاء في تضعيف المفاضلة بدرجات .

ثم ذكر أن الله تعالى فضل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بوجوه ، ثم ذكر كل وجه ودليله من الكتاب والسنة ، وقد بلغ عددها إحدى وأربعين وجها .

ويظهر في كتابه روح التحدي والمنافسة التي كانت قائمة في عصره ، فذكر تفضيل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء ، بمقارنة معجزاته وخصائصه بخصائص ومعجزات بقية الأنبياء ، ومن تلك الوجوه قوله :

أن الله تعالى وقره في ندائه ، فناداه بأحب أسمائه وأسمى أوصافه ، فقال تعالى:

﴿ **يا أيها النبي** ﴾(٤) و ﴿ **يا أيها الرسول** ﴾(٥) .

---

(١) الذهبي – العبر في خبر من غبر ج٣ ص ٢١٩ ، ابن كثير – البداية والنهاية ج١٣ ص ٢٣٥ ، ابن العماد الحنبلي – شذرات الذهب ج٥ ص ٣٠١ ، الأعلام – الزركلي ج٤ ص ٢١ .

(٢) سورة النساء آية ١١٣ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٣ .

(٤) سورة الأنفال ٦٤ . كما وردت في مواضع أخرى من القرآن الكريم .

(٥) سورة المائدة آية ٤١، ٦٧ . كما وردت في مواضع أخرى من القرآن الكريم .

وهذه الخصوصية لم تثبت لغيره ، فان الأنبياء ينادون بأسمائهم ، قال تعالى :

﴿ **يا آدم أسكن** ﴾[(١)] ، ﴿ **يا عيسى ابن مريم أذكر نعمتي عليك** ﴾[(٢)] ، ﴿**يا موسى إنـي أنا الله** ﴾[(٣)] ، ﴿ **يا نوح اهبط بسلام** ﴾[(٤)] ، ﴿ **يا داود إنّا جعلناك خليفة** ﴾[(٥)] ، ﴿ **يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا** ﴾[(٦)] ، ﴿ **يا لوط إنّا رسل ربك** ﴾[(٧)] ، ﴿ **يا زكريا إنّا نبشرك** ﴾[(٨)] ، ﴿ **يا يحيى خذ الكتاب بقوة** ﴾[(٩)] .

وفي وجه آخر ذكر أن كل معجزة نبي تصرمت ، ومعجزة النبي صلى الله عليه وسلم باقية ، وذكر أيضا أنه وجد في معجزاته صلى الله عليه وسلم ما هو أظهر في الاعجاز من معجزات غيره ، كتفجر الماء من تحت أصابعه ، فانه أبلغ من تفجره من بين الحجر ، يشير إلى تفجر الحجر لموسى عليه السلام .

وفي وجه آخر ذكر أن رد النبي صلى الله عليه وسلم للعين التي سالت على الخد – عين قتادة رضي الله عنه – ، أبلغ من إبراء الأكمه والأبرص عند عيسى عليه السلام .

وذكر أيضا أن إحياء قلوب الناس من قبل النبي صلى الله عليه وسلم بالإيمان أكثر عددا ممن أحياهم عيسى عليه السلام بحياة الأبدان[(١٠)] .

---

(١) سورة البقرة آية ٣٥ .

(٢) سورة المائدة آية ١١٠ .

(٣) سورة القصص آية ٣٠ .

(٤) سورة هود آية ٤٨ .

(٥) سورة ص آية ٢٦ .

(٦) سورة الصافات الأيتان ١٠٤،١٠٥ .

(٧) سورة هود آية ٨١ .

(٨) سورة مريم آية ٧ .

(٩) سورة مريم آية ١٢ .

(١٠) العز بن عبدالسلام : بداية السول في تفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٤٢،٤١،٤٠،٣٨ . تحقيق محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي ، بيروت دمشق ١٤٠٣هـ .

ومما سبق يتبين لنا أن الدور الذي قام به العز بن عبدالسلام – رحمه الله – في بيان منزلة النبي صلى الله عليه وسلم ومكانته ، وتفضيل الله له على غيره من الأنبياء . ودوره هذا جزء من الجهد الذي بذله علماء السنة تجاه النبي صلى الله عليه وسلم ، لاسيما وأنه قد تعرض من قبل أهل الديانات الأخرى المنحرفة للحط من قدره وتفضيل غيره عليه .

وممن استخدم السيرة النبوية لبيان مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم ومنزلته عند الله سبحانه وتعالى وعند الناس **الإمام ابن تيمية** رحمه الله .

فقد صنف كتابا سماه " الصارم المسلول على شاتم الرسول " .

وسبب كتابته أن نصرانيا ذميا قد سب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رفع أمره إلى الأمير ، ما كان من هذا الذمي إلا أن أعلن إسلامه ، ليتفادى الجزاء الذي يمكن أن يوقع عايه ، فلما رأى ابن تيمية هذه الحال ، عقد العزم وصنف هذا الكتاب ، ومما قاله في مقدمته بعد أن حمد الله وذكره قال :

" وكبت محاده وأهلك مشاقه ، وكفاه المستهزئين به ذوي الأحقاد ، وبتر شانئه ، ولعن مؤذيه في الدنيا والآخرة ، وجعل هوانه بالمرصاد ، واختصه من بين إخوانه المرسلين بخصائص تفوق التعداد " .

ثم انتقل للحديث عن سبب التأليف فقال :

" اقتضاني لحادث حدث ، أدنى ما له من الحق علينا ، بل هو ما أوجب الله من تعزيره ونصره بكل طريق ، وإيثاره بالنفس والمال في كل موطن ، وحفظ حمايته من كل مؤذ ، وان كان الله قد أغنى رسوله عن نصر الخلق ، ولكن ليبلو بعضكم ببعض ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، ليحق الجزاء على الأعمال ، كما سبق في أم الكتاب ، أن أذكر ما شرع من العقوبة لمن يسب النبي صلى الله عليه وسلم ، من مسلم وكافر ، وتوابع ذلك ذكرا يتضمن الحكم والدليل " .

ثم ختم مقدمته هذه بقوله :

" إنما المقصود ههنا بيان الحكم الشرعي الذي يفتي به المفتي ، ويقضي به القاضي ، ويجب على كل واحد من الأئمة والأمة القيام بما أمكن منه " [١].

وقد بدأ كتابه ببيان أن من سب الرسول صلى الله عليه وسلم ، مسلما أو كافرا ، يجب قتله ، مستشهدا بذلك بنصوص من الكتاب والسنة .

وقد عرض لأحداث كثيرة من السيرة النبوية ، تبين منزلة الرسول ومكانته التي وضعه الله بها ، وأن من نال من هذه المنزلة والمكانة ، يوقع عليه الجزاء[٢] .

ومن الأحداث التي ذكرها مستشهدا بها ، قول النبي صلى الله عليه وسلم :

" من لكعب بن الأشرف فقد آذى الله ورسوله " [٣]، حيث أمر بقتله مع أنه كان معاهدا ، إلا أنه لم يلتزم بذلك العهد لايذائه لله ورسوله .

كما ذكر حادثة أبي عتك اليهودي ، الذي هجا الرسول صلى الله عليه وسلم فقتل من قبل المسلمين[٤] .

وقد أفاض في حادثة عبدالله بن سعد بن أبي السرح ، وكيف أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدر دمه لما ارتد عن الإسلام ، رغبة أن يقتله أحد من المسلمين ، ولما جاء مع أخيه في الرضاع عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ، تأخر النبي صلى الله عليه وسلم بقبول إسلامه ليقدم على قتله[٥] أحد من المسلمين .

كما أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دم عبدالله بن خطل ، ومقيس بن صبابة ، وعكرمة بن أبي جهل الذي فر من وجه النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد فقبل إسلامه .

وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل جاريتين كانتا تغنيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة[٦] .

---

(١) الصارم المسلول ص ١،٢،٣ .

(٢) الصارم المسلول ص ٣ ، ٤.

(٣) البخاري – صحيح الإمام البخاري ج٥ ص ١١٥ .

(٤) البخاري – صحيح الإمام البخاري ج٤ ص ١١٨ .

(٥) الصارم المسلول ص ١٠٩ ، ١٢٠ .

(٦) الصارم المسلول ص ١٢٦ ، ١٣٤ .

كما ذكر إهداره لدم كعب بن زهير ، وسفيان بن الحارث ، وعبدالله بن أمية ، ثم قبل إسلامهم[١] .

وتحدث عن قتل كل من النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط ، لما كانا يقومان به من أذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقد قتلهم بعد أسرهم في بدر[٢] .

وقد بين رحمه الله أن هذه الأحداث تدل على عظم منزلة ومكانة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه لا يحل لأحد أن ينال منه صلى الله عليه وسلم ، وان فعل ذلك فجزاؤه القتل مهما كانت صفته ووضعه مسلما أو كافرا أو ذميا ، فان أيا منها لا يدفع عنه إيقاع العقاب عليه .

وهذه صور من استخدامات السيرة النبوية في هذا القرن من قبل كتابها من أهل السنة ، وهو ما قد يفيد على أن مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم قد نيل منها ، مما سوغ لهؤلاء الكتاب بيان هذا الأمر الهام ، وهو مكانة هذا الرسول وجرم من ينال منه بشيء .

وممن عنى بالتأكيد على منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم ومكانته **ابن دحية** في كتابه " نهاية السول في خصائص الرسول " . وقد بين في مقدمته مراده بهذا التأليف فقال أنه :

" ذاكر في هذا الكتاب .... ما قدر لي شرحه وفهمه من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التي لم تجتمع قبل في مخلوق ، وما أوجب الله عز وجل على جميع خلقه من الحقوق " . ثم قال :

" وان كانت خصائصه أكثر من أن تحصى بل تزيد على عدد الحصى ، فقد مدحه الله في غير موضع من محكم كتابه " [٣].

---

(١) الصارم المسلول ص ١٣٧ – ١٤٠ .

(٢) الصارم المسلول ص ١٤٣ .

(٣) ابن دحية – نهاية السول في خصائص الرسول ورقة ٢،١ .

لقد أبان ابن دحية مراده بهذا المصنف ، وهو جمع ما يتيسر له من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وشرحها على ضوء معرفته وفهمه لها ، ثم أردف ذلك بأنه مهما جمع من تلك الخصائص فالذي يخفى عليه منها أكثر مما جمع على ضوء ما جاء في القرآن الكريم .

وأما قوله أن خصائص النبي صلى الله عليه وسلم تزيد على عدد الحصى فهو غلو به صلى الله عليه وسلم ، حيث هو بشر ميزه الله بخصائص واضحة محددة ومعلومة .

ثم عرض بعد ذلك ما يدل على أنه بهذا العمل سيبين فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء ، فقال :

" ووصفه في الكتب المتقدمة بأسمائه الأعلام ، وصرح بأنسابه ، وأنزل في قبلته قرآنا يتلى على مرور الدهر وتعاقب أحقابه ، وقدمه على جده نوح عند أخذ الميثاق وعقد أسبابه ، ثم أخذ العهد على سائر الأنبياء بالإيمان به ونصره حين أوصى به " (١).

ومما يؤكد حرصه في التأكيد على منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم وفضله على غيره من الأنبياء ، أنه عمد إلى عقد مقارنة بين خصائصه صلى الله عليه وسلم وخصائص غيره من الأنبياء ، ليظهر هذا التميز الذي خص به الله رسولنا صلى الله عليه وسلم . فقال : " إن نوحاً عليه السلام دعا على قومه فقال : ﴿ **رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا** ﴾ (٢) ، لما أعياه عدم استجابتهم لدعوته مع ما بذله لهم ، أما نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لما أوذي من قبل قومه وشج رأسه ، وكسرت رباعيته ، قال وهو يمسح الدم عن وجهه :

" رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ، حنوا واختيارا " (٣).

وقال أيضا : " لأنه كان من قصة صالح ، حيث عقر قومه الناقة ، أن كان سبب هلاكهم ودمارهم ، فلقد كان من قصته محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث شجه

---

(١) ابن دحية – نهاية السول في خصائص الرسول ورقة ٢ .

(٢) سورة نوح آية ٢٦ .

(٣) البخاري – صحيح البخاري ج٥ ص ١٢٩ ، نهاية السول ورقة ٣٣ .

قومه وكسروا رباعيته ، وقتلوا عمه وأحبته ، أنه قدر عليهم ، فعفا عنهم ، وأطلقهم ، وأمكنهم من مكة ، وأسلمهم من ديارهم " [١].

ومما سبق يتجلى حرص ابن دحية على بيان شواهد تؤكد فضل النبي صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء . وما هذه المقارنة إلا تأكيد للصورة التي يريدها ابن دحية ، وهي بيان المنزلة التي وضع الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبها شرف على غيره من إخوانه الأنبياء عليهم السلام .

---

(١) نهاية السول في خصائص الرسول ورقة ٣٤ .

وقوع بعض كتاب السيرة من المنتسبين لأهل السنة في خطأ غيرهم :

إن المتتبع لكتب السيرة النبوية في هذا القرن ، يجد أن ما لوحظ على أهل هذا القرن من خطأ في كتابة السيرة النبوية ، مصدره عدم التثبت من صحة الرواية التي ينقلونها ، أو توجيه السيرة إلى الهدف الذي يريدونه ، والاهتمام بجانب من السيرة ، وترك جوانبها الأخرى .

وهو ما خلفته الاتجاهات الفكرية التي كانت منتشرة في أوساط المسلمين ، ويروج لها أصحابها ، كالشيعة والصوفية ، حيث تأثر بهم نفر من أهل السنة فحاكوهم في مناهجهم وأفكارهم . وتمثل ذلك في أمور ظهرت في بعض كتاباتهم في السيرة ، نثبتها فيما يلي :

نقل الروايات دون تمحيص :

لقد وقع عدد من كتاب السيرة من أهل السنة في هذا القرن بخطأ وقع فيه غيرهم ، وهو نقل الروايات التي تعنى بأحداث السيرة دون تمحيص ، فوقعوا في خطأ عظيم هو نسبة أمور لا تمت بصلة للسيرة النبوية ، أو قد لا تليق بها في بعض الأحيان .

وممن وقع في ذلك الكلاعي ، فقد نقل حدثا نسبه إلى موسى بن عقبة ، وهو رجوع من هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى لأنهم سمعوا بإيمان قريش ، وقد تحقق هذا الإيمان بعد أن نزلت سورة النجم ، وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى:

﴿ **أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى** ﴾[1] ، فألقى الشيطان على لسانه وإنهن لمن الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى .

فلما انتهى صلى الله عليه وسلم من قراءة السورة ، سجد وسجد من بالمسجد ، حتى الوليد بن المغيرة رفع بكفه ترابا فسجد عليه ، وفشت تلك الكلمة ، وأظهرها

---

(١) سورة النجم آية ١٩،٢٠.

الشيطان ، حتى وصلت الحبشة ، وأن مشركي مكة أسلموا ، فرجع من بالحبشة إلى مكة[١] .

وليس الكلاعي الوحيد الذي نقل الرواية - رواية الغرانيق - ، فقد نقلها **الدمياطي** في كتاب مختصر السيرة النبوية[٢] ، ونقلها **ابن الأثير** في كتابه الكامل[٣] . مما يعني أن أكثر من مصنف من أهل السنة قد وقع في هذا الخطأ .

ومن المعروف أن إقرار هذه الرواية يتعارض والعصمة النبوية ، فلا يمكن لأي كاتب أن يقر بهذه الرواية ، التي تناقلتها وللأسف كتب السيرة النبوية في هذا القرن

والقاء الشيطان على لسان النبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه الحالة يعني تكرارها ، والله سبحانه قد عصم نبيه ، قال تعالى :

﴿ **وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى** ﴾[٤] ، وهذا يعني عدم حدوث هذه الحادثة ، وحيث يستحيل ذلك عقلا كما دلت الآية ، فان الطريقة التي نقلت بها هذه الحادثة تكلم فيها العلماء . فقد نقل القرطبي عدم صحة الأحاديث الواردة في الحدث ومصادمته مع عصمة النبي صلى الله عليه وسلم[٥] .

وقال ابن كثير : " إنها جاءت كلها من طرق مرسلة ، ولم أراها مسندة من وجه صحيح " [٦].

ومن الروايات التي نقلت دون تمحيص ، ما نقل فيما يخص المولد النبوي ، فقد قيل أن أم النبي صلى الله عليه وسلم تقول :

---

(١) الكلاعي سليمان موسى - الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ج١ ص ٥١ - ٥٣ . تحقيق مصطفى عبدالواحد ، مكتبة القاهرة ١٣٨٧هـ .

(٢) الدمياطي عبدالؤمن بن خلف - مختصر السيرة النبوية ص ٣٨ . مخطوط بمعهد المخطوطات بالكويت (٥٧٨) سيرة ، وصورة منه بجامعة الملك سعود برقم ف ٤٤٤/٥ وقد حقق أخيراً .

(٣) ابن الأثير - الكامل في التاريخ ج١ ص ٥١٦ ، ٥٩٧ .

(٤) سورة النجم آية ٣،٤ .

(٥) القرطبي - أحكام القرآن ج١٢ ص ٨١ .

(٦) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج٣ ص ٢٣١ .

" ما شعرت بأني حملت به ، ولا وجدت له ثقلة كما تجد النساء ، إلا أني أنكرت رفع حيضتي ، وأتاني آت وأنا بين النوم واليقظة ، فقال هل شعرت أنك حملت ، فكأني أقول ما أدري ، فقال انك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها ، وذلك يوم الاثنين "

قالت : " فكان ذلك مما يقن عندي الحمل " ، وأمرت آمنة وهي حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسميه محمد " .

قالت آمنة : " فلما دنت ولادتي ، أتاني ذلك الآتي ، فقال قولي أعيذه بالواحد الصمد من شر كل حاسد " .

وهذه الروايات حول مولده صلى الله عليه وسلم أوردها الزملكاني في كتابه " مولد النبي صلى الله عليه وسلم ". كما أن الكلاعي ذكرها في مقدمة كتابه "الاكتفاء "[(١)] ، ولم يكن له دور في تمحيصها واثبات الصحيح منها ، بل كان دوره كدور الزملكاني في إيرادها وعدم الإفصاح عن ثبوتها من عدمه .

ومن المعلوم أن هذه الروايات لم تثبت ، فقد أوردها ابن سعد نقلا عن الواقدي ، وقال الذهبي : " إن هذا السند جيد ولكن فيه جهم بن أبي جهم " ، جهله في ميزان الاعتدال [(٢)].

وسنرى أن الصوفية يعنون بهذا الجانب من السيرة ، ويوردون فيه الروايات المتعددة دون التثبت من صحتها .

ومما ظهر عند بعض كتاب السيرة من أهل السنة في هذا القرن **الاهتمام بجوانب في السيرة النبوية** ، وبالذات فيما يخص الجانب الخاص **بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم الخاصة** ، وترك الجوانب الأخرى . وهو توجه برز واضحا في هذا القرن من قبل بعض الفرق ، وقد وقع فيه بعض كتاب السيرة من أهل السنة ، فجاءت مصنفاتهم تعنى بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وختان

---

(١) مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ورقة ٦،٧ ، الاكتفاء ج١ ص ١٦٥،١٦٦،١٦٧ .

(٢) ابن سعد – السيرة النبوية ج ١ ص ٢١ ، الذهبي – ميزان الاعتدال ج١ ص ٤٢٦ ، العمري – السيرة النبوية الصحيحة ج١ ص ٩٨ ، ٩٠ .

الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونسب الرسول صلى الله عليه وسلم(١) .

ومع أنه لا يمكن القول بالخطأ الكامل في هذا الأمر ، إلا أن ما يجب إدراكه هو أن الأمة في هذا القرن ، ونتيجة لظروفها الداخلية والخارجية ، وخشية فقدانها لذاتها ، أصبحت تتلمس طريق النجاة في تلك الأحوال المؤلمة ، فلم تعد تعنى بالأولويات التي تحتاجها في مواجهة تلك الظروف ، ومنها عرض سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بطريقة تؤثر في حياة الأمة ، وتنمي فيها روح الانتماء لهذا الدين والجهاد في سبيله ، بدلا من التقوقع على الذات ومحاكاة عدوها بمظاهر حياته المختلفة .

بل لقد وصل الأمر من الاهتمام بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن يرفع عن منزلته التي وضعه الله بها ، وهذا بلا شك نتيجة التأثر بمن حاكاه كتاب السيرة في هذا القرن .

والذي وقع بهذا الخطأ **الزملكاني** ، وذلك في كتابه : " عجالة الراكب في ذكر أشرف المناقب " ، حيث ختمه بقصيدة تتضمن مناقب ومعجزات النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنه غلا فيها بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم وجعله في بعض أبياتها بمنزلة الله سبحانه وتعالى حيث قال :

يا سيدي يا رسول الله يا أملي ... يا من ألوذ به إن زلت القدم
ساعدني في معادى عند مقدرتي ... يا من به من صروف الدهر أعتصم

---

(١) ممن كتب في ذلك : عمر بن دحية الكلبي : " التنوير في مولد السراج المنير " ، وأحمد بن علي الغرناطي : " طل الغمام في مولد سيد تهامة " ، ومحمد بن علي الزملكاني : " مولد الرسول صلى الله عليه وسلم " ، وعمر بن محمد العديم : " ختان النبي صلى الله عليه وسلم " ، محمد بن طلحة : " ختان النبي صلى الله عليه وسلم " .

ومحمد بن أبي بكر التلمساني : " الجوهرة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة " ، وعمر بن حسن الكلبي : " أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وكذا شرحها له " ، وأحمد بن علي الحراني : " أسماء النبي صلى الله عليه وسلم " ، وكذا كتاب في شرحها للحراني .

فأنـت خير معاذ يستعاذ بـه   عنـد الشدائد منجـاة ومعتصم[١]

وبهذه الأبيات جعل الرسـول صلـى اللـه عليـه وسـلم ، المـلاذ إذا زلـت القـدم ، والرسول يبلغ عن ربه ، ويأذن الله له بالشفاعة يوم الحشر ، أمـا المـلاذ فهـو اللـه سبحانه وتعالى ، وهو من يعتصـم بـه مـن صـروف الدهـر ، ليـس غيـره سـبحانه وتعالى .

كما جعل الرسول صلى اللــه عليـه وسـلم خيـر معـاذ يسـتعاذ بـه ، وقـد جـانب الصواب وأخرج النبي صلى الله عليه وسلم من صفته التي وضعه الله بهـا وجعلـه ينازع الله في صفاته ، فلا يستعاذ إلا بالله سبحانه وتعالى في الشدة والرخاء .

ولا شك بخطئه في هذا الجانب ، ولعل ظروف البيئة التي يعيشها وتنــامي الفكـر الصوفي في عصره هي التي صاغت عباراته التي زل قلمه فيها .

ومما وقع عند بعض أهل السـنة فـي هـذا القـرن **محاكـاتهم لغيرهم فـي بعض مناهجهم وأساليبهم :**

وقد وقع في ذلك **الكمال محمد بن طلحة :**

وهو أبو سالم النصيبي الشافعي . رحل وسمع في نيسابور وكان بارعا في الفقـه والخلاف ، وقد ولي قضـاء نصيبين ، كما ولي الـوزارة ، ولكنـه زهـد فترك الدنيـا ومناصبها فرفضها حيـن عرضـت عليـه مـرة ثانيـة . كـانت وفاتـه فـي حلـب سنة ٦٥٢هـ .

له عدد من المؤلفات منها : " العقد الفريد للملك السعيد " ، و " الدر المنظم فـي السر الأعظم " ، و " مفتاح الفلاح في اعتقاد أهل الصـلاح " ، وكتابه فـي السـيرة : " مطالب السول في مناقب آل الرسول " .

قال الذهبي : " له كتاب دائرة الحروف ضلال دين " [٢].

وقد جسد في مقدمته بداية خطأ في مصنفه فقال :

---

(١) عجالة الراكب في ذكر أشرف المناقب ورقة ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) الذهبي – العبر ج٣ ص ٢٦٩ ، ابن كثير – البداية والنهاية ج١٣ ص ١٨٦ ، الزركلـي – الأعلام ج٦ ص ١٧٥ .

" أنه كتب بعد أن رأى بعض الصالحين عليا رضي الله عنه ، فسأل مسائل تتعلق بالمعارف القدسية ، فأجاب بكلمات ، قال يا أمير المؤمنين لم أحط علما بمعرفتها ، فأحاله على أن أشرح له ذلك وأفصل منه ما أجمله ، وأبين تفاصيل قوله جملة ، فلما حضر لدي وقص علي حقيقة الحواله ، في جواب ما سأله ، قابلت أمره بالامتثال ، وبادرت في الوقت والحال إلى استخراج الجواب عن ذلك السؤال ، وبعد قيامي بواجب الحوالة وقضاياها ، وامتثال أمره بالمطاع باستخراج أجوبتها وشرح أسمائها ، ألزمت نفسي تأليف هذا الكتاب ، قياما بحقه إذ خصني بإحسانه وجعلني أهلا لاستنابته اياي في شرح أشكال من العلم اللدني في بيانه[١].

ومما سبق يلحظ أن للرؤى المنامية دور في تشكيل الجانب الفكري عند بعض المنتسبين لأهل السنة ، فمحمد بن طلحة أقدم على التأليف استجابة لتلك الرؤية المنامية التي وصى بها علي رضي الله عنه له ، ويمكن القول أن للتصوف أثر في واقع الناس ، حيث هم الذين يعنون بتلك الرؤى ويجسدونها في عباداتهم وتراثهم الفكري.

وأما الأمر الآخر الذي قلد فيه محمد بن طلحة غيره ، فهو ما أسماه بالقسم الثاني قال فيه :

" وهو ذكر المعاني التي ذكر اختصاصهم بها وهي الإمامة الثابتة لكل واحد منهم ، وكون عددهم منحصر في اثني عشر إماما . فأما ثبوت الإمامة لكل واحد منهم فانه حصل ذلك لكل واحد قبله ، فحصلت للحسين الزكي عليه السلام من أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام ، وحصلت بعده لأخيه الحسن الزكي عليه السلام ، وحصلت بعد الحسن لابنه زين العابدين منه ، وحصلت بعد زين العابدين لولده محمد الباقر ، وحصلت بعد الباقر لولده جعفر الصادق منه ، وحصلت بعد الصادق لولده موسى الكاظم منه ، وحصلت بعد الكاظم لولده علي الرضا ، وحصلت بعد الرضا لولده محمد القانع منه ، وحصلت بعد القانع لولده علي

---

(١) الكال محمد بن طلحة : مطالب السول في مناقب آل الرسول ورقة ٣ . مخطوط بدار الكتب المصرية برقم(١٥٥٣)

المتوكل ، وحصلت بعد المتوكل لولده الحسن الخالص منه ، وحصلت بعد الخالص لولده محمد الحجة المهدي " (١) .

ولا ندري أي إمامة يريد والتي يدعي ثبوتها لهؤلاء ، إن كانت الولاية على المسلمين فقد تحققت لعلي رضي الله عنه ، أما ابنيه الحسن والحسين فلم يستقر لهم شيء منها . والبقية الباقية فلم تثبت لهم ولاية مطلقا ، فإذا كان يريد إمامة الشيعة التي يزعمونها لهؤلاء ، فهذا أمر يختص بهم ولا يوافقهم أهل السنة . فما الذي دعاه إلى القول به ؟ .

ولا يكتفي ابن طلحة بذكرهم فقط ، بل نراه يعمد إلى تبرير التحديد بالاثني عشر وذكر أوجه ذلك على رأيه فيقول :

الوجه الأول : أن الإسلام والإيمان بني على جملتين احدهما لا اله إلا الله ، والثانية محمد رسول الله ، وكل واحد من الأصلين ركب من اثني عشر حرفا ، ولأصالة فرع الإيمان المتأصل ، والإسلام المتقرر ، فيكون عدد الأئمة القائمين بها اثني عشر ، كعدد كل واحد من الأصلين المذكورين .

الوجه الثاني : أن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه العزيز قوله :

﴿ **ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا** ﴾(٢).

إلى أن قال ولهذا لما بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ليلة العقبة قال لهم : " أخرجوا منكم اثني عشر نقيبا كنقباء بني إسرائيل " ، ففعلوا فصار ذلك طريقا متبعا وعددا مطلوبا .

الوجه الثالث : قال سبحانه وتعالى :

﴿ **ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ، وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا** ﴾(٣) ، فجعل الأسباط الهداة إلى الحق من بني إسرائيل اثني عشر ، فيكون الأئمة الهداة إلى الإسلام اثني عشر .

---

(١) مطالب السول في مناقب آل الرسول ورقة ٨ .

(٢) سورة المائدة آية ١٢ .

(٣) سورة الأعراف ، الأيتان :١٥٩، ١٦٠ .

الوجه الرابع : أن معايش الناس ومصالحهم مرتبطة بالزمان الذي هو الليل والنهار ، وعدد أجزائه اثنا عشر والأمة مفتقرة إلى ما هو بهذا العدد ، ومصالحها مفتقرة إلى الأئمة ، فكان عددهم كعدد أجزاء الليل والنهار .

الوجه الخامس : أن أنوار الأئمة تهدي القلوب والعقول إلى سلوك الحق ، ونور الشمس والقمر يهدي الناس إلى سلوك الطريق فيحذرون المسالك الوعرة ، وحيث ينهي إلى البروج الاثني عشر ، فكان عدد الأئمة .

الوجه السادس : وقد عقد فيه بين قول النبي صلى الله عليه وسلم الأئمة من قريش وبين نسب النبي صلى الله عليه وسلم . إذ انتهى بالنضر بن كنانة يكون عدده اثنا عشر متصاعدا والمتنازل منه اثنا عشر وهم الأئمة الاثنا عشر[١] .

وللرد عليه في هذا العرض المتكلف عن سبب تحديد الأئمة الإمامية باثني عشر نقول :

أن الشيعة أنفسهم لم يجتهدوا هذا الاجتهاد الذي قام به ابن طلحة بفرض تلك الوجوه . بل نرى كبار أئمتهم ومصنفيهم لا يعدو تعليلهم لهذا العدد ذكر نص نسبوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

" ذكر الله عز وجل عبادة ، وذكري عبادة ، وذكر الأئمة من ولده عبادة ، والذي بعثني بالنبوة وجعلني خير البرية أن وصيي لأفضل الأوصياء ، وانه لحجة الله على عباده وخليفته على خلقه ، ومن ولده الأئمة الهداة ، بعدي بهم يحبس الله العذاب عن أهل الأرض ، وبهم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، وبهم يمسك الجبال أن تميد بهم ، وبهم يسقي خلقه الغيث ، وبهم يخرج النبات ، أولئك أولياء الله حقا وخلفائي صدقا ، عدتهم عدة الشهور هي اثنا عشر شهرا ، وعدتهم عدة نقباء موسى بن عمران ، ثم تلا عليه السلام هذه الآية ، ﴿ **والسماء ذات البروج** ﴾ ، ثم قال : أتقدر يا ابن عباس أن الله يقسم بالسماء ذات البروج ، ويعني به السماء وبروجها ؟! ، قلت : يا رسول الله فما ذاك . قال : أما السماء

---

(١) مطالب السول في مناقب الرسول ورقة ٩،١٠،١١ .

فأنا ، وأما البروج فالأئمة من بعدي ، وأولهم علي وآخرهم المهدي صلوات الله عليهم أجمعين " [١].

أما تكلفه ربط العدد اثنا عشر ،وهم عدد الأئمة ، بحروف شهادة " لا اله إلا الله وأن محمد رسول الله " ، فهو عمل الفرق الباطنية التي تبحث لها عن مسوغ في الأعداد التي تتخذها كما فعلت الإسماعيلية بتحديد أئمتها بسبعة ، ولا يعلم أن أحدا من أهل السنة ربط وجها شرعيا بحروف متقطعة وجعلها مبررا لذلك العدد ، بل هو منهج الفرق الضالة .

أما الوجه الثاني والثالث الذي ذكر فيه الاستدلال بالآيات ، وهي قوله تعال عن بني إسرائيل :

﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا﴾[٢].

وقوله تعالى: **﴿ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ، وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا ﴾**[٣] .

وقد جاء ذكر نقباء موسى بن عمران في الحديث الذي نسبه الشيعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن عدة الأئمة عدة هؤلاء النقباء ، وكان الأولى بابن طلحة أن يشير إلى هذا النص ولا يتكلف البحث والتأويل لهذه الآيات .

والحديث الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يتوافق وما أورده ابن طلحة عن أئمة الشيعة . فقد ورد عن جابر بن سمرة قال :

" سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليها اثنا عشر رجلا .

ثم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفيت علي ، فسألت ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ؟ .

---

(١) محمد بن محمد بن النعمان العكبري (توفي سنة ٤١٣هـ) – الاختصاص ص ٢٢٤ . مؤسسة الأعلمي ، بيروت د . ت .

(٢) سورة المائدة آية ١٢ .

(٣) سورة الأعراف الأيتان :١٥٩،١٦٠ .

قال : كلهم من قريش " . وهذا لفظ مسلم(١) .

والثابت عن السلف أنهم الخلفاء الأربعة ، وعمر بن عبدالعزيز ، ومن يأتي مثلهم ، ومنهم المهدي المنتظر ، وليس مهدي الشيعة الذي يدعون وجوده بسامراء ويختلف اسمه مع ما جاء في الحديث عن المهدي المنتظر الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم :

" يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه وكنيته كنيتي ، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ، وذلك هو المهدي "(٢) .

وحتى لا يتناقض هذا الحديث مع مهدي الشيعة حرف ابن طلحة اسمه فقال جده الحسن وكنيته أبو عبدالله ، فمعناه محمد بن أبي عبدالله(٣) .

وهؤلاء الأئمة الذي جاء بهذا الحديث الصحيح ، قال ابن كثير : " ولايلزم من توليهم تتابعهم " (٤).

وفي الوجه الرابع : ربط عددهم بأجزاء الليل والنهار إذا كملا اثنا عشر جزءا .

وفي الوجه الخامس : ربطهم بعدد بروج السنة الاثنا عشر ، وقد ورد في حديثهم السابق المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يفيد بذلك ، حيث قال : أما السماء فأنا ، وأما بروجها فالأئمة الاثنا عشر من بعدي . وابن طلحة قد استفاد من ما ورد في هذا الحديث ليجعله عمدة له في تبرير عدد الاثني عشر عند الشيعة . وما ندري ما هو موقفه من الإسماعيلية ، أصحاب سبعة الأئمة ، فهل سيبحث عن مبرر لذلك أم سيعتمد الاثني عشر ويدعمهم ؟! .

أما الوجه السادس : فربطه بنسب النبي صلى الله عليه وسلم وجعل مدخله قوله صلى الله عليه وسلم : " الأئمة من قريش " . ولم يفصح عن طبيعة العلاقة بين نسب النبي صلى الله عليه وسلم وبين هذا الحديث ليقف عند الاسم الثاني عشر

---

(١) صحيح الإمام مسلم جـ ٣ ص ١٤٥٢ .

(٢) صحيح الإمام مسلم جـ٣ ص ١٤٥٢ . السنن لأبي داود ج٤ ص ١٠٧ .

(٣) ابن تيمية – منهاج السنة ج١ ص ٢٥٤ ، ٢٥٧ . ابن طلحة . زبدة المقال ورقة ١٧٩ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٣٣ .

من نسبه صلى الله عليه وسلم ، ويقول إن مقابله اثنا عشر تنازليا ، وهو لم يبرر هذا الوجه ولهذا يظهر التكلف فيه واضحا .

وممن وقع أيضا من أهل السنة بخطأ غيره **المحب الطبري** ، فقد صنف كتابا سماه " ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى " .

ومما قال في مقدمة كتابه هذا بعد أن ذكر منزلة النبي صلى الله عليه وسلم :

" وألزم مودته قرباه كافة بريته ، وفرض محبته جملة أهل بيته المعظم وذريته ، ولا جرم سنح الخاطر تدوين ما ورد في مناقبهم ، وتعريف ما روي في شريف قدرهم وعلو مراتبهم " .

فلا أحد يعترض عليه في محبة آل البيت ومعرفة مناقبهم ، ولكن لوحظ عليه وقوعه في خطأ غيره وذلك بالغلو بهم ، وعدم التثبت من النصوص الواردة بشأنهم ، ومع أنه قال :

" ووسمته بذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، من كتب ذوات اعداد ، على وجه الاختصار ، وحذف الإسناد ، عازيا كل حديث إلى كتابه ، تقصيا من عهدة الارتياب وتسهيلا على طلابه " (١).

وما ذكره في هذه المقدمة بإعلانه الاعتماد على المصادر ، لا يبرر وقوعه في الخطأ ، كما أن العزو إلى الرواة أو مصدر المعلومات لا ترفع الحرج عن دور الكاتب في تسطير فكرته .

وقد وجدنا الطبري يحاكي الشيعة في غلوه بعلي رضي الله عنه ، واعتماده أحاديث لم تثبت ليجعلها مدخلا لما يريد تأكيده ، فلا فرق بين ما كتبه الطبري وما كتبه من يغلو بعلي رضي الله عنه ، ونذكر بعض العناوين التي اعتمدها الطبري في كتابه هذا عن علي رضي الله عنه لنرى كيف أنه وافق الشيعة في غلوهم .

فذكر أنه – أي علي رضي الله عنه – من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة الرأس من الجسد(٢) .

---

(١) الطبري : أحمد بن علي : ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ص ٥ .تحقيق أكرم البوشي ، مكتبة الصحابة جدة ١٤١٥هـ .

وذكر أنه من النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة النبي صلى الله عليه وسلم من الله عز وجل[١] .

وذكر أن الله عز وجل يقبض روحه وروح النبي صلى الله عليه وسلم بمشيئته دون ملك الموت[٢] .

وذكر أن جبريل من على عليهما السلام[٣] .

وذكر اختصاصه بسيادة المسلمين وولاة المتقين[٤] .

وذكر أنه رضي الله عنه من النبي صلى الله عليه وسلم أو مثله[٥] .

وذكر سلام الملائكة عليه[٦] .

وذكر اختصاصه بأنه لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز[٧] .

وذكر أنه أدخله النبي صلى الله عليه وسلم في ثوبه يوم توفي واحتضنه إلى أن قبض[٨] .

وذكر اختصاصه بحمل لواء الحمد في ظل العرش[٩] .

ومما سبق يتجلى لنا كيف أن الطبري قد وقع في خطأ الشيعة ، حينما نقل هذه النصوص التي لا تعرف إلا عندهم عن علي رضي الله عنه . وهو بهذا قد وضع عليا رضي الله عنه بمنزلة فوق منزلته التي وضعه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع أنه يحيل إلى غيره في الرواية إلا أن ذلك لا يعفيه من تحمل تبعة ما نقله وسطره في كتابه هذا ، ولو أنه بين الحكم في تلك الروايات التي نقلها

---

(٢) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ٦٣ .

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ٦٤ .

(٢) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ٦٤ .

(٣) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ٦٨ .

(٤) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ٧٠ .

(٥) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ٦٨ .

(٦) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ٦٨ .

(٧) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ٧١ .

(٨) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ٧٢ .

(٩) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ٧٥ .

ولم يعتمدها عناوين لكتابه لكان الأمر أخف ، أما والحالة هذه فانه يمكن القول أن الغلو في علي رضي الله عنه ظاهرة برزت في هذا القرن برعاية الشيعة ، ووقع في حبائلها بعض أهل السنة ، وما ورد عند الطبري إلا صورة من صور متعددة وقع فيها بعض أهل السنة ممن كتب في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثاني

مصادر كتابة السيرة في القرن السابع الهجري

المبحث الأول : عند أهل السنة :

- القرآن الكريم .
- السنة النبوية .
- أهل المغازي والسير الأولى .
- كتب التاريخ العام والأنساب والتراجم .

المبحث الثاني : عند الصوفية :

- تحريف معاني القرآن الكريم .
- تحريف معنى الأحاديث ودعوى التواصل مع النبي ﷺ منذ وفاته .
- كتب السير والمغازي .
- روايات مشايخ الصوفية وتحليلهم أحداث السيرة النبوية .

المبحث الثالث : عند الفلاسفة وأهل الكلام .

المبحث الرابع : عند الشيعة :

- تحريف معاني القرآن الكريم .
- الاستدلال بالضعيف والموضوع من السنة وتحريف معانيها .
- اختيار الروايات والآثار التي تتفق مع هدفهم من كتب المغازي والتراجم .
- نسبة مرويات وأقوال لأئمتهم .
- كتب متنوعة لبعض مصنفيهم .

المبحث الخامس : منهج استخدام المصادر .

- طرق ذكر المصادر .
- طرق النقل من المصادر .
- الإشارة إلى مواضع النقل .
- المفاضلة بين المصادر .

المبحث الأول : مصادر أهل السنة في كتابتهم للسيرة النبوية في هذا القرآن القرآن الكريم :

قد سبق بيان منهج أهل السنة في تلقيهم للقرآن الكريم .

وحيث أن أحداث السيرة النبوية هي تصوير واضح لظروف نزول الآية من القرآن ، أو قول النبي ﷺ للحديث ، فقد جاء تناول آيات القرآن الكريم عند كتاب السيرة في هذا القرن وفق التالي :

- عرض أسباب النزول كما جاءت من المصادر الأولى والمناقشة في بعضها .
- الاستشهاد بآيات القرآن الكريم في معرض التحليل للنص .
- عرض أقوال المفسرين وبيانها وترجيح بعضها على بعض .

عرض أسباب النزول كما جاءت بها المصادر الأولى والمناقشة لبعضها :

فمن ذلك ما ذكره ابن الأثير عند الحديث عن أسرى بدر ، فحينما أشار أبوبكر بالفداء ، وأشار عمر بالقتل لهؤلاء الأسرى مال الرسول ﷺ إلى الفداء(١) .

فأنزل الله تعالى ﴿ **ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض** ...﴾ إلى قوله ﴿ **لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم** ﴾(٢).

يقول ابن الأثير : وكان الأسرى سبعين فقتل من المسلمين يوم أحد سبعون وكسرت رباعية رسول الله ﷺ وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه وانهزم أصحابه(٣).

ولم يُسلّم ابن كثير للآثار الواردة بهذا الشأن ، وأورد ما جاء عند المفسرين بأن الله لا يعذب أحداً شهد بدراً ، وقوله تعالى ﴿ **لولا كتاب من الله سبق** ﴾(٤).

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ج ٢ ص ٣١ .

(٢) سورة الأنفال الأيتان : ٦٧،٦٨ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ج٢ ص ٣١ .

(٤) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٣٢٧ .

وهذه الرواية هي التي جاءت عند الطبري حول وقوع العذاب على المؤمنين يوم أحد بسبب ما قبلوه من الفداء يوم بدر ، مما يدل على أن ابن الأثير نقلها دون البحث في مضمونها(١).

ومما جاء عند ابن الأثير ، ما ذكره عند حديثه عن خروج النبي ﷺ من بيته في مكة وترصد كفار قريش له تلك الليلة ، وعجزهم عن النيل منه(٢)، وقد نزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك** ﴾(٣)

ويلاحظ أن ابن الأثير لم يذكر مكان نزول هذه الآية ، وهو ما أدركه ابن كثير بقوله : (أنزل الله عليه بقدومه المدينة الأنفال بذكر نعمه عليه وبلاءه عنده)(٤) .

ومع ما ذكر من أمثلة فإن ابن الأثير لم يتتبع كافة الآيات التي نزلت وفق ظروف وأحداث السيرة النبوية ، ومن ذلك أنه لم يذكر ما نزل بشأن غزوة حنين(٥)، ولا حادثة الإفك(٦)، وفي غزوة الحديبية لم يشر إلا إلى النزر اليسير مما نزل(٧) .

وعند الدمياطي : جاء إيراده لآيات من القرآن الكريم في معرض حديثه عن نزول جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ في غار حراء ، حينما نقل الدمياطي أن جبريل أتاه ليلة السبت وليلة الأحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان في حراء ، وهو موضع نزل فيه القرآن(٨)، وهو قوله تعالى : ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ ، إلى قوله : ﴿ **مالم يعلم** ﴾(٩) .

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج١ ص ٤٧٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج٢ ص ٤ .

(٣) سورة الأنفال جزء من آية (٢٠) .

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٣٠٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٢ ص١٣٥ .

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٢ ص٨٣ .

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٢ ص ٨٦ .

(٨) الدمياطي : مختصر السيرة ورقة ٢٥ .

(٩) سورة العلق آية ١إلى ٥ .

ويتضح من سياق الدمياطي ، أن إيراده الآية لم يكن إلا لبيان أن تلك الآيات نزلت في غار حراء ، لأنه استطرد يذكر أحداثاً أخرى لا تمس جوانب من الوحي بل عرض لبعثة النبي ﷺ ، ثم أعقبها بذكر أحداث الوحي على النبي ﷺ (١) .

وأحياناً يقع مورد سبب النزول بخطأ غيره ، فيذكره دون إشارة تفيد باعتراضه عليه ، بل يرد السياق وكأنه مسلم بما ذكر ، ومن ذلك ما قاله الدمياطي :

(إن الشيطان ألقى على لسان النبي ﷺ كلمات ، فأتاه جبريل فقال : ما جئتك بهاتين الكلمتين ، فقال رسول الله ﷺ : قلت على الله ما لم يقل ؟! فأوحى الله إليه(٢) ، ﴿ **وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ثم لاتجد لك علينا نصيرا** ﴾(٣) .

وقد جاء نص هذه الرواية عند ابن سعد(٤)، والطبري(٥) ، وقد أغفل ذكرها ابن كثير عند تفسيره لهذه الآيات(٦) ، وأما البغوي فقد أورد أكثر من سبب لنزولها ثم قال : (إن الله تعالى قال : ﴿ **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا** ﴾ ، وقد ثبته الله ولم يركن ، هذا مثل قوله تعالى : ﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا** ﴾(٧) ، وقد تفضل فلم يتبعوا)(٨)

الاستشهاد بآيات القرآن الكريم من خلال تحليل النص أو الحدث :

ومن ذلك ما جاء عند ابن دحية ، فبعد أن ذكر قصة النصراني الذي أسلم وارتد قال : (فلما تنصر هذا الكاتب – لعنه الله – ظهر فيه معجزة عظيمة فدفن فلم تقبله الأرض .

---

(١) الدمياطي : مختصر السيرة ورقة ٢٥ .

(٢) الدمياطي : مختصر السيرة ورقة ٣٨ .

(٣) سورة الإسراء الآيات ٧٣،٧٤،٧٥ . .

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج١ ص٢٠٦ .

(٥) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج٢ص٣٤١ .

(٦) تفسير القرآن العظيم ج٣ ص ٥٤ .

(٧) سورة النساء آية ٨٣ .

(٨)البغوي : معالم التنزيل ج٣ ص١٢٧ .

تقبله الأرض .

قال : واعلموا رحمكم الله أن مثل هذه الحكاية لا توقع في قلب مؤمن ريباً لعصمة رسول الله ﷺ ، وإنما هي حكاية عمن أرشد وكفر بالله ، وقد أجمعنا على إسقاط خبر المسلم المتهم فكيف بكافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله مشكك للمسلمين ، ولم يصح عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين أنه شاهد ما قاله وافتراه[١] ، ﴿ . **إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون** ﴾[٢]) .

جاء ذكر حادثة الرجل النصراني المرتد في معرض حديث ابن دحية عن المعجزات النبوية ، وقد خشي ابن دحية أن يفتن أحد بهذه الحادثة ، ويظن أن ذلك النصراني قد أثر على الوحي الذي يكتبه والذي سيؤثر على العصمة النبوية ، فأوضح ابن دحية أن خبر المسلم المتهم لا يقبل كيف والأمر يتعلق بخبر كافر مبغض للدين فإمكانية التصديق بخبره بعيدة جداً لأن الأصل بمن على حاله عدم الصدق ، بل واختيار الكذب ، وليؤكد هذا المعنى استشهد بقوله تعالى : ﴿ **إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون** ﴾[٣] .

وجعل الله جزءاً من عذاب هذا النصراني عدم قبول الأرض لجثته حتى يكون عبرة لغيره ممن سيحاد الله ورسوله .

وتأتي صور الاستشهاد بآيات القرآن الكريم عند كتاب السيرة من أهل السنة في هذا القرن في بيان عدم موافقة أصحاب المصادر الأولى :

ومن ذلك ما أورده الكلاعي عن ابن إسحاق في عرض للآيات وهي قوله تعالى : ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ﴾[٤] . وقوله تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾[٥] ، إلى

---

(١) ابن دحية : نهاية السول ورقة ١٩ .

(٢) سورة النحل آية (١٠٥) .

(٣) سورة النحل آية (١٠٥) .

(٤) سورة البقرة آية (١٨٥) .

(٥) سورة القدر آية(١) .

خاتمة السورة وقوله تعالى : ﴿ **حم والكتاب المبين إنا أنزلنه في ليلة مباركة** ﴾(١) الآيات وقوله تعالى : ﴿ **إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان** ﴾(٢).

قال الكلاعي : (وهكذا أورد ابن إسحاق رحمه الله هذه الآيات كالمستشهد بها على ابتداء التنزيل في شهر رمضان على رسول الله ﷺ وفي صورة هذا الاستشهاد نظر)(٣) .

ثم قال : (فإن ظاهر تلك الآيات أنه لم يقع الأمر في إنزاله على رسول الله ﷺ هكذا ، بل أنزله الله عليه في رمضان وفي غيره مفترقاً ، آيات وسور بحسب السائلين ، أو أحداث المحدثين ، أو ما شاء الله من هداية العالمين) إلى أن قال : ... (وليُسلَّم أن معنى قوله : (أنزل فيه القرآن ابتدئ فيه إنزاله) ، ثم قال (نجري ذلك المجرى الآيتين الأخريين وهما ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾ و ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة مباركة** ﴾ ، وأما الآية الأخرى وهي قوله تعالى : ﴿ **وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان** ﴾ ، فلا تنتظم معهما ، حيث فسرت بأن المراد يوم بدر وما كان في السنة الثانية من الهجرة(٤) .

وقد قال ابن عباس رضي الله عنه : (أنه أنزل في رمضان في ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة ثم أنزل على مواقع النجوم ترتيلاً في الشهور والأيام)(٥)

وبهذا يتوافق ما جاء عند الكلاعي من عدم موافقته على ما ذكره ابن إسحاق حول نزول القرآن الكريم في شهر رمضان على ما ذكره ابن عباس .

مما سبق يتبين لنا أن بعض كتاب السيرة لا يسلمون لمن سبقهم من الكتاب الأوائل بعض الآراء ، ومنها ما سبق الحديث عنه من موقف الكلاعي على ما

---

(١) سورة الدخان آية ٢ وجزء من آية : ٣ .

(٢) سورة الأنفال آية (٤٢) .

(٣) الكلاعي : الاكتفاء ج١ ص٢٦٧ .

(٤) الكلاعي : الاكتفاء ج١ ص٢٦٧ .

(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج١ ص٣١٧ .

ذكره ابن إسحاق ، ولكن عدم الموافقة في الرأي كانت تتم بأدب جم ، هو أدب العلم والعلماء فقد قال الكلاعي بعد أن سرد اعتذاره : (والرجل أولى منا بأن يصيب ويسلم ، إلا أنه لا ينكر أن يغلط البشر)(١) .

ومن الاستشهاد بآيات القرآن ومن خلال التحليل للحدث ، ما ذكره ابن حمير في معرض حديثه عن زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش فقد قال : (وأما أن يكون الرسول ﷺ يخشى الناس من غير مراعاة لهذا القدر وما أشبهه ، فحاشا وكلا وكيف ، وقد قال تعالى بعد هذه الآية ﴿ **الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله** ﴾(٢) .

فقد زكى الله تعالى أنبياءه بأنهم أفردوه بالخشية ، فلو كان الرسول ﷺ يخشى الناس لأجل الناس لتناقض الخبر ، والتناقض في خبر الله ورسوله محال)(٣) .

ولقد أبان ابن حمير من خلال استشهاده بهذه الآية أن الله عزوجل عدّ أنبياءه أكمل الناس وأخشاهم له ، ولا يمكن تصور أن يخشى الرسول الناس ، والله جعله بهذه المثابة لأن ذلك تناقض في الخبر ، وهو محال على الله وعلى رسوله .

وهو بهذا يرد من خلال هذه الآية على من تصور خشية الرسول من الناس بعلمهم بخبر زواجه من زينب بنت جحش ، فخشيته ﷺ أن يتحدث الناس به ﷺ فيهلكوا .

ومن الاستشهاد بآيات القرآن الكريم من خلال التحليل للنص :

ما ذكره العز بن عبدالسلام في معرض بيانه فضل الرسول ﷺ على غيره ، حينما قال : وكما فضل الله أنبياءه من البشر فكذلك فضله على من اصطفاه من

---

(١) الاكتفاء ج١ ص٢٩٧ .

(٢) سورة الأحزاب آية (٣٩) .

(٣) ابن حمير : تنزيه الأنبياء عما تسب إليهم حثالة الأغبياء ص ٥٧، تحقيق د . محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت دمشق ١٤١١هـ .

رسله من أهل السماء وملائكته(١) ، لكن أفاضل البشر أفضل من الملائكة لقوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية** ﴾(٢) .

والملائكة من جملة البرية ، لأن البرية مأخوذة من برأ الله الخلق ، أي اخترعه وأوجده ، ولا تدخل الملائكة في قوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ مع أنهم آمنوا وعملوا الصالحات ، لأن، هذه اللفظة تختص بعرف الاستعمال بمن آمن من البشر ... الخ)(٣) .

ومن خلال هذا الاستشهاد بهذه الآية أبان ابن عبدالسلام أن فضل النبي ﷺ كما هو على أهل الأرض فهو كذلك على أهل السماء ، وهذه من خصوصيته ﷺ التي خصه الله بها دون غيره من مخلوقاته .

عرض أقوال المفسرين وبيانها وترجيح بعضها على بعض :

فمن ذلك ما جاء عند الدمياطي ، فعند حديثه في الباب الذي سماه باب ذكر المستهزئين(٤) في قوله تعالى : ﴿ **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ، إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ، فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾(٥) .

نقل الدمياطي أن (معنى قوله تعالى : ﴿ **فأصدع** ﴾ ، انفذ وصرح بما بعثت به والصدع التفريق بين ملتحم كصدع الزجاجة ، فكان المصرح بقوله يرجع إليه صدع به ما سواه مما يضاده ، والصديع الصبح لأنه يصدع الليل .

وقال مجاهد : نزلت في أن يجهر بالقرآن في الصلاة .

---

(١) العز بن عبدالسلام : بداية السول في تفضيل الرسول ص ٧٦ .

(٢) سورة البينة آية (٧) .

(٣) العز بن عبدالسلام : بداية السول ص٧٦ .

(٤) الدمياطي : مختصر سيرة الرسول ﷺ ورقة ٣٨ .

(٥) سورة الحجر : الآيات (من٩٤ إلى ٩٩) .

ونقل عن ابن عباس : أن قوله تعالى وأعرض عن المشركين نسختها آية السيف

وقال ابن عباس أيضاً : أعلمه الله تعالى بأنه كفاه المستهزئين به من كفار مكة ببوايق أصابهم من الله تعالى لم يسمع فيها محمد ﷺ ولا تكلف فيها مشقة)(١) .

وهذه الأقوال التي نقلها الدمياطي حول تفسير هذه الآية جاءت في كتب التفسير أمثال كتاب معالم التنزيل للبغوي(٢) ، وكتاب تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٣) .

ويلاحظ أن الدمياطي بدأ تفسيره لهذه الآية بنقل ما يوضح معنى كلماتها ثم انتقل إلى بيان سبب نزولها ، ثم عرض قول ابن عباس عن معناها الإجمالي والمراد بها

ومن خلال هذا العرض أبان الدمياطي الموقف الذي وجه إليه النبي ﷺ كي يتخذه ضد المستهزئين والذي تمثل بالصدع بالحق وإظهاره للناس والإعراض عن أولئك المستهزئين .

ولم يغفل الدمياطي من خلال عرضه بيان أن هذا الإعراض كان مرحلياً حيث استشهد بقول ابن عباس أن هذه الآية نسخت بآية السيف(٤) .

ومن صور اعتماد القرآن الكريم من مصادر السيرة :

عرض آراء المفسرين للآيات وبيان الصحيح منها :

ومن ذلك لما عرض ابن دحية ما جاء بأن سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **والضحى والليل إذا سجى** ﴾(٥)، (أنه لما اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاث ، جاءت امرأة فقالت : يامحمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك) .

وقد نقل ابن دحية من سمى المرأة بخديجة أو عائشة رضي الله عنهما .

قال ابن دحية : (وهذا باطل ، سُنيد ضعفه أبو داود ، وقال أبو عبدالرحمن النسائي : ليس بثقة) .

---

(١) الدمياطي : مختصر سيرة الرسول ﷺ ورقة ٣٨ .

(٢) البغوي : معالم التنزيل ج٢ص٥٩ .

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٦٠ .

(٤) هي قوله تعالى : ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير** ﴾ سورة الحج آية (٣٩) .

(٥) سورة الضحى آية (١،٢) .

ثم قال ابن دحية : (وذلك أنه مخالف لحسن ظن خديجة بالرسول وجميل رأيها فيه ، وأنها كانت له عوناً على الطاعة ، أما عائشة رضي الله عنها فلم تكن في ذلك الوقت ، فنسبة ذلك إليها من الكذب) ثم قال : (والصحيح أن المشركين قالوه) واستدل بما روى مسلم من أن جبريل أبطأ عن رسول الله ﷺ (١)، فقال المشركون : قد ودع محمد ﷺ ، فأنزل الله عزوجل ﴿ **والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى** ﴾(٢) .

وهنا نجد أن ابن دحية عرض أقوال المفسرين في هذه الآية ولكنه لم يسلم لهم ، حيث رد السند الذي روى به تفسير هذه الآية ، ثم أبان عدم إمكانية القول بأن المرأة خديجة رضي الله عنها لمكانة الرسول عندها ولأن هذا الموقف لا يتناسب وما بدر منها تجاه الدعوة وصاحبها ، أما عائشة رضي الله عنها فيكفي للرد على من قال بهذا أنها لم تولد بعد ، وهذا يدل على أنهما رضي الله عنهما قُصدتا بهذا الاتهام .

ولم يكتف بما ذكر بل أبان الرأي الذي يراه وهو أن المقالة من المشركين ، وقد جاء عند ابن كثير أن المرأة التي قالت ذلك هي أم جميل زوجة أبي لهب(٣) .

ومن عرض أقوال المفسرين :

ما نقله ابن تيمية رحمه الله أن ابن عباس رضي الله عنه قال : (أن قوله تعالى : ﴿ **إن الذين يرمون المحصنات الغافلات** ﴾(٤)، نزلت في عائشة رضي الله عنها خاصة واللعنة في المنافقين عامة) .

---

(١) ابن دحية : نهاية السول ورقة ٢٢ ، المنذري : مختصر صحيح مسلم ص٢٩٥

(٢) ابن دحية : نهاية السول ورقة ٢٢ ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٣ .

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٣ .

(٤) سورة النور آية (٢٣) .

ثم أبان ابن تيمية رحمه الله عظيم قذف أمهات المؤمنين مستدلاً بما جاءت به هذه الآية وموضحاً الآثار المترتبة على القذف ، فقال : (قد بين ابن عباس ، أن هذه الآية إنما نزلت فيمن يقذف عائشة وأمهات المؤمنين ، لما في قذفهن من الطعن على رسول الله ﷺ ، فإن قذف المرأة أذى لزوجها كما هو أذى لدينها ، لأنه نسبه إلى الدياثة وإظهار لفساد فراشه ، فإن زنا امرأته يؤذيه أذى عظيماً ، ولهذا جوز الشارع أن يقذفها إذا زنت ، ودرأ الحد عنه باللعان ولم يبح أن يقذف امرأة بحال)[1] .

فابن تيمية أبان عظيم ما وقع عليه نظر منافقي المدينة وهم يسعون بالإيقاع برسول الله ﷺ ، فلم يتهموه بالسرقة لأن أذاها غير متعد للغير ، ولا يمكن

---

(١) ابن تيمية : الصارم المسلول ص ٤٥ .

التصديق بها لكونها تباشر من قبل الفاعل نفسه ، وهذا لا يمكن القبول فيه بحق رسول الله ﷺ ، وكذا الأمر بالنسبة لشرب الخمر ، وتركوا تهم كفار مكة للنبي ﷺ حينما كان يدعو في مكة وهي تهم الكذب والسحر والكهانة ، لأن كفار مكة لم يفلحوا في تحقيق مآربهم من خلالها ولأنها سلوك ظاهري للإنسان يرى عليه فلا يمكن التصديق به إلا من خلال المشاهدة المحسوسة لصاحبه ، وأما الرمي بالزنا لاحد زوجاته فإنه فعل من غيره ، ولا يشترط لوقوعه وجود أثر على فاعله يراه الناس ليصدقوه ، ولهذا كانت الفرص مواتية للمنافقين حينما تخلفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن ركب الجيش ثم لحقت به على جمل صفوان بن المعطل(١) ، ليشيع المنافقون مقالتهم فيها حتى يلحقوا برسول الله ﷺ الأذى عن طريق قذفهم لزوجته وهو أشد وأنكى من أي تهم أخرى كما فصل ابن تيمية رحمه الله .

من مصادر كتب السيرة في هذا القرن كتب السنة النبوية :

ولا ريب في ذلك ، إذ من المعلوم أن السيرة النبوية هي تصوير واقعي للظرف الذي صدر فيه التوجيه النبوي من رسول الله ﷺ لأمته سواء أكان ذلك بقوله أو بفعله أو بإقراره .

ويلاحظ المطلع على كتب السيرة التي كتبها أهل السنة في هذا القرن حرصهم على النقل من الصحيحين أكثر من غيرهما ، وإن وجد عند البعض عدم الاهتمام بذلك والنقل دون تثبت من صحة الحديث .

ونعرض في هذا المبحث لأمثلة منها :فممن أخذ عنه :

الإمام البخاري :

وهو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، ولد سنة (١٩٤هـ) ، وأخذ العلم عن جمع من المشايخ قدر عددهم بألف عالم ، وقد رحل في سبيل ذلك إلى عدد من البلاد الإسلامية كبغداد والكوفة والبصرة والشام ومصر . وكانت وفاته سنة ٢٥٦هـ .

---

(١) هو صفوان بن المعطل بن ربيضة السلمي ، شهد الخندق والمشاهد بعدها توفي سنة ١٧هـ ، (ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٣ ص ٢٦) .

قال الذهبي عنه : (كان من أوعية العلم يتوقد ذكاءً ، ولم يخلف بعده مثله) .
من مصنفاته كتابه في الحديث (الجامع الصحيح) ، وكتبه التاريخ الكبير والأوسط والصغير ، والأدب المفرد ، وكتاب رفع اليدين في الصلاة[١] .

وقد نقل عنه عدد من كتاب السيرة في هذا القرن مستشهدين بأحاديث أوردوها عنه : منهم الكلاعي في كتبه (الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء)[٢] .

وممن أخذ عنه أيضاً المحب الطبري في كافة كتبه التي تعنى بالسيرة ، ومنها كتاب ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى)[٣] .

وابن سيد الكل في كتابه الأنباء المستطابة في مناقب الصحابة والقرابة)[٤].

وابن عساكر في كتبه (الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين)[٥] .

وابن دحية الكلبي في كتابه (نهاية السول في خصائص الرسول)[٦] .

ويلاحظ أن النقل من البخاري قد يأتي مشتركاً مع الإمام مسلم[٧] وأحياناً تورد رواية البخاري منفردة[٨]، وأحياناً ترد مع روايات أخرى من غيره[٩]، مما يدل على حرص المؤلف بأن يضمن كتابه روايات صحيحة .

---

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٢ ص٢٩٨ ، والعبر ج١ ص٣٦٨ ، وابن خلكان ، وفيات الأعيان ج٤ ص١٨٨ .

(٢) أنظر على سبيل المثال ج٢ ص٤٩وص١٤٥ .

(٣) أنظر على سبيل المثال الصفحات٣٢،٥٠،٥١،٧٧ .

(٤) أنظر على سبيل المثال الصفحات ١٥،٣٧،٣٩ .

(٥) أنظر على سبيل المثال الصفحات ٨٨،٩٠،٩٢ .

(٦) أنظر على سبيل المثال الصفحات ١٩،٢٠،٣٨،٥١،٨٤ .

(٧) ابن دحية : نهاية السول ورقة ٨١ .

(٨) ابن سيد الكل : هبة الله بن عبدالله : الأنباء المستطابة ص ٤٥ ، تحقيق عبدالجبار زكار ود / على أحمد ، دار حسان دمشق ١٤١٢هـ .

(٩) الطبري : أحمد بن عبدالله ذخائر العقبى ص ٣٢ ، تحقيق أكرم البوشي ، مكتبة الصحابة جدة ، مكتبة التابعين ، القاهرة ١٤١٥هـ ؛ الكلاعي : الاكتفاء ج٢ ص٤٩ .

وترد أيضاً رواية البخاري فقط مع أن مسلم رواه فلا تذكر روايته[١] ، كما تورد روايات البخاري المتعددة[٢]، في الموضوع الواحد ، ويشار أحياناً إلى تفرد البخاري بالرواية[٣] .

ومِمن نقل عنه :

الإمام مسلم :

هو أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ولد سنة ٢٠٤هـ ، وتنقل بين الكوفة ومكة ، ومصر طالباً للحديث ، واستطاع أن ينهل منه وعمره لم يتجاوز الثامنة عشرة ، كانت وفاته سنة ٢٦١هـ ، وله عدد من المصنفات منها كتابه (الجامع الصحيح) ، وكتاب (الكنى والأسماء) و (ورجال عروة بن الزبير) وغيرها[٤] .

ومع أن الإمام مسلم لم يضمن كتابه الصحيح كافة أحداث السيرة النبوية ، فإننا نجد كماً من الروايات ترد عنه عند كُتاب السيرة في هذا القرن ، فقد نقل الكلاعي عنه أحاديث كثيرة استشهد بها أثناء عرضه للسيرة وذلك في كتابه (الاكتفاء)[٥] .

كما نقل عنه ابن عساكر في كتابه (الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين)[٦] .

والتلمساني في كتابه (الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة)[٧] .

---

(١) الطبري : ذخائر العقبى ص٥١ .

(٢) الكلاعي : الاكتفاء ج٢ ص٢٤٥ .

(٣) ابن دحية : نهاية السول ورقة ٨٤ .

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١١ ص٥٥٧، والعبر ج١ ص٣٧٥ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ج٢ ص١٤٤ .

(٥) أنظر على سبيل المثال الصفحات ج١ ص ٣٧ و ج٢ ص١١٠،١٦٢ .

(٦) أنظر على سبيل المثال الصفحات ٨٨،٩٠،٩٨ .

(٧) أنظر على سبيل المثال الصفحات ج٢ ص١٠٦،١٠٩،١١٠ .

والطبري في كتابه (ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى)[١] ، وابن سيد الكل في كتابه (الأنباء المستطابة في مناقب الصحابة والقرابة)[٢] ، وابن تيمية في كتابه (الصارم المسلول على شاتم الرسول)[٣] .

ويرد النقل عن مسلم إما بمعارضه رواية عند غيره[٤] ، أو بتكرار الروايات في موضوع واحد[٥]، أو باتفاقها مع البخاري[٦]، أو بعرض روايته لزيادة فيها[٧] وممن أخذ منه .

الترمذي :

وهو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك ، ولد سنة ٢١٠هـ ، ثم ارتحل إلى خراسان والعراق والحجاز فسمع بها .

قال عنه ابن حبان : كان أبو عيسى ممن جمع وصنف وحفظ وذكر ، كانت وفاته سنة ٢٧٩هـ .

من مصنفاته (الجامع الصحيح) و (الشمائل النبوية)[٨] .

ويلاحظ كثرة النقل منه بعد صحيحي البخاري ومسلم من قبل كتاب السيرة في هذا القرن .

---

(١) أنظر على سبيل المثال الصفحات ١٠٥،٦٠،٣٢ .

(٢) أنظر على سبيل المثال الصفحات ٨٧،٤٨،٤٥ .

(٣) أنظر على سبيل المثال الصفحات ١٨٩،٦٤،٥٩ .

(٤) الكلاعي : الاكتفاء ج٢ ص٢١٠ .

(٥) ابن تيمية : الصارم المسلول ص ١٨٩ .

(٦) ابن تيمية : الصارم المسلول ٣١٥ .

(٧) التلمساني : الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة ج٢ ص١٠٦ .

(٨) السمعاني : عبدالكريم بن محمد الأنساب ج٣ ص٤٦،٤٥ تحقيق عبدالرحمن المعلمي ، حيدر أباد الهند ١٣٨٦هـ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٣ ص٢٧٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٤ ص ٢٧٨ .

ولعل تخصيصه كتاب في (الشمائل النبوية) جعل من كتب في السيرة يكثر النقل منه ، لما جمعه في هذا الجانب من سيرة المصطفى ﷺ الذي أولاه كُتاب هذا القرن عناية خاصة .

وممن نقل عنه الطبري في كتابه (السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين)[١] وكتابه (ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى)[٢] .

ونقل عنه الدمياطي في كتابه (مختصر السيرة النبوية)[٣]، والتلمساني في كتابه (الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة)[٤] .

وجاءت رواياته منفردة[٥]، وموافقة لغيرها[٦]، كما جاءت متكررة في موضوع واحد[٧]، وجاءت متعددة في موضوع واحد متعدد المراحل ، يتم بعضها بعضاً[٨]

وممن أخذ عنه :

النسائي :

وهو أحمد بن أبي خيثمة زهير النسائي ، طلب علم الحديث والنسب وأيام الناس فأجاد فيها ، قال عنه الصفدي[٩]: كان ثقة عالماً متقناً حافظاً بصيراً بأيام الناس ، راوية للأدب ، وكانت وفاته سنة ٢٧٩هـ .

من مصنفاته (كتاب التاريخ) .

---

(١)أنظر على سبيل المثال الصفحات ٨٨،٩٤،١٧٨ .

(٢)أنظر على سبيل المثال الصفحات ٥٥،٢٢٤،٣٢٣ .

(٣) أنظر على سبيل المثال الصفحات ١٦، ٨٠،٨٨ .

(٤) أنظر على سبيل المثال الصفحات ج٢ ص١٥،٩٥،٩٦ .

(٥) الطبري : السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين ص ٨٨ ، تحقيق محمد علي قطب ، دار الحديث القاهرة ، د . ت .

(٦) الدمياطي : مختصر السيرة النبوية ورقة ٨٨ .

(٧) الطبري : ذخائر العقبى ص ٥٥ .

(٨) التلمساني :محمد بن أبي بكر الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة ج٢ ص٩٦ .إعداد د / محمد التونجي ، دار الرفاعي الرياض ١٤٠٣هـ .

(٩) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٦ ص٣٧٦ ، الذهبي : العبر ج١ ص٤٠١ .

نقل عنه عدد من كتاب السيرة في هذا القرن ومنهم : الإمام ابن تيمية في كتابه (الصارم المسلول على شاتم الرسول)[١] ، والطبري في كتابه (السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين)[٢]، وابن سيد الكل في كتابه (الأنباء المستطابة في مناقب الصحابة والقرابة)[٣] .

وجاءت روايات النسائي في كتب السيرة في هذا القرن منفردة[٤] وموافقة لروايات أخرى من غيره[٥] .

وهذه من أشهر الكتب التي نقل عنها كتاب السيرة في هذا القرن ، ولا يعني ذلك عدم الاستفادة من غيرها ، فإن المطلع على كتب السير في هذا القرن يرى أن هناك كتباً غيرها لأحاديث النبي ﷺ استفاد منها كتاب السيرة في هذا القرن ، ولكن بدرجة أقل مما سبق التفصيل فيه .

ومن هذه الكتب سنن أبي داود[٦]، ومسند الإمام أحمد[٧]، وسنن أبن ماجة[٨]، ومعجم الطبراني[٩]، وموطأ الإمام مالك[١٠]، ومسند الطيالسي[١١]، وسنن الدارقطني[١٢] .

---

(١) أنظر على سبيل المثال الصفحات ٩٣،١١٠،١٨٢ .

(٢) أنظر على سبيل المثال الصفحات ٨٩،١٢٠،١٩٠ .

(٣) أنظر على سبيل المثال الصفحات ١٧،٩٦،١٠٢ .

(٤) ابن سيد الكل : الأنباء المستطابة ص ٩٦ .

(٥) الطبري : السمط الثمين ص ٨٩ .

(٦) أنظر على سبيل المثال ، الصارم المسلول لابن تيمية ص ٩٣،١٠٧.

(٧) أنظر على سبيل المثال ، الصارم المسلول لابن تيمية ص ٢٠٣،٢٣٨،٥٨٥ ، وكتاب مناقب أمهات المؤمنين للطبري ص ١٠٧،١٤٤ .

(٨) أنظر على سبيل المثال ، مختصر السيرة للدمياطي ص ٨٠،٨٨، ، وذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للطبري ص٧٦ .

(٩) أنظر مختصر السيرة للدمياطي ورقة ١١٨ .

(١٠) أنظر الجوهره في نسب النبي وأصحابه العشرة للتلمساني ج٢ ص ٨٩ .

(١١) أنظر مختصر السيرة للدمياطي ورقة ٨،٨٦،٩٦ .

(١٢) أنظر مناقب أمهات المؤمنين للطبري ص ٢٣ .

أهل المغازي والسير الأولى :

من مصـــادر أهل السنة في كتابتهم للسيرة النبوية في هذا القرن ما سطره أصحاب المغازي والسير الأولى في كتبهم .

فقد كانت تلك المصادر تحظى بعناية خاصة من أهل هذا القرن ، حيث لها الأولوية في الاعتماد ، بل زاد من اهتمامهم بها أن التزم بعض كتاب السيرة من أهل هذا القرن بمصنف واحد ، يعتمد عليه فيما يكتبه ولا يتجاوزه إلا في حدود ضيقة وقد فعل ذلك الكلاعي في كتابه (الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء) حيث التزم بما جاء عند ابن إسحاق ، وفتح بن موسى المغربي في نظمه للسيرة المسمى (الوصول إلى السول في نظم سيرة الرسول) باعتماده السيرة النبوية لابن هشام .

ونعرض في هذا المبحث لأمثلة منها .

فممن اعتمد كتب السيرة والمغازي الأولى في كتابه :

الكلاعي :

هو أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان بن أحمد بن عبدالسلام الحميري ، ولد سنة ٥٦٥هـ في بلنسية بالأندلس ، وقيل مولده في مرسية وانتقل منها إلى بلنسية .

اتجه إلى علم الحديث فطلبه في بلده على يد عدد من العلماء ، قال عنه الذهبي : (صاحب التصانيف ، بقية أعلام الأثر بالأندلس ، وقد عد من كبار رجال الحديث لكونه عارفاً بالجرح والتعديل ، كما عد من رجال الأدب والسفر ، كان استشهاده سنة ٦٣٤هـ في معركة أنيشة)(١) .

---

(١) أنيشة : مكان يبعد ثلاثة فراسخ عن مرسية وقعت فيه معركة بين المسلمين والنصارى سنة ٦٣٤هـ ، (الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٣ ص ١٣٤ .

لـه عـدد مـن المؤلفـات منهـا : (مصبـاح الظلـم مـن أحــاديث الرسـول ﷺ) و (أحاديث المصـافحة) ، و (الأعلام بأخبار البخـاري الإمـام ، ومـن بلغـت روايتـه عنه من الإغفال والأعلام) وله (ديوان رسائل) و(ديوان شعر)(١) .

وكتاب الكلاعي في السير النبوية هو (الاكتفاء في مغازي رسـول اللـه والثلاثـة الخلفـاء) وهـو فـي أربـع مجلـدات ، وقـد ضمنـه سـيرة الرسـول ﷺ ، وجعـل لهـا الأولوية ، وقد قال في مقدمــة الكتـاب مـا يوحـي باعتمـاده كتـب السـيرة والمغـازي الأولى (ملخصاً جميعه من كتب أئمـة هـذا الشـأن ، الذيـن صرفـوا إليـه اعتنـاءهم واستنفدوا منه إناءهم ككتاب محمد بن إسحاق ، وكتاب موسى بن عقبه)(٢)، ولكنه عاد ليقول ويؤكد علـى المصـدر الـذي اعتمـده فـي كتابـه : (ولكـن المعـول بحكـم الخاطر الأول على كتاب ابن إسحاق ، إياه أردت) ، ثم بيـن منهجـه فـي الاسـتفادة منه حيث قال : (وتجريده من اللغات ، وكثير الأنساب والأشعار قصـدت ، وعلـى ترتيبه غالباً جريت ، فنزعه في أكثر ما يخص المغازي تحريت)(٣) .

هكذا تبين أن الكلاعي لم يكتف بنقـل المـادة العلميـة فقـط ، بـل نـزع إلـى تقليـده ومحاكاته فـي ترتيـب أحـداث السـيرة وتبويبهـا ، ولـم تكـن هـذه المقدمـة إلاّ منهجـاً اختطه الكلاعي لنفسه فسار عليه في الكتابة والتزمه .

وحيث اعتمد الكلاعي على ابن إسحاق في مادته العلمية على وجه عام ، فإنه لـم يهمل غيره من المصادر الأولى فيمـا لـم يجد عنـده أو يختلـف معـه عليـه ، وذلـك ككتاب موسى بن عقبه(٤)، والواقدي(٥)، والزهري (٦) كما أشار في مقدمة كتابه .

---

(١) الذهبي : سير أعـلام النبـلاء ج٢٣ ص ١٣٤ ، ابـن العمـاد الحنبلي ، شـذرات الذهـب ج٥ ص ١٦٤ .

(٢) الكلاعي : الاكتفاء ج١ ص٢ .

(٣) الكلاعي : الاكتفاء ج١ ص ٢ .

(٤) أنظر على سبيل المثال ج١ ص٣٩٦، ج٢ص٣٨،٦ .

(٥) أنظر على سبيل المثال ج١ ص٤٠١،٤٠٤،٤٤٥ .

(٦) أنظر على سبيل المثال ج١ ص ٣٣٠،٣٨١، ج٢ص٢٤٤ .

وممن انتقى كتاباً من كتب السيرة النبوية الأولى ، واقتصر عليه في تصنفيه لأحداث السيرة النبوية من كتاب السيرة في هذا القرن :

الفتح بن موسى المغربي : وذلك في منظومه المسمى (الوصول إلى السول في نظم سيرة الرسول) .

وقد قال في مقدمته (... فألهمنا وله الحمد والمنة على هذا الإلهام ...) إلى أن قال : (ننظم سيرة نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام ، واليمن والإكرام ، وعلى السيرة التي لخصها من سيرة أبي بكر محمد بن إسحاق المطلبي الثقة الإمام أبو محمد عبدالملك البصري المصري ابن هشام ، فأعان الله على إتمامها وإصابة رامي مراميها)(١) ، وهو بهذا نظم السيرة النبوية كما جاءت عند ابن هشام ، وقد أردف إلى جانب النظم نثراً للسيرة بجانب كل موضوع منها حتى يتضح ما نظم ، استعان في كتابته له بالإضافة إلى ابن إسحاق وابن هشام بعدد من المصادر الأخرى كالبخاري(٢)، ومسلم(٣)، والقاضي عياض(٤) وغيرهم .

ونذكر الآن بعض كتاب السيرة الأوائل الذين كثر النقل عنهم من قبل مصنفي السيرة في هذا القرن :

الزهري :

هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبدالله بن عبدالله بن شهاب المدني ، ولد سنة ٥٠هـ ، قال عنه ابن المديني : له نحو ألف حديث ، كانت وفاته سنة ١٢٤هـ(٥) .

---

(١) المغربي : الفتح بن موسى : الوصول إلى السول في نظم سيرة الرسول ورقة (٢) .مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ن (١٢٧٠٠) وصورة منه بجامعة أم القرى برقم ١٦٦ سيرة .

(٢) أنظر على سبيل المثال الصفحات ١٩١،٢٠٧،٢٦٠.

(٣) أنظر على سبيل المثال الصفحات ٢٠٧،٢١٠،٢١٣ .

(٤) أنظر على سبيل المثال الصفحات ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٨ .

(٥) الذهبي : العبر ج١ص١٢١ .

نقل عنه عدد من كتاب السيرة في هذا القرن ، وكان من بينهم الكلاعي في كتابه (الاكتفاء)[١] ، والدمياطي في كتابه (مختصر السيرة النبوية)[٢]، وابن عساكر في كتابه (الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين)[٣] .

وقد جاءت روايات الزهري عندهم في أحوال متعددة ، إما لإضافتها إلى روايات أخرى لزيادة إيضاح الموضوع[٤] ، أو في معرض التحليل للحديث فينقل ما ذكره الزهري[٥]حوله ، أو في بيان صحة الروايات الواردة حول الموضوع[٦]

موسى بن عقبه :

هو أبو محمد موسى بن عقبه مولى آل الزبير ، أول من صنف المغازي النبوية فكان بصيراً بها .

قال مالك : (عليكم بمغازي موسى بن عقبه فإنها أصح المغازي) .

وقال الذهبي : (مغازي موسى بن عقبه في مجلد واحد ، ليس بالكثير ، سمعناها وغالبها صحيح ، ومرسل جيد ، لكنها مختصرة تحتاج إلى بيان وتتمة)، كانت وفاته سنة ١٤١هـ[٧] .

هذا التوثيق لمغازي موسى بن عقبه جعل كتاب السيرة في هذا القرن وفي غيره يقدمون على كثرة النقل عنه ، ولعل عدم التبني لها على غرار ما فعل مع سيرة ابن هشام وما كتبه ابن سعد في طبقاته عن السيرة النبوية في هذا القرن يعود إلى قلة ما ورد فيها ، كما ذكر الذهبي .

---

(١) أنظر على سبيل المثال الصفحات ج١ ص ٣١٢،١٨٩، ج٢ ص٢٤٤ .

(٢) أنظر على سبيل المثال الأوراق ٤٣،٤٠،٣٦ .

(٣) أنظر على سبيل المثال الصفحات ١٢٣،١١٤ .

(٤) الكلاعي : الاكتفاء ج١ ص٣١٢ .

(٥) الدمياطي : مختصر السيرة ورقه ٣٦ .

(٦) أنظر مناقب أمهات المؤمنين للطبري ص ١١٤ .

(٧) الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٦ ص١١٤ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢ ص١٣٧ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج١ ص٢٠٩ .

ولكننا نلاحظ كثرة النقل عنه في مواضع متعددة من أحداث السيرة ، كما عند الكلاعي في كتابه (الاكتفاء)[١] وابن تيمية في كتابه (الصارم المسلول على شاتم الرسول)[٢]، وابن دحية في كتابه (نهاية السول في خصائص الرسول)[٣]،وقد جاء ما نقل عن موسى بن عقبه في أحوال متعددة عند مصنفي السيرة في هذا القرن ، ومن ذلك أنها جاءت مكررة لموضوع واحد ضمن روايات أخرى[٤]، وأحياناً يذكر رأيه في موضع ذكر الآراء المتعددة حول الموضوع[٥] الواحد ، وأحياناً منفردة في الموضوع الواحد[٦] .

ابن إسحاق :

هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار ، ولد سنة ثمانين للهجرة وقيل أنه أول من دون العلم ، كانت وفاته سنة ١٥١هـ ، وقد كثرت الأقوال فيه بين مادح وقادح ، وليس هذا مكان التفصيل فيها ، ولكن نعرض منها ما يلي : –

قال الزهري : لا يزال بالمدينة علم ما بقي هذا) – يعني ابن إسحاق – ، ولما سئل عن مغازيه قال : (هذا أعلم الناس بها)[٧] .

ويهمنا موقف كتاب السيرة في هذا القرن منه ، فقد أكثر النقل عنه ، بل أن بعضهم كما سبق قد اقتصر في تدوينه على ما ذكره ابن إسحاق كالكلاعي ، والفتح بن موسى المغربي ولم يذكر غير ذلك إلا النزر اليسير .

---

(١) أنظر على سبيل المثال الصفحات ج١ ص٣٨،٣٩، ج٢ ص٢٤٤،٢٤٦،٢٤٧ .

(٢) أنظر على سبيل المثال الصفحات ٧٧،٩٩،١٠٣،١١٣ .

(٣) أنظر على سبيل المثال الصفحات ٥٠،٦٥ .

(٤) الكلاعي : الاكتفاء ج٢ ص٣٨،٣٩ .

(٥) ابن دحية : نهاية السول ورقة ٦٥ .

(٦) ابن تيمية : الصارم المسلول ص ١٠٣ .

(٧)الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٧ ص ١٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٤ص ٢٧٦، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢ ص١٨٨،١٨٩ .

ولشهرته فقد نقل عنه عامة من صنف في السيرة في هذا القرن ، ومن ذلك الطبري في كتابه (السمط الثمين مناقب أمهات المؤمنين)(١)، وكتابه (الذخائر)(٢)، وابن تيمية في كتابه (الصارم المسلول)(٣)وغيرهم .

وقد جاءت روايات ابن إسحاق عند البعض هي مادة الموضوع ، كما هي الحال عند الكلاعي والفتح بن موسى المغربي ، كما جاءت ضمن روايات متعددة وذلك في معرض الإيضاح لجوانب كثيرة من الحدث(٤) ، كما جاءت في معرض بيان الخلاف بينها وبين غيرها(٥) .

كتب التاريخ العام والتراجم :

من مصادر السيرة النبوية في هذا القرن عند أهل السنة ، كتب التاريخ العام والتراجم .

فقد عني بها مصنفوا السيرة في هذا القرن ، وإن كان ذلك درجات متفاوتة ، فنجد أن البعض قد اعتمدها اعتماداً كلياً في كتابته لمصنفه ، ولم يستفد من غيرها إلا ما ندر ، كابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ) ، والذي اعتمد فيه على كتاب الطبري تاريخ الرسل والملوك ، والدمياطي في مصنفه الذي شابهَ ما سطره ابن سعد في طبقاته عن السيرة النبوية ، ونجد بعض مصنفي السيرة في هذا القرن قد اعتبرها مثل غيرها من المصادر فأخذ منها بقدر ، والبعض الآخر لم ينل منها استفادة .

ونعرض في هذا المبحث لأمثلة منها :

الطبري :

هو أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد بن كثير الطبري ، ولد سنة ٢٢٤هـ في طبرستان ، ثم استوطن بغداد ، تعلم القرآن والعلوم الأخرى ،

---

(١) أنظر على سبيل المثال الصفحات ٢٣،٢٥،٢٧،١٩٢.

(٢) أنظر على سبيل المثال الصفحات ٣٥،٣٥٢،٤٠٥.

(٣) أنظر على سبيل المثال الصفحات ١١١،١١٢،١٢٧ .

(٤) ابن تيمية : الصارم المسلول ص ١١١،١١٢ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج١ ص٤٦٥ .

وكان ملماً بأحوال الصحابة والتابعين ، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم ، قال عنه ابن الأثير : (أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ) ، كانت وفاته سنة ٣٠١هـ .

من مصنفاته : (تاريخ الرسل والملوك) ، وكتابه (جامع البيان في تفسير القرآن) ، وكتابه (اختلاف الفقهاء)(١) .

كان كتابه تاريخ الرسل والملوك من أكثر كتب التاريخ العامة التي نقلت عنها أحداث السيرة من قبل مصنفي السيرة في هذا القرن .

فقد كان اعتماد ابن الأثير لكتاب الطبري مصدراً أساسياً في السيرة وغيرها ، ونقل عنه كلٌ من التلمساني في كتابه (الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة)(٢) ، والكلاعي في كتابه (الاكتفاء)(٣) ، والزملكاني في كتابه (مولد الرسول ﷺ)(٤).

ونقل القرطبي عنه في كتابه (الجامع لأحكام القرآن)(٥) من تفسير الطبري جامع البيان في تفسير القرآن .

الكامل في التاريخ :

كتاب الكامل في التاريخ من الكتب التي تناولت السيرة النبوية ضمن الأحداث العامة للتاريخ الإسلامي ، حيث بدأ كتابه ببدء الخلق والقلم ، وخلق آدم ، ثم عرض للأنبياء عليهم السلام ، كما عرض لغيرهم من الأعلام المعروفة قبل الإسلام والأيام المشهورة ، ثم انتقل إلى السيرة النبوية معتمداً على الإمام الطبري في كتبه وفي ذلك يقول : (فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي وضعه الإمام أبو جعفر

---

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج٢ ص٧١٠، ابن كثير : البداية والنهاية ج١٠ص١٤٥ .

(٢) انظر على سبيل المثال ج٢ ص٥٦،٥٧،٦٢،٨٢،٢٣٤ .

(٣) انظر على سبيل المثال ج٢ ص٤٥ .

(٤) أنظر على سبيل المثال ورقة (٦) .

(٥) أنظر على سبيل المثال ج١٦ ص٢١٨،٢٦٢ .

وهو الكتاب المعول عند العامة عليه ، وبالرجوع عند الاختلاف إليه ، فأخذت ما فيه من جميع تراجمه ولم أُخلّ بترجمة واحدة منها)(١) ، وأما طريقته في الاستفادة مما عند الطبري فيقول : (وقد ذكر هو في أكثر الحوادث روايات ذوات عدد ، كل رواية منها مثل التي قبلها أو أقل منها ، وربما زاد الشيء اليسير أو نقصه ، فقصدت أتم الروايات فنقلتها ، وأضفت إليها من غيرها ما ليس فيها ، وأودعت كل شيء مكانه ، فجاء جميع ما في تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقاً واحداً على ما تراه)(٢) .

ابن سعد :

هو محمد بن سعد بن منيع مولى بني هاشم ، ولد في بغداد سنة ١٥٨هـ ، قال الذهبي : (سمع من خلق كثير) ، وكان كاتباً للواقدي كثير العلم والحديث ، قال عنه الخطيب البغدادي (ومحمد عندنا من أهل العدالة ، وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى في كثير من رواياته) ، توفي سنة ٢٣٠هـ ، من مصنفاته (الطبقات الكبرى)(٣) .

ومن خلال الإطلاع على ما سطره الدمياطي في كتابه (مختصر السيرة النبوية) يلاحظ التشابه التام مع ما ورد عند ابن سعد في طبقاته عن السيرة فيما لا يصرح به ، أما ما يذكر أنه نقل عن ابن سعد فكثير ، مما يدل على أن ما كتبه الدمياطي كانت مادته الأساسية عند ابن سعد ، كما نقل الدمياطي في كتابه (نساء رسول الله ﷺ) (٤)، وابن عساكر في كتابه (الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين)(٥) وغيرهم .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ج١ ص٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج١ ص ٧ .

(٣) الذهبي : العبر ج١ ص٣٢٠ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج٥ ص ٣٢١ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ج٣ ص٨٨ .

(٤) انظر على سبيل المثال الصفحات ٣٥،١٠٥،١٠٦،١٠٧ .

(٥) أنظر على سبيل المثال الصفحات ، ١٢١،١٢٢،١٢٤،١٢٥ .

الدمياطي :

هو عبدالمؤمن بن خلف بن أبي الحسين بـن شرف الدمياطي ، ولد في دمياط بمصر سنة ٦١٣هـ ، وأخذ العلم عن عدد من العلماء أمثال يوسف بن خليل الدمشقي(١) .

انتقل إلى دمشق وولي مشيخة الظاهرية بها ، كما ولي مناصب في مصر ، أخذ عنه أبو عبدالله الذهبي ومحمد بن محمد سيد الناس وأبو محمد عبدالله بن محمد بن سنان ، وغيرهم .

له عدد من المصنفات منها كتاب (الصلاة الوسطى) ، و (العقد الثمين فيمن اسمه عبدالمؤمن) و (المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح) ، و (المختصر في سيرة سيد البشر) في مجلد واحد ، قال عنه ابن كثير : (شيخ المحدثين ، حامل لواء هذا الفن وصناعة الحديث) كانت وفاته سنة ٧٠٥هـ في القاهرة ودفن فيها(٢) .

كتب الدمياطي مؤلفه مختصر السيرة النبوية ، وبدأه في مقدمه قال فيها : (وإني قد استخرت الله في جمع كتاب مختصر في سيرة النبي ﷺ وأخباره) ، ثم دلف إلى الموضوع ، فبدأ بنسب رسول الله ﷺ ، وقد حوى هذا المخطوط الذي وصل عدد صفحاته إلى ١٩٣ صحفه موضوعات مختلفة عن سيرة النبي ﷺ ، شملت مبدأ حياته من الطبقات الكبرى لابن سعد في جزأيها الأول والثاني ، بل أنه يتوافق معه في عناوين الموضوعات ومقلداً له في ترتيبه لها . يلحظ ذلك من خلال المقارنة بين الكتابين ، ولكون كتاب الدمياطي مختصر السيرة النبوية فإنه يعمد في بعض الأحيان إلى عدم إيراد كافة الروايات الواردة عند ابن سعد ؛ بل يكتفي بذكر واحدة منها ، كما فعل ذلك (في ذكر خروجه ﷺ إلى البقيع) حيث اكتفى برواية

---

(١) هو أبو الحجاج يوسف بن خليل بن قراجا بن عبدالله الدمشقي الحنبلي ، ولد بدمشق سنة ٥٥٥هـ ، وبها تعلم ورحل إلى مصر وبغداد وأصفهان ، له عدد من منها ((الفوائد العوالي الصحاح)) مات بحلب سنة ٦٤٨هـ ، (أنظر : عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي ، الذيل على طبقات الحنابلة ج٢ ص٢٤٤ ، نشر دار المعرفة ، بيروت) .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٤ ص ٤٠ ، ابن شاكر الكتبي : الوافي بالوفيات ج١ ص١٧

واحدة ، بينما جاء عند ابن سعد ثلاث روايات[١]، ولكنه لا يعتمد ذلك منهجاً يسير عليه ففي باب (سد الأبواب غير باب أبي بكر) أورد جميع الروايات[٢] التي جاءت عند ابن سعد[٣] .

وفي حديثه عن غزوة الخندق ، اكتفى بمقدمة الرواية التي نقلها عن ابن سعد ، ووقف عند التقاء جيش المسلمين مع المشركين عند الخندق ، وانتقل بعدها إلى الحديث عن غزوة بني قريظة[٤] .

ومن فرط التزامه بما جاء عند ابن سعد فقد نقل جميع ما كتبه عن حمل آمنة بنت وهب رسول الله ﷺ وولادته ، مع ما اكتنف بعض تلك الروايات من ضعف ولم يمحصها بل ذكرها كما جاءت عند ابن سعد[٥] .

ومما سبق يتبين لنا أن الدمياطي قد اعتمد في مختصره للسيرة النبوية كتب الأوائل ، وبالذات ابن سعد ، حيث نقل كافة الروايات عنه إلا ما رأى فيه التكرار ، مما يعوق منهجه في الاختصار .

ابن عبدالبر :

هو أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي ، ولد سنة ٣٦٨هـ بالأندلس فطلب العلم فيها وفي مصر والحجاز .

قال الذهبي : (ليس لأهل المغرب أحفظ منه في الثقة والدين والنزاهة ، والتبحر في الفقه والعربية والأخبار) ، كانت وفاته سنة ٤٦٣هـ ، ومن مصنفاته كتابه

---

(١) الطبقات ج١ ص ٢٠٣ ، مختصر السيرة النبوية ورقة ١٨٠ .

(٢) من هذه الروايات قوله ﷺ ((إن أعظم الناس علي في صحبته وذات يده أبي بكر ، فأغلقوا هذه الأبواب الشارعة كلها في المسجد إلا باب أبي بكر)) ، وقوله ﷺ : ((ليس أحد أمَنَّ عَلَيَّ نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن خلة الإسلام أفضل ، سدوا كل خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر)) ، (الدمياطي : مختصر السيرة ورقة ١٨٨) .

(٣) ابن سعد : الطبقات ج٢ ص٢٢٧، الدمياطي : مختصر السيرة ورقة ١٨٨ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ج١ ص ٦٥،٦٦ ، الدمياطي : المصدر السابق ص ١١٨ .

(٥) ابن سعد : الطبقات : ج١ ص ٢٢٧ ، الدمياطي : مختصر السيرة ورقة ٥،٦ .

الاستيعاب في معرفة الأصحاب) وكتاب (الكنى) وكتاب (المغازي ، وكتاب (الفرائض) ، وكتاب (الإنصاف في أسماء الله تعالى)(١) .

وكان كتابه (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) هو الذي تم النقل عنه من قبل مصنفي السيرة في هذا القرن ، حيث عني بسيرة أصحاب النبي ﷺ فقال : (فواجب الوقوف على أسمائهم ، والبحث عن سيرهم وأحوالهم ، ليهتد بهديهم ، فهم خير من سلك سبيله واقتدى به)(٢) .

وقد جاءت المادة المتعلقة بالسيرة النبوية من خلال عرضه لسيرة الصحابة الذين لهم علاقة بأحداث السيرة ، فهم الأساس الذي تشكل منه المجتمع الإسلامي في المدينة زمن الرسول ﷺ ، وكانوا على علم بأحواله ، وقد نقل عنه عدد من كتاب السيرة في هذا القرن أمثال ابن دحية في كتابه (نهاية السول في خصائص الرسول ﷺ)(٣)، والطبري في كتابه (ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى)(٤)والكلاعي في كتابه (الاكتفاء)(٥) ، والدمياطي في كتابه (نساء رسول الله ﷺ)(٦) وغيرهم

---

(١) الذهبي : العبر ج٢ ص٣١٦، وتذكرة الحفاظ ج٣ص١١٢٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٦ص ٦٤-٦٩ .

(٢) مقدمة كتاب الاستيعاب ص ١١٩ .

(٣) أنظر ورقة ٥٦ .

(٤) أنظر على سبيل المثال الصفحات ٨٨،٨٩،١٠٣،١٠٤ .

(٥) أنظر ج١ ص٢٢٢ .

(٦) أنظر على سبيل المثال الصفحات ٥٤،١٠٢،١٠٤ .

المبحث الثاني :

مصادر الصوفية في كتابتهم للسيرة النبوية

- تحريف معاني القرآن الكريم .
- تحريف معنى الأحاديث ودعوى التواصل مع النبي ﷺ بعد وفاته .
- كتب السير والمغازي .
- روايات مشايخ الصوفية وتحليلهم أحداث السيرة النبوية .

مصادر الصوفية في كتابتهم لأحداث السيرة النبوية

في القرن السابع الهجري

- تحريف معاني القرآن الكريم :

لغلاة الصوفية نظرة خاصة تجاه القرآن الكريم ، يجسدها ابن عدي في قوله (أعلم أن رسول الله أعطى القرآن مجملاً قبل جبريل من غير تفصيل الآيات والسور فقيل له لا تعجل بالقرآن الذي عندك قبل جبريل ، فتلقيه على الأمة مجملاً فلا يفهمه أحد عنك لعدم تفصيله)(١) .

ومنهم من طعن في القرآن ويقلل من مكانته ، فالتلمساني يقول : (القرآن كله شرك ، إن التوحيد في كلامنا)(٢)، وبهذه الرؤية للقرآن يرون أنه لا يرفع عنه هذه الصفة إلا التأويل الباطني البعيد عن الظاهر .

أما طريقهم في تفسير القرآن ، فهم يعمدون تعسف فهم الآيات بما يتفق ونظرتهم والذي يخرجها عن ظاهرها فلا توافق الشرع ولا اللغة ، بل تأسس على نظرية الفلاسفة الذين بحثوا في الطبيعة وما ورائها(٣) .

أما التفسير الإشاري فهو تأويل الآيات على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك(٤) ، كما زعموا ، ولقد اعتمد كتّاب الصوفية في بعض تناولهم لأحداث السيرة النبوية على آيات من القرآن الكريم سواء أكان ذلك للاستشهاد أو التفسير ، وحيث أن كتبهم الخاصة التي تعنى بالسيرة النبوية لا تكفي لبيان منهجهم فسأعمل على إيضاحه من خلال ما جاء في كتبهم المختلفة حول هذا الموضوع .

---

(١) أنظر كتاب هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل ص ١٨٩ ، وقد نقل هذا النص من كتاب الكبريت الأحمر ، للشعراني على هامش اليواقيت والجوهر ص ٦ . ط ١٣٠٧هـ .

(٢) أنظر مجموعة الرسائل والمسائل ، لابن تيمية ج١ ص ١٤٢ .

(٣) الذهبي : محمد حسين التفسير والمفسرون ج٢ ص٣٢٦،٣٣٧ ، مكتبة وهبه القاهرة ١٤٠٩هـ .

(٤) الذهبي : محمد حسين التفسير والمفسرون ص ٣٣٨ .

فمن أئمة الصوفية الذين كان لهم تناول لأحداث السيرة في كتبهم من خلال آيات القرآن الكريم :

(١) السهروردي :

هو أبو حفص عمر بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله السهروردي ، ولد سنة ٥٣٩هـ بسهرورد ، وبها نشأ ، ثم انتقل إلى بغداد وأخذ التصوف فيها ، وبها تعلم ، حيث سمع الحديث من جمع من العلماء فتفقه وصنف التصانيف ، وقيل أنه كان شيخ وقته ، وانتهت إلى الرئاسة في تربية المريدين .

ومن آثاره العلمية حكمة الإشراق ، وبستان العارفين ، وعوارف المعارف ، توفي في بغداد سنة ٦٣٢هـ(١) بعد أن عمر طويلاً .

ومما جاء في تناوله لأحداث السيرة النبوية من خلال آيات القرآن الكريم ، وذلك في كتابه (عوارف المعارف) عند قوله تعالى : ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه** ﴾(٢) ، قال السهروردي : يد الشيخ في لبس الخرقة تنوب عن يد الرسول ﷺ ، وتسليم المريد له تسليم لله ورسوله ، ويقول أن الخرقة معنى المبايعة ، وهي عتبة الدخول في الصحبة ، ويردون أصلها إلى كسوة النبي ﷺ لامرأة جاءته خميصة سوداء(٣) .

ونرى أن السهروردي يستدل ببيعة الرضوان الواردة في هذه الآية على ما تعارفوا عليه في بيعة المريد للشيخ ، وجعل الشيخ ينوب عن الرسول ﷺ في ذلك بل قال أن تسليم المريد للشيخ تسليم لله ورسوله ، وهذا نهج غلاة الصوفية في بعض أحوالهم .

وبيعة الرضوان مبايعة لله ولرسوله على الموت في سبيل الله وعدم الفرار من مواجهة العدو ، وقوله تعالى : ﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾ أي حاضر معهم يسمع

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٣ ص١١٩ ، والذهبي : العبر ج٣ ص٢١٣ ، وابن كثير : البداية والنهاية ج١٣ ص١٣٨،١٣٩،١٤٣ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٥ ص ١٥٣ .

(٢) سورة الفتح آية (١٠) .

(٣) عوارف المعارف ٩٣،٩٥ .

أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم ، وظواهرهم ، فهو تعالى المبايع بواسطة رسوله ﷺ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ **ومن نكث فإنما ينكث على نفسه** ﴾ الآية أي وبال ذلك عليه(٢) .

وهل هذه الدرجة التي بايع فيها أهل بيعة الرضوان من الالتزام بالشهادة في سبيل الله وعدم الفرار من أمام العدو ، يمكن تطبيقها على وفاء الشيخ للمريد حسب ما يقول السهروردي ؟! لاشك أن الفارق كبير بينهما فلا يقارن ما يفعله العبد مع ربه وخالقه فيما يفعله شيخ مع تلميذه .

وعند قوله تعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾(٣)، ذكر السهروردي سبب النزول هو أن : الزبير بن العوام رضي الله عنه اختصم هو وآخر إلى رسول الله ﷺ في شراج من الحرة - والشراج سيل الماء - كان يسقيان به النخل ، فقال النبي عليه السلام للزبير : (أسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك) ، فغضب الرجل وقال قضى رسول الله لابن عمته فأنزل الله تعالى هذه الآية يعلم فيها الأدب مع رسول الله ﷺ وشرط عليهم في الآية التسليم ، وهو الانقياد ظاهراً ، ونفى الحرج وهو الانقياد باطناً ، وقال هذا شرط المريد مع الشيخ بعد التحكيم ، فلبس الخرقة يزيل اتهام الشيخ عن باطنه في جميع تصاريفه ، ويحذر الاعتراض على الشيخ ، فإنه السم القاتل للمريدين ، وقلَّ أن يكون المريد يعترض على الشيخ بباطنه فيلفح(٤) .

وسبب نزول هذه الآية قد جاء عند البخاري(٥)، كما ذكره السهروردي ، وقد جاء تفسير هذه الآية أن الله أقسم بنفسه المقدسة أن لايؤمن حتى يُحَكِم الرسول في جميع الأمور ، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً ، وإذا

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٨٦ .

(٢) البغوي : معالم التنزيل ج٤ ص١٩٠ ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج١٩ص ٢٧٠ .

(٣) سورة النساء آية (٦٥) .

(٤) عوارف المعارف ص٩٤ .

(٥) الجامع الصحيح ج٦ ص٥٨ .

حكموا الرسول أن يطيعوه في بواطنهم ولايجدوا في أنفسهم حرجاً فيما حكم به بل عليهم الانقياد والاستسلام لهذا الحكم ظاهراً وباطناً(١)، ولا ندري بأي وجه سيجعل السهروردي مشايخه بدرجة النبي ﷺ حتى ينقاد لهم الناس .

فهذه الآية خاصة بالرسول ﷺ لمكانته وعصمته التي مَنّ الله بها عليه ، وأن قوله وفعله وأمره تشريع ، كما قال تعالى ﴿ **وما ينطق عن الهوى** ﴾(٢)، فالخضوع للرسول خضوع لله في الأرض ، أما غيره من البشر سواء أكان من مشايخ الصوفية أو من غيرهم فهم معرضون للخطأ والزلل ، ولهذا فلا عصمة لأحكامهم ، وأصبح الإنسان في حل من تسليمه لأحكامهم التي قد يرى فيها مجانبة للصواب .

وعند قوله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم** ﴾(٣) .

قال السهروردي : (وأي أمر جامع أعظم من أمر الدين فلا يأذن الشيخ للمريد في المفارقة إلا بعد علمه بأن آن له أوان الفطام وأنه يعذر أن يستقل بنفسه استقلالاً يفتح له باب الفهم من الله تعالى ، وإذا بلغ المريد رتبة إنزال الحوائج والمهام بالله والفهم من الله تعالى بتعريفاته وتنبيهاته سبحانه لعبده السائل المحتاج فقد بلغ أوان فطامه)(٤) .

والصحيح أن معنى هذه الآية يختلف عما أورده السهروردي ، بل لا يتفق معه في أي من جوانبه ، فقد قال ابن كثير : (هذه الآيات إرشاد من الله وأدب لعباده المؤمنين ، إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، من

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج١ ص ٥٢١ .

(٢) سورة النجم آية (٣) .

(٣) سورة النور آية (٦٢) .

(٤) عوارف المعارف ص ٩٥ .

صلاة جماعة أو عيد أو اجتماع في مشورة ، أمرهم الله تعالى أن لا يتفرقوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته ، وأمره أن من يفعل ذلك فإنه من المؤمنين الكاملين ، ثم أمر رسوله صلوات الله وسلامه عليه إذا أستأذنه أحد منهم في ذلك أن يأذن له إن شاء(١) .

وقال القرطبي : (أنه لايتم ولا يكمل إيمان من آمن بالله ورسوله إلا بأن يكون سامعاً غير معنت ، في أن يكون الرسول يريد إكمال أمر ، فيريد هو فساده بزواله في وقت الجمع)(٢) . وقال القرطبي أيضاً : (إن الله تعالى قال في أول السورة أنه – إنزال آيات بينات – والنزول على محمد ﷺ فختم السورة بتأكيد الأمر في مبايعته عليه السلام ، ليعلم أن أوامره كأوامر القرآن)(٣) .

ومع الاختلاف الذي جرى في إمكانية تطبيق الحكم على أحوال المسلمين ، إلا أنه لم يقل أحد بتطبيقه بصفة فردية ، لا لشيخ ولا لغيره .

وهل بعد هذا يمكن التسليم للسهروردي بتطبيق هذا الأمر على الشيخ ومريده ؟! فمع الاختلاف في الحال بين الأمرين يمكن القول أيضاً بصعوبة وضع حال الشيخ مع مريده في هذا الحكم ، فأوامر الشيخ لا تأخذ صفة الإلزامية لعدم وجود الولاية الشرعية في ذلك ، كيف والأمر بعلاقة فردية بين الشيخ ومريده ، وهذا من تأويل النصوص والأحداث التي يعمد إليها السهروردي وأمثاله لتنزيلها على واقع الصوفية فيأخذ بهذا صفة شرعية .

وعند قوله تعالى ﴿ **لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين** ﴾(٤) .

قال السهروردي : (إن هذا وصف أصحاب رسول الله ﷺ فقيل لهم ماذا كنتم تصنعون حتى أثنى الله عليكم بهذا الثناء ؟ ، قالوا : كنا نتبع الماء الحجر ، هذا وأشباه هذا من أدب وظيفة الصوفية الربط يلازمونه ويتعهدونه والرباط طريقتهم

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٣٠٧ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٣٢٠ .

(٣) القرطبي ١٠ الجامع لأحكام القرآن ج١٢ص٣٢٠ .

(٤) سورة التوبة آية (١٠٨) .

ولكل قوم دار ، والرباط دارهم وقد شابهوا أهل الصفـة)(١) ، والصحيح أن ربط معنى هذه الآية بأهل الصفة حتى يمكن للسهروردي التشريع في ذلك أمر لا يوافقه عليه مفسروا القرآن الكريم ، فلم يشر أحدٌ منهم إلى علاقة هذه الآية بأهل الصفة ، بل لقد اختلف في المسجد المراد بهذه الآيـة وأهلـه المطهرين ، فذهب ابن عباس وجماعة معه أنه مسجد قباء ، وتابعهم في هذا كل من ابن العربي والقرطبي الذين قالوا أن فيه ضمير الظرف يقتضي الرجال المتطهرين ، واستدلوا بحديث أبي هريرة الذي قال : (إن هذه الآية نزلت في أهل قباء) ، ﴿ **فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين** ﴾ قال كان يستنجون بالماء وبهذا قال الشعبي وقتادة وذهب ابن عمر وسعيد بن المسيب إلى أن المراد بهذا المسجد هو مسجد الرسول ﷺ بالمدينة ، واستدلوا بما رواه أبو سعيد الخدري قال تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم ، فقال رجل : هو مسجد قباء ، وقال آخر : هو مسجد رسول الله فقال رسول ﷺ : (هو مسجدي هذا)(٢) رواه الترمذي(٣).

وبهذا يتضح أنه لم يرد ذكر لأهل الصفة عند المفسرين ، بل المعنى هم صحابة رسول الله ﷺ ، سواء كانوا في مسجده بالمدينة أو في مسجد قباء .

وأما صرف معنى الآية إلى أصحاب الصفة حتى يجد السهروردي ما يستند إليه في تشريع الرباط ومنزلة أهله ، فهو تكلف واضح ، كما أنه سبق بيان حال أهل الصفة وأنهم يختلفون عن أهل الرباط من الصوفية في كافة أحوالهم .

ومن كُتاب الصوفية :

ابن عطاء الله السكندري :

هو أحمد بن محمد بن عبدالكريم بن عطاء الله السكندري أخذ عن شيخه

---

(١) السهروردي : عوارف المعارف ص ١٠٢ .

(٢) ابن العربي : محمد بن عبدالله أحكام القرآن ج٢ ص ١٠١٤،١٠١٥، تحقيق علي بن محمد البجاوي ، بيروت د . ت ؛ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٦٠،٢٦٢، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٨٩،٣٩٥ .

(٣) الجامع الصحيح ج٥ ص٢٨٠ .

أبي العباس المرسي والشيخ ياقوت القرشي(١) ، أخذ عنه جمع من التلاميذ ، وله عدد من المصنفات العلمية منها : لطائف المنن في مناقب شيخه أبي العباس وشيخه أبي الحسن ، وله كتاب التنوير في إسقاط التدبير ، ومفتاح الفلاح والأرواح وأصول مقدمات الأصول ، وكانت له مكانة عند الصوفية بزمانه ، وممن قام على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، توفي سنة ٧٠٩هـ بالقاهرة(٢) .

وقد جاء في كتابه لطائف المنن تفسيره لعدد من الآيات التي تعنى بأحداث السيرة ومنها قوله تعالى : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً** ﴾(٣) ، قال ابن عطاء السكندري " لم يقل بنبيه ولا برسوله ، وهو نبيه ورسوله ، وإنما كان كذلك لأنه أراد أن يفتح باب الريان للأتباع ، فأعلمنا بأن الإسراء بساط العبودية ، والنبي ﷺ له كمال العبودية فكان كما ترى أسري بروحه وجسمه وظاهره وباطنه ، والأولياء لهم قسط من العبودية ومعهم قسط من الإسراء يسري بأرواحهم لا بأشباحهم "(٤) .

وقول ابن عطاء مردود ، فقوله تعالى : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده** ﴾ ولم يقل نبيه ولا رسوله هو تكريم من الله للنبي محمد ﷺ ، فقد نقل القرطبي قول العلماء : (لو كان للنبي ﷺ اسم أشرف منه لسماه به في تلك الحالة العلية)(٥) .

وبهذا يتضح أن كلمة (عبده) التي وردت في الآية هي أشرف ما يسمى به النبي ﷺ ، وأن سبب ورودها يختلف عما أورده ابن عطاء ، وهو بهذا يفتح الباب لأتباعه بدعوى الإسراء بأرواحهم ، وهو أمر لا يعضده دليل ، ولا يوافقه استنباط

---

(١) ياقوت القرشي : إمام للصوفية ولد في بلاد الحبشة وانتقل إلى الإسكندرية بمصر وتوفي بها سنة ٧٠٧هـ ، (الشعراني : الطبقات الكبرى ج٢ ص٢٠) .

(٢) الذهبي : العبر ج٤ ص ٢١ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج٦ ص ٢٠ .

(٣) سورة الإسراء آية (١) .

(٤) السكندي : تاج الدين عطاء الله : لطائف المنن ص ١٥٤ .مكتبة عالم الفكر القاهرة ١٤١٣هـ .

(٥) أحكام القرآن ج١٠ ص٢٠٥ .

، وإنما تأول في غير محله كعادتهم في تشريع مفاهيم ، وإلا فإن الاتصال بالسماء لا يكون إلا للأنبياء والرسل وفق ما حددته الآية في قوله تعالى ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليٌّ حكيم** ﴾(١) .

ومن الصوفيين الذين فسروا آيات القرآن الكريم وتناول أحداث السيرة فيها :

ابن عربي :

فقد صرف معاني القرآن، الكريم عن ما تهدفه وتقصده سواء أكان أحداثاً تخص السيرة النبوية أو غيرها إلى ما يقصده ويرمي إليه(٢) ، وغرضه بهذا الترويج للتصوف المنحرف على حساب القرآن الكريم بإقامة نظرياته ومعتقده على أساس من كتاب الله وبهذا حقق مراده .

ومن أمثلة ما جاء عنده في قوله تعالى ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً** ﴾(٣) ، قال للفقراء المهاجرين أي التاركين المجردين المهاجرين عن مقام النفس لا الذين أخرجوا ، أي أخرجهم الله إذ لو خرجوا بنفوسهم لاحتجبوا بها برؤية الترك والتجرد فوقعوا في مقام النفس مع حجاب العجب الذي هو أشد من الذنب ، ﴿ **من ديارهم وأموالهم** ﴾ من مواطنهم ومألوفهم ، أي صفات نفوسهم ومعلوماتهم ، ﴿ **يبتغون فضلاً من الله**﴾ من العلوم الفضائل الخلقية ، ورضواناً من الأحوال والمذاهب السنية من الأنوار تجليات الصفات ، ﴿ **وينصرون الله ورسوله** ﴾ ببذل النفوس لقوة اليقين، ﴿ **أولئك هم الصادقون** ﴾ في الإيمان اليقيني لتصديق أعمالهم دعواهم ، إذ علاقة وجدان اليقين ظهور أثره على الجوارح ، بحيث لا يمكن حركتها إلا على مقتضى شاهدهم من العلم(٤) .

---

(١) سورة الشورى آية (٥١) .

(٢) الذهبي : التفسير والمفسرون ج٢ ص ١٢ .

(٣) سورة الحشر آية (٨) .

(٤) ابن عربي : تفسير القرآن ج٢ ص٦٢١ . تحقيق مصطفى غالب دار الأندلس ، بيروت ، د . ت .

هذا من التفسير الإشاري الذي يعتمده ابن عربي في تفسيره للقرآن الكريم ، وهو بلا شك خلاف ما جرى عليه وما ينزع إليه غيره عند تفسير هذه الآيات .

أما ما جاء عند المفسرين عنها : فالمراد بهؤلاء هم الذين أخرجهم كفار مكة ، فخرجوا طلباً لرضى الله عزوجل ، قال قتادة : هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والعشائر ، وخرجوا حباً لله ولرسوله ، واختاروا الإسلام على ما كان فيه من شدة حتى ذكر أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع ، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها[١]، وهنا يتجلى الفرق بين ما ذكر ابن عربي حيث اتجه إلى تأكيد منهجه الصوفي الغالي ، بينما التفسير الصحيح وصف الأمر كما جاء عن أولئك القوم دون الحاجة إلى تأويل يعارض الآيات .

وعند قوله تعالى ﴿ **إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بينة وإن الله لسميع عليم** ﴾[٢] .

يقول إذ أنتم بالعدوة الدنيا ، من مدينة العمل ومحل النقل الزماني ، وهم بالعدوة القصوى ، إلى الجهة السفلية البعيدة عن الحق ومحل العلم وركب القوى الطبيعية ، المختار للقوى النفسانية ، أسفل منكم ، أي من الفريقين (ولو تواعدتم) ، اللقاء للمحاربة من طريق العقل والحكمة دون طريق الرياضة والواحدة (لاختلفتم في الميعاد) لكون ذلك صعباً حينئذ موجباً للفشل والحين ﴿ **ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً** ﴾ مقدراً محققاً عنده واجباً وقوعه فعل ذلك ، ﴿ **ليهلك من هلك عن بينة** ﴾ هجرة كونها ملازمة للبدن الواجب الفناء فتطيعه فيه ﴿ **ويحيى من حيّ عن بينة** ﴾ هو كونها مجردة عنه متصلة بعالم القدس الذي هو معدن الحياة الحقيقة الدائم البقاء[٣].

---

(١) البغوي : معالم التنزيل ج٤ ص٣١٠٨، القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص٢٠ .

(٢) سورة الأنفال آية (٤٢) .

(٣) تفسير القرآن ج٤ ص ٤٧٨،٤٧٧ .

وهذا من التفسير الإشاري عند الصوفية الذي لا يمكن قبوله حيث أنه مناف لظاهر النظم القرآني ، ولم يكن له شاهد شرعي بذلك وله معارض شرعي وعقلي.

وإذا بحثنا عن معنى هذه الآيات وجدنا أنها تتحدث عن حدث من أحداث السيرة النبوية وهي غزوة بدر حيث صور لنا القرآن الكريم جزءاً كبيراً من أحداثها وما قاله ابن عربي لا يتطابق وحقيقة تلك الأحداث .

وقد ورد معنى هذه الآيات عند المفسرين : أن المسلمين نزلوا بالعدوة الدنيا القريبة من المدينة ، ونزل المشركون بالعدوة القصوى ، وذلك شفير الوادي البعيد عن المدينة ، والعير التجارية أسفل منهم مما يلي سيف البحر ، ولو حدد هذا المكان للقاء لأمكن اختلافهم فيه ، لكن الله قدر ذلك ، فوقع ، ويقضي الله بذلك نصر المؤمنين في هذه المعركة ، وقوله تعالى : ﴿ **ليهلك من هلك عن بينة** ﴾ ضل بضلاله(١) .

وبهذا يتضح الفرق بين التفسير الصوفي لابن عربي لهذه الآيات والتفسير الذي قال به أعلام المفسرين والذي يتطابق مع أحداث الغزوة .

وعند قوله تعالى : ﴿ **وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً** ﴾(٢)، يقول ابن عربي : (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها من علوم توحيد الذات فجعل لكم هذه وكف أيدي ناس صفاتكم عنكم ليكون آية وأنه شاهده (للمؤمنين) على توحيد الذات ويهديكم صراطه بعد العلم به وأخرى من علومه تعالى التي عين ذاته بعد بقائكم فيه وتحققكم به حال البقاء بعد الثناء (لم تقدروا عليها) إذ لا تكون إلا له قد أحاط الله بها دون سواه وكان الله على كل شيء من معلوماته قدير)(٣) .

---

(١) البغوي : معالم التنزيل ج٢ ص ٢٥٢، ٢٥٣ ، القرطبي : أحكام القرآن ج٨ ص ٢٢،٢١ ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢١٥،٢١٤ .

(٢) سورة الفتح آية (٢٠) .

(٣) ابن عربي : تفسير القرآن الكريم ص ٥١٢،٥١١ .

هذا تفسير صوفي نظري خرج بالآيات عن معناها ودلالتها إلى هدف يقصده وهو تحويل القرآن وفق معتقده ومبتغاه .

وأما ما قاله جمع من المفسرين عن هذه الآيات (أن قوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه ، أي فتح خيبر ، وقيل المراد صلح الحديبية ، وكف أيدي الناس أعدائكم أن ينالوا بسوء مما أضمروه لكم من المحاربة والقتال وكف أيدي الناس عن ما خلفتموه من أهليكم ونسائكم)(١) .

وهنا يظهر الفرق بين ما قاله ابن عربي من تفسير لتلك الآيات وما سطره عدد من مفسري الآية وكيف أن قولهم يصور حال المسلمين في الحديبية وخيبر ، وتفسيره صوفي رمزي لا يفيد معنى الآية من قريب أو بعيد .

تحريف معنى الأحاديث ودعوى التواصل مع النبي ﷺ بعد وفاته :

يعتمد الصوفية على حديث الرسول ﷺ للتدليل على صحة معتقداتهم وسلوكهم ولكن ذلك بمنهجهم الخاص الذي يسلكونه في تلقي السنة النبوية والذي يتمثل بالرؤى المنامية التي يزعمون فيها الاتصال بالرسول ﷺ في منامهم وتكليفه لهم بقول أو فعل يبادرون إليه في يقظتهم ، كما يعمدون إلى الكذب الصريح على رسول الله ﷺ لتشريع منهج يرونه أو سلوك يعملون به ، كما يقومون بتأويل الأحاديث الصحيحة وفق مرادهم والاستشهاد بها لتسويغ ما يقولون به ويعتقدونه .

ومما سبق يمكن تقسيم اعتمادهم على السنة في إيرادهم لأحداث السيرة وفق الآتي :

أ - أحاديث مسنده .

ب - أحاديث منامية .

جـ - أحاديث مكذوبة .

وحيث أنه لا يوجد كتب خاصة عند الصوفية للسيرة النبوية في هذا القرن فسأعتمد على مصنفاتهم العامة التي كتبت فيه وتناولت بعض أحداث السيرة النبوية من خلال حديثها عن موضوعات مختلفة .

---

(١) البغوي : معالم التنزيل ج٤ ص١٩٤ ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ص١٦٣،١٦٥ .

الأحاديث المسندة :

من طرقهم في الاعتماد على الأحاديث المسندة تأويلها والاستنباط منها فقد نقل السهروردي أنهم استدلوا بما روى عن أبي قتادة قال : (لما وضعت الحرب أوزارها يوم حنين ، وفرغنا من القوم قال رسول الله ﷺ (من قتل قتيلاً فله سلبه))(١)، حيث قاسوا عليه (الخرقة) ، وذلك بأن المجروح من الخرق(٢)، يقسم على الجميع ، وما كان من ذلك صحيحاً يعطى للقوال).

قال السهروردي : (وهذا له وجه الخرقة الصحيحة ، فأما المجروحة فحكمها إسهام الحاضرين والقسمة لهم ، ولو دخل على الجمع وقت القسمة من لم يكن حاضراً قسم له)(٣)، وهم بهذا يقيسون واقع الخرقة على حال قتلى الحرب ، ويعدونها من جنس الغنيمة ، ولا ندري ما هو وجه القياس في ذلك سوى القول أنه اجتهاد في غير محله وإلا فما وجه المقارنة بين نتيجة من حال الحرب مع حال تكلف العمل بها من غير وجه شرعي يستند عليه فيها ، هي حال سلم يزعم أنها عبادة .

والمثال الآخر : لما ذكر السهروردي الروايات الواردة في بدء نزول الوحي على النبي ﷺ وما سبق ذلك من تحنث النبي ﷺ في غار حراء ومكثه المدد الطويلة منفرداً(٤)، قال السهروردي : (فهذه الأخبار المنبئة عن بدء أمر رسول الله ﷺ ، هي الأصل في إيثار المشايخ الخلوة للمريدين والطالبين ، بأنهم إذا أخلصوا لله تعالى في خلوتهم يفتح الله عليهم ما يؤنسهم في خلوته تعويضاً من الله إياهم عما تركوا لأجله)(٥) .

---

(١) الحديث رواه مسلم ج٣ ص ١٣٧١، وهو بلفظ (من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه) .

(٢) لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ والمريد ويربطونها بمواقف للنبي ﷺ أهدى فيها كساءاً لأحد أصحابه ولها عدة استخدامات بين الشيخ ومريده أو بين الشيخ ومريديه في حالة اجتماعاتهم (السهروردي : عوارف المعارف ص ٩٢ وما بعدها) .

(٣) عوارف المعارف ص ١٨٨ .

(٤) المصدر السابق (١٩٤) .

(٥) عوارف المعارف ص (١٩٥) .

ومعلوم أن خلوة النبي ﷺ في الغار لها وضع معين ، حيث كانت قبل البعثة وفراراً من حال مشركي مكة ، أما بعد نزول الوحي عليه ﷺ وتتابعه عليه في مكة والمدينة فقد حددت قواعد العبادة وأصولها ، ولم يعد هناك مجال للاجتهاد إلا في نطاق تلك الحدود ، وهي فرصة التعليم والتوجيه من قبل العلماء لأبنائهم الطلاب ، وأما قياس خلوة الشيخ مع مريده بخلوة النبي ﷺ في الغار ، وأن الله سيعوض ألئك المشايخ ما بذلوه في هذه الخلوات ، فهو قياس غير متوافق بين الحالتين .

ومن أشهر مصادرهم في السنة النبوية :

١ - صحيح الإمام البخاري :

لقد ورد ف كتبهم أحاديث تعني بأحداث السيرة النبوية منقولة عن صحيح الإمام البخاري ، ومن ذلك ما ورد عند ابن عطاء السكندري في كتابه لطائف المنن(١) ، وعند ابن عربي في كتابه اختصار سيرة الرسول ﷺ (٢)، وعند السهروردي في كتابه عوارف المعارف(٣).

وممن نقل عنه عبدالرزاق القاشاني في كتابه شرح فصوص(٤) الحكم كما نقل عنه ابن عربي في كتابه الوصايا(٥) .

---

(١) البخاري : صحيح البخاري ج٦ ص ٣١٢،٣١٣ . وفي لطائف المنن ص ١١١ .

(٢) صحيح البخاري : ج١ ص٨٩ ، ١٠٠،١٠٢. وفي اختصار سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ص ١١٧ .

(٣) صحيح البخاري : ج١ ص ٦٦ ، وفي عوارف المعارف ص ٩٢،١٠٥،١٩٨،٣٦٢ ؛ صحيح البخاري ج١ ص ١٢٦ وفي عوارف المعارف ص ١٠٥ ؛ صحيح البخاري : ج١ص٤٢٣ وفي عوارف المعارف ص ١٩٨ ؛ صحيح البخاري ج١ ص١٢٠ ، وفي عوارف المعارف ص ٣٦٣ .

(٤) البخاري : صحيح البخاري ج١ ص ٣ وفي شرح فصوص الحكم لعبدالرزاق القاشاني ص ١٣٤ مطبعة البابي الحلبي القاهرة ١٤٠٧هـ ؛ صحيح البخاري ج٥ ص١٠ ، وفي شرح فصوص الحكم ص٢٣١ .

(٥) صحيح البخاري ج١ ص ٢١ وفي الوصايا ص ٢٥ ؛ صحيح البخاري ج٩ص٣٥٦ ، وفي الوصايا ١١٨ ؛ صحيح البخاري ج٥ ص١٨٧ ، وفي الوصايا ص ١٣٨ .

٢ - صحيح الإمام مسلم :

ولقد نقل منه كلّ من ابن عطاء السكندري في كتابه لطائف المنن(١) ، ونقل منه ابن عربي في كتابه اختصار السيرة النبوية(٢) كما نقل عنه السهروردي في مواضع متعددة(٣) كما نقل عنه عبدالرزاق القاشاني بشرحه لفصوص(٤) الحكم وابن عربي في تفسيره للقرآن(٥) .

٣ - الجامع الصحيح للترمذي :

وقد نقل منه ابن عربي في كتابه اختصار السيرة النبوية أكثره(٦)، ونقل منه أيضا أحاديث في كتابه مولد النبي(٧) ﷺ، ونقل منه أيضاً السهروردي في كتابه عوارف المعارف(٨) .

كما نقل أحاديث من سنن أبي داود وذلك عند السهروردي في كتابه عوارف المعارف (٩)، ونقل أيضا من سنن النسائي(١٠)،

كما عند السهروردي.

---

(١) صحيح الإمام مسلم ج٣ ص٣٣ ، وفي لطائف المنن ص ١٢ .

(٢) صحيح مسلم ج٧ ص٥٨و٩٥ .وفي اختصار سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ١١٧ ؛ وفي مسلم ج٨ص١٣٢،١٣٣ ، وفي اختصار سيرة الرسول ص ١١٨ ، وفي مسلم ج٣ص٦ ، وفي اختصار سيرة الرسول ص ١٢٠ .

(٣) صحيح مسلم ج١ص١٧٣ ؛ وفي عوارف المعارف ١٩٣ ؛ وفي مسلم ج١ص٧٦ ، وفي عوارف المعارف ص٢١٠ ؛ وفي مسلم ج٢ ص ١٤٩ ، وفي عوارف المعارف ص ٢١١ .

(٤) صحيح مسلم ج٣ ص ٢٥٨ ، وفي شرح فصوص الحكم ص ٩٣ .

(٥) صحيح مسلم ج٢ ص ١٠٨ ، وفي تفسير القرآن لابن عربي ج١ ص ١٠ .

(٦) الجامع الصحيح ج٣ ص٥٩٤،٥٩٥،٥٩٦، كتاب المناقب ، وفي اختصار سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ١١٨،١١٩ .

(٧) الجامع الصحيح للترمذي كتاب المناقب رقم ٣٧٧ ، وفي مولد النبي (صلى الله عليه وسلم) ص ٤ ، الجامع الصحيح للترمذي ج٧ ص ٣٦١ ، وفي مولد النبي ص ٧ .

(٨) الجامع الصحيح ج١ ص ٥٨٧ ، وفي عوارف المعارف ص ٦٣ .

(٩) سنن أبي داود ج٣ ص٧٠ ، وفي عوارف المعارف ص ١٨٩ .

(١٠) سنن النسائي ج٦ص١٣٧ ، وفي عوارف المعارف ص ٢٣٠ .

- الأحاديث المنامية :

ومنها ما جاء عند ابن عربي في مقدمة كتابه (فصوص الحكم) حيث قال : أما بعد : فإني رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة أديتها في العشر الآخر من المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق وبيده ﷺ كتاب فقال لي : هذا كتاب فصوص الحكم خذه وأخرج به إلى الناس ينتفعون به ، فقلت : السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا)(١) .

ومعنى كلامه : أن كتاب فصوص الحكم هو من الرسول ﷺ أعطاه ابن عربي في منامه وذلك كما يقول (بالإلقاء السبوحي والنفث الروحي)(٢) ، ولهذا فهو يقول في موضع آخر (ولا أنزل في المسطور إلا ما تنزل على)(٣)، فلا يتعدى ابن عربي أن يكون واسطة بين الأمة والنبي ﷺ – على حسب زعمه – .

وفي الأحاديث المنامية يقول الشاذلي : (سمعت الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ (إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة) فأشكل علي معناه فرأيت رسول الله ﷺ وهو يقول لي : (يا مبارك ذاك غين الأنوار لا غين الأغيار)) .

ويقول أيضاً : (سمعت الحديث المروي عن رسول الله ﷺ (ومن سكن خوف الفقر قلبه قل ما يرفع له عمل) فمكثت سنة أظن أنه لا يرفع لي عمل أقول : ومن يسلم من هذا ؟! فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول (يا مبارك أهلكت نفسك فرق بين خطر وسكن)(٤) ، وفي ما ذكره الشاذلي دليل صريح على اعتقادهم تلقي توجيه وحديث الرسول ﷺ في المنام .

---

(١) القاشاني :عبدالرزاق على شرح فصوص الحكم ص ٩،١٠ ..

(٢) المصدر السابق ص ١٠ .

(٣) المصدر السابق ص ١٠ .

(٤) عبدالحليم محمود : المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي ص ١١٤،١١٥ ، دار الكتب الحديثة القاهرة د . ت

ب ـ الأحاديث المكذوبة :

لقد شاع بين الصوفية أحاديث مكذوبة تصور جزءاً من حياة الرسول ﷺ فمن ذلك ما قيل أن أنس قال : (كنا عند رسول الله ﷺ إذ نزل عليه جبريل عليه السلام فقال : يا رسول الله إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ، ففرح رسول الله ﷺ فقال هل فيكم من ينشدنا ؟ فقال بدوي نعم يا رسول الله فأنشد الأعرابي :

لقد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي
إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد رسول الله ﷺ وتواجد الأصحاب معه حتى سقط رداؤه عن منكبه ، فلما فرغوا آوى كل واحد إلى مكانه ، قال معاوية بن أبي سفيان : ما أحسن لعبكم يا رسول الله ، فقال صه يا معاوية ليس بكريم من لم يهتز عند سماع ذكر الحبيب)(١) .

ومع أن السهروردي قد شكك في صحة الرواية إلا أنها شاعت بين الصوفية وبالنظر إلى نص هذه الحادثة يتضح أنها غريبة على أحوال النبي ﷺ مع أصحابه كما أن الحديث الذي هو قول النبي ﷺ (ليبشر فقراء المهاجرين بما يسر وجوههم بأنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بأربعين عاماً) قال عبدالله بن عمر راوي الحديث فلقد : (رأيت ألوانهم أسفرت حتى تمنيت أن أكون معهم)(٢) ، فلم يرد فيها ما جاء عند الصوفية من زيادات فيها تشريع لسلوكياتهم ، وقد قال الإمام ابن تيمية :
(أن هذا الحديث الذي أورده كذب بإجماع العارفين لسيرة الرسول ﷺ وسنته وأحواله)(٣) .

ومن الأحاديث المكذوبة ما قيل عن النبي ﷺ عن نفسه : (لولاك ما خلق الله

---

(١) السهروردي : عوارف المعارف ص ١٨٩ .

(٢) الدارمي : سنن الدارمي ج٢ ص ٧٩٦،٧٩٧ . وقال الترمذي حديث حسن صحيح ج٤ص٥٧٧ .

(٣) الفتاوي : ج١١ ص٥٩٨ .

عرشاً ولا كرسياً ولا أرضاً ولا سماءً ولا شمساً ولا قمراً ولا غير ذلك)(١) .

وهذا الكلام لا يقبله عقل ، ويصادم النصوص الصريحة التي بين الله فيها سبب خلقه حيث يقول تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾(٢) ، وبالإضافة إلى أنه لم ينقل عن النبي ﷺ لا بسند صحيح ولا ضعيف بل المعروف أنه كلام لا يدري قائله(٣) .

كتب السير والمغازي :

من المصادر التي نقل منها ذووا الاتجاه الصوفي في كتابتهم للسيرة النبوية كتاب سيرة ابن إسحاق ، وكتاب سيرة ابن هشام ، فقد نقل منهما ابن عربي في مختصره للسيرة النبوية روايات متعددة حول غزوات وسرايا النبي ﷺ (٤) ، وكان إيراده لها مجرداً فلم يضف إليها شيئاً على الإطلاق بل اكتفى بالعرض المجرد .

مشايخ الصوفية :

اعتمد بعض كتاب الصوفية على مشايخهم في نقل السيرة النبوية أو تحليلها ، فقد نقل ذلك السهروردي في كتابه عوارف المعارف ، وابن عطاء السكندري في كتابه لطائف المنن .

ومن الذين أخذوا عنهم كل من عبدالقاهر السهروردي ، والشاذلي أبو الحسن

عبدالقاهر السهروردي :

هو أبو النجيب عبدالقاهر بن عبدالله بن محمد بن عمويه ، وينسب إلى محمد بن أبي بكر الصديق القرشي التيمي ، ولد سنة ٤٩٠هـ بسهرورد ، ورحل منها إلى بغداد وسمع بها ، ثم آثر الانقطاع وحج وجرت له قصص .

---

(١) ابن تيمية : الفتاوي ج١١ ص ٩٦ .

(٢) سورة الذاريات آية (٥٦) .

(٣) ابن تيمية : الفتاوي ج١١ ص ٩٦ .

(٤) ابن عربي : مختصر السيرة النبوية ص ٧٥،٧٦،٧٨ .

كان يأكل من كد يده وبنى له مدرسة ورباط وأصبح يعلم بها ، ثم أصبح يعلم في المدرسة النظامية ، حفظ الوسيط في التفسير للواحدي ، ثم أصبح يعلم في المدرسة النظامية ، ، وكان من أئمة الشافعية ، وعلم من أعلام الصوفية ، رحل إلى الشام سنة ٥٥٧هـ ، وجلس فيها للعلم والوعظ ثم عاد إلى بغداد وبها توفي سنة ٥٦٣هـ ودفن في رباطه(١) ونقل عنه السهروردي في كتابه عوارف المعارف عدة روايات أسندها له ، ومن ذلك حديث معاوية – رضي الله عنه – عن التفقه(٢) في الدين ، وحديث الحسن(٣) بن علي المرفوع إلى النبي ﷺ عن تفسير القرآن ، وحديث عائشة – رضي الله عنها – عن أول بدئ الوحي(٤) .

الشاذلي أبو الحسن :

هو علي بن عبدالله بن عبدالجبار ، ويعرف بالشاذلي نسبة إلى شاذل إحدى قرى تونس ، ولد سنة ٥٩٣هـ وانتقل إلى الإسكندرية بمصر واستقر بها وقد أخذ علومه على عبدالسلام بن بشيش(٥).

اشتغل بالعلوم الشرعية مع كونه ضريراً ، ثم سلك مسلك التصوف وصار له فيه مشكلة توهم ولما قيل له من شيخك فقال : (أما فيما مضى فعبد السلام بن بشيش وأما الآن فإني استقي من عشرة أبحر سماوية وخمسة أرضية) ، ولم يكن له تراث علمي ، فلما سئل عن ذلك : (كتبي أصحابي) ، كانت وفاته وهو في طريقه إلى الحج سنة ٦٥٦هـ(٦) .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٣ ص٢٠٤ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ٤٧٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص٢٤٥ .

(٢) السهروردي : عوارف المعارف ص ١٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٦ .

(٤) المصدر السابق ص ١٩٣ .

(٥) هو أبو محمد عبدالسلام بن بشيش بن أبي بكر الإدريسي الحسني ، ولد بتطوان بالمغرب ، وأصبح من شيوخ الصوفية فيها ، له رسالة تسمى الصلاة المشيشة وكانت وفاته سنة ٦٢٢هـ (الزركلي : الأعلام ج٤ ص٩) .

(٦) الذهبي : العبر ج٣ ص٢٨٢ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج٥ ص٢٧٨ ، عبدالمنعم حنفي : الموسوعة الصوفية ص ٥٢ .

نقل عنه ابن عطاء السكندري آراء وأحداث تتعلق بالسيرة النبوية ، ومن ذلك تعليله ذكر التوبة على النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار في مطلع آية التوبة على الثلاثة الذين خلفوا(١) ، ومن ذلك أيضاً تعليله سبب تسمية الصوفية بهذا الاسم ، ومن هذه التعليلات أن ذلك نسبة إلى صفة مسجد النبي ﷺ (٢) ، ومن ذلك أيضاً توظيفه لقول(٣) الرسول ﷺ (ما فضلكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره)(٤) وهو أن ذلك درجة عالية من العبادات وصل إليها إيمان أبي بكر - رضي الله عنه - .

---

(١) ابن عطاء السكندري : لطائف المنن ص ١٦٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠١ .

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد في كتاب فضائل الصحابة ج١ ص ١٤١، بتحقيق وصي الله محمد عباس وقال إسناده صحيح ، نشر جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ .

(٤) ابن عطاء السكندري : لطائف المنن ص ٢٢٠ .

المبحث الثالث :

مصادر السيرة النبوية عند الفلاسفة وأهل الكلام
في القرن السابع الهجري

من سمات هذا القرن أنه لا يوجد بين أيدينا سوى نتاج فكري قليل للفلاسفة وأهل الكلام ، لذا فإن طريقتهم في تناول المصادر التي تمد بالمعلومات لن تكون واضحة لنا ذلك الوضوح الذي يمكن به تحديد أسس الاعتماد على تلك المصادر بالإضافة إلى ذلك فالطريقة التي عرض بها ابن النفيس السيرة النبوية ، وهو من أبرز من كتب منهم في هذا القرن لم يظهر لنا المصادر التي اعتمد عليها في تناوله لأحداث السيرة ، فقد كان العرض بقالب قصصي لا تتحدد معه مصادر معلوماته ، وكان بالإمكان أن يقدم في بداية حديثه مصادره التي استقى منها معلوماته كما فعل غيره ممن عمد إلى طريقة خاصة في صياغته لأحداث السيرة ، كالذين نظموها شعراً أمثال الصرصري والمغربي .

وسنعرض لكتاب الحسن بن علي القطان (الروضات البهية الوسيمة في الغزوات النبوية الكريمة) الذي أبان مصادره من خلال عرضه المادة كتابه .

تعريف بكتاب :

(الروضات البهية الوسيمة في الغزوات النبوية الكريمة ومصادره)

هذا مصنف الحسن بن علي القطان في السيرة النبوية ، وقد ذكر أنه كتبه بناء على أمر من أمير الموحدين في عصره عمر بن إسحاق بن يوسف المرتضى ، وقد قدم لكتابه عن نشأة الدعوة في مكة ، حيث بقيت ثلاث عشرة سنة بدون قتال ، ثم بعد بيعة العقبة الثانية وهجرة المسلمين إلى المدينة بدأ الجهاد ، وقد قسم كتابه إلى قسمين ، الأول عن الغزوات المباشرة النبوية(١)، والقسم الآخر في البعوث

---

(١) ابن القطان : الروضات البهية الوسيمة ورقة (١) .

النبوية الكريمة(١)، واعتمد اعتماداً شبه كلّي على ابن إسحاق ، فأحياناً يصرح بالنقل عنه وأحياناً لا يذكر شيئاً عن ذلك .

ولم يعتمد على غيره إلا فيما وقع الاختلاف فيه من أحداث السيرة وهو تاريخ وقوع تلك الغزوات ، فكثيراً ما يشير إلى هذا الاختلاف ، وقد أورد قول ابن إسحاق أن غزوة بدر الأولى كانت في جمادى الآخرة ، وذكر أن الواقدي خالف ابن إسحاق ، واعتبر الغزوة في ربيع الأول(٢)، كما أنه يذكر بعض الآراء التي لا تتوافق مع ابن إسحاق ، وكثيراً ما يفعل مع ابن حزم .

فقد نقل قول ابن حزم بشأن عدد من حضر الحديبية ونصه : (ومن قال كانوا سبعمائة فقد غلط ، والصحيح الذي لا شك فيه ألف وثلاثمائة إلى ألف وخمسمائة)(٣) .

وابن إسحاق نقل أن العدد سبعمائة ، ونقل أيضاً أن العدد ألف وأربعمائة ، وما قاله ابن حزم هو ما يميل إليه محققوا الغزوة(٤) ، كما نقل تحديد موعد غزوة السلاسل ونسبة إلى الطبري ، وهو أنها سنة ثمان من الهجرية في جمادى الآخرة(٥) ، وهو مالم يذكره ابن إسحاق(٦)، كما أنه ينقل بعض الأحيان من الواقدي ومن موسى بن عقبة ، ولكنها نقول محدودة(٧) .

ومما سبق يظهر جلياً أن القطان قد اعتمد السيرة النبوية لابن إسحاق اعتماداً شبه كلي إلا نزر يسير بتطلبه البحث التاريخي ، من سد لنقص ، أو ذكر لرأي مخالف ، ومن اعتزازه بابن إسحاق أنه ما ينتقل من موضوع إلى موضوع آخر إلا ويذكر قال ابن إسحاق .

---

(١) المصدر السابق ورقة (١٣٧) .

(٢) المصدر السابق ورقة (١٧) .

(٣) المصدر السابق ورقة (١٦،١٧) .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ج٣ ص٣٠٨،٣٠٩، الحكمي : مرويات غزوة الحديبية ص ٥٣

(٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣١ .

(٦) ابن هشام : السيرة النبوية ج٤ ص ٦٢٣ .

(٧) ابن القطان : الروضات البهية ورقة (١٢١،١٢٢،١٢٧ .

المبحث الرابع :

مصادر السيرة عند الشيعة

- تحريف معاني القرآن الكريم .
- الاستدلال بالضعيف والموضوع من السنة وتحريف معانيها
- اختيار الروايات والآراء التي تتفق مع هدفهم من كتب المغازي والتراجم
- نسبة مرويات وأقوال لأئمتهم .
- كتب متنوعة لبعض مصنفيهم .

تحريف معاني القرآن الكريم :

من مصادر الشيعة في كتابتهم للسيرة النبوية القرآن الكريم ، وذلك بتحريف معانيه ، ومنهجهم في تلقي القرآن الذي ورد في مبحث سابق يتلخص بالآتي :

أولها : بأن للشيعة قرآناً خاصاً لهم يختلف عن القرآن الكريم الذي تلقاه أهل السنة (١) .

الأمر الثاني : أن أئمتهم حسب اعتقادهم أوتوا علم القرآن كله ظاهره وباطنه والمحكم منه والمتشابه ، ولا متشابه للأئمة ، وينسبون للصادق قوله : (إنا أهل البيت لم يزل الله فينا من يعلم علم كتابه من أوله إلى آخره ، وإن عندنا من حلال الله وحرامه ما يسعنا كتمانه ما نستطيع أن نحدث به أحد) ، وهو مفاتيح علم الكتاب والمرجع في فهم القرآن .

وهناك أمر ثالث : وهو قولهم : (أن للقرآن ظاهراً وباطناً ، ولا يعلم الناس منه إلا الظاهر ، أما الباطن فعلمه عند أئمتهم)(٢) . وهذه الأسس التي بنى الشيعة فهمهم للقرآن عليها قادتهم إلى الاستشهاد بالآيات القرآنية في عرضهم لأحداث السيرة ، والتي أصبح معها القرآن الكريم من مصادرهم في السيرة .

من أشهر من نقل عنه كتاب السيرة منهم في هذا القرن :

الحجام : محمد بن العباس بن علي بن مروان (المعروف بالحجام) ، ويعتبر من علماء الشيعة في التفسير والفقه والأصول وممن يعتمد عليه عندهم فيصفونه بالثقة ، وأنه لم يصنف مثل كتبه في التفسير ، ومن تصانيفه كتاب التفسير وهو (تأويل ما نزل من القرآن الكريم في النبي صلى الله عليه وعليهم) ، وله كتاب (الناسخ والمنسوخ) و (المقنع في الفقه رواية أهل بيت النبي عليهم السلام) ، كان حياً سنة ٣٢٨هـ(٣)

---

(١) محمد أبو زهرة الإمام الصادق ص ٣١٠ .

(٢) المرجع السابق ٣١٥ .

(٣) ابن طاووس : اليقين في إمرة أمير المؤمنين ص٧٩ ، رضا كحاله : معجم المؤلفين ج١ ص١٢٠.

ومن أمثلة ما نقله عنه كتاب السيرة في القرن السابع ، ما جاء عند ابن طاووس في كتابه (اليقين في إمرة أمير المؤمنين) ، فقد أورد قوله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى** ﴾(١) ،(وعلي أمير المؤمنين) ، ونسب إلى النبي ﷺ قوله لعلي : (أنت الذي احتج الله بك في ابتداء الخلق ، حيث أقامهم فقال : ألست بربكم ؟! فقالوا (بلى) ، (ومحمد رسول الله) .

فقالوا جميعاً : (بلى) ، فقال (وعلى أمير المؤمنين) فقالوا جميعاً : (لا استكبار)(٢) .

وقد جاءت الآثار بتفسير هذه الآية بعيداً عما أورده ابن طاووس ، فالأمر إخبار من الله تعالى ، أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم ، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ، ومكلفهم ، وأن لا إله إلا هو ، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه وقد ذكر ابن كثير رحمه الله أحاديث كثيرة تدل على المعنى الذي أورده في تفسير هذه الآية ، وتختلف درجة صحتها ، وفيها ما هو صحيح (٣).

ومن الأمثلة أيضا ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ **ذو مرة فاستوى** ﴾ إلى قوله : ﴿ **إذ يغشى السدرة ما يغشى** ﴾(٤)، فقد نسبوا إلى النبي ﷺ قوله : إن الله قال : يامحمد قلت ربي وسيدي وإلهي ، قال أسألك عما أنا أعلم به منك ، من خلفت في الأرض بعدك ، فقلت : خير أهلها ، أخي وابن عمي وناصر دينك يارب والغاضب لمحارمك إذا استحلت ، ولنبيك عصت عصت ، اللهم إذا جدل علي بن أبي طالب ، قال : صدقت يامحمد إني اصطفيتك بالنبوة وبعثتك بالرسالة ، وامتحنت علياً بالبلاغ والشهادة إلى أمتك ، وجعلته حجة في الأرض معك وبعدك ، وهو نور أوليائي وولي من أطاعني ، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين ، يا محمد ،

---

(١) سورة الأعراف آية (١٧٢) .

(٢) اليقين في إمرة أمير المؤمنين ص ٨٠،٨١ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج٧ص٣١٤،٣١٥، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٦٢،٢٦٣ .

(٤) سورة النجم من آية ٦ إلى آية ١٣ .

وزوجتك فاطمة ، وأنه وصيك ووارثك ووزيرك ، وغاسل عورتك وناصر دينك ، المقتول على سنتي وسنتك ، يقتله شقي هذه الأمة)(١).

لقد تحدث المفسرون عن هذه الآيات ، ولم يرد عندهم أي حديث يشير إلى مخاطبة النبي ﷺ لربه ، فضلاً عن أن يكون الحديث لتحقيق مكانة لعلي رضي الله عنه .

ومما جاء من نصوص حول الرؤية ما رواه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ، قال : (قلت لأبي ذر ، لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته ، قال : ما كنت تسأله ؟ ، قال : كنت أسأله هل رأى ربه عزوجل ؟ ، فقال : إني قد سألته فقال : قد رأيته نور أنى أراه) رواه الإمام مسلم (٢).

وجاءت أحاديث أخرى حول رؤية النبي ﷺ لجبريل على صورته التي خلقه الله عليها .

وقال ابن طاووس عن الحجام في تفسير سورة التحريم أنه روى بأسانيده أن رسول الله ﷺ عرّف أصحاب أمير المؤمنين مرتين ، أنه قال لهم أتدرون من وليكم بعدي ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال فإن الله عزوجل قد قال : ﴿ **فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين** ﴾ الآية يعني أمير المؤمنين(٣) .

وقال ابن كثير : (إن الحديث الذي فسر قوله تعالى : ﴿ **وصالح المؤمنين** ﴾ الآية المراد به علي بن أبي طالب إسناده ضعيف ، وهو منكر جداً ، ومع أنه قيل ، إن المراد بصالح المؤمنين أبوبكر وعمر لأنهما أبوى عائشة وحفصة ، وقد كانا عوناً له عليهما ، وقيل غير ذلك(٤)، إلا أنه لم يرد عند أحد القول ، أن المراد به علي أمير المؤمنين .

---

(١) ابن طاووس : اليقين في إمرة أمير المؤمنين ص٨٩،٩٠ .

(٢) صحيح مسلم :ج١ ص١٦١ ؛ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج١٧ ص٩٤،٩٥ ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج٤ص ٢٥٣ .

(٣) ابن طاووس : اليقين في إمرة أمير المؤمنين ص٩١،٩٢ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج١٨ص١٨٨،١٨٩، أبن كثير تفسير القرآن العظيم ج٤ص٣٩٠ .

وهناك شواهد كثيرة أخرى مما نقل عن المفسر الحجام في كتب السيرة عند الشيعة(١) .

وممن أعتمد عليه كتاب السيرة من الشيعة :

أبو إسحاق الثعلبي :

وهو أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي (ت٤٢٧هـ) من مصنفاته (الكشف والبيان في تفسير القرآن) ، وله كتاب العرايس في قصص الأنبياء) .

قال ابن كثير عنه : (كان كثير الحديث ، واسع السماع ، ولهذا يوجد في كتبه الغرائب)(٢)، وقال عنه ابن تيمية : (ليس من أهل العلم بالحديث) ، وقال أيضاً (وما رواه الثعلبي لا يدل على أنه صحيح باتفاق)(٣).

ومن أمثلة ما نقل عنه : ما ورد عند أحمد بن موسى بن طاووس في كتابه (بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية) في أن المراد بقوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه** ﴾(٤) وهو علي بن أبي طالب ، لكن جمهور المفسرين يرون أنها نزلت في صهيب بن سنان الرومي(٥) لما أسلم بمكة وأراد الهجرة فمنعه كفار مكة أن يهاجر بماله فأعطاهم ماله ، وهاجر بنفسه ، فنزلت هذه الآية(٦) ، وعند قوله تعالى : ﴿ **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى** ﴾(٧)، نقل صاحب (المقالة الفاطمية) عن الثعلبي أنها

(١) أنظر كتاب اليقين في إمرة أمير المؤمنين من ص ٧٩ إلى ٨٣، و٨٧ ، ٨٨، و٩٠،٩٢ ، وص١٨٩ .

(٢) البداية والنهاية : ج١٢ص٤٠ .

(٣) منهاج السنة : ج٢ ص٢٤٧، ج٧ ص٣٥ .

(٤) سورة البقرة آية (٢٠٧) .

(٥) هو صهيب بن سنان بن مالك النمري ، من أوائل من أسلم في مكة ، شهد بدر وأحد والمشاهد كلها مع النبي ﷺ ، (ت سنة ٣٨هـ) بالمدينة المنورة (ابن الأثير : أسد الغابة ج٣ص٣٠ألى ٣٣ .

(٦) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج٣ص٢٠ ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج١ص٤٨ .

(٧) سورة الليل الأيات ٥،٦،٧ .

نزلت في أبي الدحداح[١] ، لكن المشهور أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه ، وقد نقل ابن كثير القول بإجماع المفسرين على ذلك وقال : (أنه لاشك داخل فيها ، وأولى الأمة بعمومها ، فإن لفظها لفظ عموم ، لكنه يعني أبابكر مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف ، وسائر الأوصاف الحميدة فإنه كان صديقاً تقياً كريماً)[٢]، أما الذي نزل في أبي الدحداح فكان في سورة البقرة[٣] عند قوله تعالى : ﴿ **من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً** ﴾[٤] .

وهنا يظهر جلياً حرص ابن طاووس على صرف سبب نزول هذه الآية عن أبي بكر إلى غيره ، حتى لا يبقى له فضيلة ، يذكر بها ومع هذا الإجماع إلا أن ابن طاووس رفضه .

وعند قوله تعالى : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾[٥] أورد في (المقالة الفاطمية) ما رواه الثعلبي من أن رسول الله ﷺ لما نزلت تلك الآية جمع عشيرته فقال : يابني عبدالمطلب أنا النذير إليكم من الله ، والبشير لما يجيء به أحد ، جئتكم بالدنيا والآخرة ، فأسلموا وأطيعوني تهتدوا ، ومن يؤاخيني ويؤازرني يكن وليي ووصيي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني ، سكت القوم ، وأعاد ذلك ثلاثاً ، وفي كل ذلك يسكت القوم ويقول علي : أنا ، فقال : أنت ، فقام القوم وهو يقولون لأبي طالب أطع ابنك فقد أمّر عليك[٦] .

---

(١) أبو الدحداح : هو ثابت بن الدحداح بن نعيم بن نجيم بن إياس الأنصاري ، مات سنة ٦ من الهجرة ، ابن عبدالبر : الاستيعاب ج١ص٢٠٣ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٥٢٢ ، القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج٢٠ص٩٠ .

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٠٠ .

(٤) سورة البقرة ، آية (٢٤٥) .

(٥) سورة الشعراء آية (٢١٤) .

(٦) أحمد بن طاووس : بناء المقالة الفاطمية ص٥٦،٥٧ .

هذه الرواية تفرد بها عبدالغفار بن القاسم بن أبي مريم ، (وقال عنه ابن كثير متروك كذاب شيعي ، اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث ، وضعفه الأئمة رحمهم الله)(١) .

والصحيح المشهور أنه ﷺ صعد الصفا ثم نادى فاجتمع الناس حوله ثم ناداهم يابني المطلب ، يابني فهر يا بني لؤي ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ قالوا : نعم ، قال : إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ، أما دعوتنا إلا لهذا ؟! وأنزل الله(٢) ﴿ **تبت يدا أبي لهب وتب** ﴾(٣) .

وقد نقل مؤلف كتاب بناء المقالة الفاطمية غالب استشهاده في تفسير الآيات من أقوال الثعلبي(٤) .

ومن الذين نقل عنهم الشيعة :

الواحـــدي :

وهو علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي ، مفسر (ت ٤٦٨هـ) وهو صاحب التفاسير الثلاثة : البسيط والوسيط والوجيز ، وله أيضاً (أسباب النزول والتمييز في شرح الأسماء الحسنى) ، وقد شرح ديوان المتنبي ، قال ابن خلكان عنه : (قد رزق السعادة في تصانيفه ، وأجمع الناس على حسنها ، وذكرها المدرسون في دروسهم ، وأخذ التفسير عن الثعلبي)(٥) ، وقال ابن تيمية : (أن في تفسير الثعلبي والواحدي من الكذب ما يعلم ، ولهذا فالشيعة يروون منهما)(٦) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج٣ص٣٥٢،٣٥٣ .

(٢) أبن كثير : تفسير القرآن العظيم ج٤ص ٣٤٩،٣٥٠ .

(٣) سورة المسد آية (١) .

(٤) يراجع صفحات ٦٨، ٧٣، ٧٥،١٠١،١٠٢، ١٠٣،١١٠،١١٧،١١٩،١٢٠،١٢٢،١٢٣،١٢٨، ١٣٩ .

(٥) ابن خلكان : ج٣ ص٣٠٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ص ١١٤ .

(٦) منهاج السنة ج٧ص٣٥٥ .

وقد نقل من تفسير الواحدي كل من الأربيلي في كتابه (كشف الغمة في معرفة الأئمة)(١) ، وأحمد بن موسى بن طاووس في كتابه (بناء المقالة الفاطمية)(٢).

ومما نقلوا عن الواحدي : (أن علياً والعباس وطلحة بن شيبة افتخروا فقال طلحة : أنا صاحب البيت بيدي مفاتيحه ، قال العباس : أنا صاحب السقاية والقائم عليها ، وقال علي عليه السلام : ما أدري ما تقولون ، لقد صليت ستة أشهر قبل الناس ، وأنا صاحب الجهاد(٣) ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله** ﴾(٤) .

ونقل ابن كثير عدة روايات لسبب نزول هذه الآية ، وجاءت عند الواحدي جميعها ، منها هذه الرواية التي اختارها الأربيلي وفيها ابن لهيعة وهو معروف بضعفه .

ومما أورده ابن كثير ما جاء عن ابن عباس : أن المشركين قالوا : عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد ، وكانوا يفتخرون بالحرم ويستكبرونه ، من أجل أنهم أهله وعماره ، فذكر الله استكبارهم وإعراضهم إلى أن قال(٥) ﴿ **لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ الآية .

---

(١) يراجع صفحات ١٨٠،١٨١ .

(٢) يراجع صفحات ٣٨،١١٩،١٢١،١٢٦ .

(٣) الأربيلي : ١٨١، والواحدي : علي بن أحمد : أسباب النزول ج١ ص١٦٨- دار الهلال - بيروت ١٩٨٥م .

(٤) سورة التوبة آية (١٩) .

(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٣٤٢ .

الاستدلال بالضعيف والموضوع من السنة وتحريف معانيها :

ومن المصادر التي اعتمد عليها كتاب السيرة الشيعة في القرن السابع الهجري السنة النبوية ، فيعدلون عن الصحيح إلى الضعيف والموضوع فيأخذونه ، وهم يعتبرون السنة قول الرسول ﷺ وقول أئمتهم ، والإمام عندهم معصوم كلامه ، وحجة مثل كلام الرسول ﷺ ، وأنه يتحدث عن النبي وعن الله كما يتحدث الرسول ، لكن الوحي لا ينزل عليه ، وهو معهم في كل ما يقول ومعصوم في كل ما يفعل .

والمتواتر عندهم لا يشترط فيه اتصال السند لأن التواتر كالأحداث العظام التي يتناقلها الناس من غير مراعاة للإسناد المتصل(١)، كما أن جمهورهم يقول بحجية خبر الآحاد(٢) .

وقد جاؤا بأحاديث بسندها إلى النبي ﷺ ، وذلك من خلال كتابتهم لأحداث السيرة النبوية ، تدعم رأيهم ومعتقدهم في الأحاديث التي يتناولونها ، وينقلون بعض الروايات عمن يعتقدون ميول الناس له ، لأنه يحسب على أهل السنة لكنه لا يمحص الروايات التي يذكرها ، فجاء استشهاد الشيعة بها ، ومما جاء في ذلك : (ما قاله أحمد بن موسى بن طاووس (إذ قد روى غيرنا ممن لا يتهم) ، (ونقول أن أبا نعيم الحافظ ليس من عداد الإمامية))(٣) .

ونعرض الآن لبعض من اعتمده الشيعة في كتابتهم للسيرة النبوية :

١ - الأصبهاني :

هو أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، له عدد من المصنفات منها (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) و (دلائل النبوة) و طبقات المحدثين والرواه)(٤) .

---

(١) محمد أبو زهرة : الإمام الصادق ص ٣٦٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٧٦ .

(٣) بناء المقالة الفاطمية ص ١٠٩،١٢٣ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ص ٤٥ .

نقل الذهبي عن الخطيب قوله : رأيت لأبي نعيم أشياء يتساهل فيها ، منها أنه يطلق في الإجازة أخبرنا ولا يتبين ، وقال الذهبي : (هو مذهب ارتضاه وهو ضربان من التدليس) ، وقال أيضا : (أن كلام ابن منده بالأصبهاني كلام أقران)(١) .

وقال ابن تيمية : (أما مجرد العزو إلى أبي نعيم فليس حجة بالاتفاق ، وله كتاب مشهور في فضائل الصحابة ، وقد ذكر قطعة من الفضائل في الحلية ، فإذا كانوا يحتجون بما رواه يعني الشيعة ، فقد روى في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان ما ينقض ويهدم أركانهم ، وإن كانوا لا يحتجون بما رواه فلا يعتمدون على نقله بل يرجع إلى أهل العلم بهذا الفن والطرق التي يعلم بها صدق الحديث وكذبه)(٢) .

وقال في موضع آخر : (ومجرد عزو الرواية إلى أبي نعيم لا تفيد الصحة باتفاق الناس ، علماء السنة والشيعة ، وأبو نعيم روى كثيراً من الأحاديث التي هي ضعيفة بل موضوعة باتفاق علماء الحديث)(٣) .

وقد نقل منه أحمد بن جعفر بن طاووس في كتابه (بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية)(٤)، كما نقل منه علي بن موسى بن طاووس في كتابه (اليقين في إمرة أمير المؤمنين)(٥) .

٢ - المغازلي :

وهو أبو الحسن ، أو أبو محمد ، علي بن محمد بن محمد الطيب الشافعي الواسطي ثم البغدادي الشهير بالمغازلي (ت٤٨٣هـ) له كتاب (مناقب علي بن أبي طالب)(٦) .

---

(١) ميزان الاعتدال ج١ ص١١٨ .

(٢)منهاج السنة ج٧ ص١٩٥ .

(٣) منهاج السنة ج٧ ص٢٩٥ .

(٤) راجع على سبيل المثال الصفحات :١٠٧،١١٠،١٢٣،١٢٥،١٤٤ .

(٥) راجع الصفحات ٩٣،١٨٦ .

(٦) السمعاني : الأنساب ص ١٤٦ .

قال عنه ابن تيمية : (ليس من أهل الحديث ، وهو من جامعي العلم الذين يذكرون ما غالبه حق وبعضه باطل ، بل لم يكن الحديث صنعته ، فعمد إلى ما وجده في كتب الناس من فضائل علي فجمعها وهو لا يعرف الحديث ، وهو يروي ما جمعه من الأكاذيب الموضوعة مالا يخفى على أنه كذب على أقل علماء الحديث)(١) .

وممن أخذ عنه ابن طاووس صاحب (بناء المقالة الفاطمية)(٢) ، وشاذان بن جبرائيل في كتابه (الفضائل)(٣) .

٣ ـ الموفق المكي :

هو الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي أبو المؤيد ، صنف كتاب في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة ، وكتاب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، كان فقيهاً أديباً له خطب وشعر ، أخذ العربية عن الزمخشري بخوارزم وتولى الخطابة بجامعها (ت ٥٦٨هـ)(٤) .

قال عنه ابن تيمية : (ما رواه خطيب خوارزم ليس بحجة ، باتفاق أهل العلم في مسألة الفروع فكيف بمسألة الإمامة) ، وقال عنه أيضاً : (إنه من أروى الناس للمكذوبات وليس هو من أهل العلم بالحديث)(٥) .

ومع هذا التقويم له فإن الشيعة قد وضعته في منزلة عالية وأصبحت تنقل عنه ، وممن نقل عنه أحمد بن طاووس في كتابه (بناء المقالة الفاطمية)(٦) ، وعلى بن

---

(١) منهاج السنة ج٧ ص٦٢ .

(٢) راجع على سبيل المثال الصفحات :٤٩،١٠٣،١٤٧،١٥٢،٢٢٣ .

(٣) أنظر ص ١٢٩ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٥ص٣٧٠،٣٧١، الزركلي : الأعلام ج٧ ص٣٣٣ .

(٥) منهاج السنة ج ٧ ص٣٥٥ .

(٦) يراجع على سبيل المثال الصفحات ١٠٩،١١٠،١٧٣،١٨٣،٢٢١،٢٢،٢٢٣ .

عيسى الأربيلي في كتابه : (كشف الغمة في معرفة الأئمة)(١)، وعلي بن طاووس في كتابه (اليقين)(٢) .

٤ - الإمام أحمد بن حنبل :

هو أحمد بن حنبل الشيباني ، ولد رحمه الله سنة ١٦٤هـ وقد بلغ عدد شيوخه الذين روى عنهم المسند مائتين وثلاثة وثمانين رجلاً ، وقد روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وولداه صالح وعبدالله(٣)، وقد ابتلي رحمه الله بفتنة القول بخلق القرآن ، فصبر وصابر حتى قمع الله به شر هذه البدعة ، توفي سنة ٢٤١هـ(٤) .

ونقل عنه بعض كتاب السيرة من الشيعة أحاديث كثيرة حول فضائل علي (رضي الله عنه) ، مما يوهم الناس بصحتها واعتقادها لنسبتها إلى هذا الإمام الكبير .

وقال ابن تيمية رحمه الله : (أما عزو الرواية إلى مسند الإمام أحمد فغير صحيح فللإمام أحمد كتاب مشهور في فضائل الصحابة روى منه أحاديث لا يرويها في المسند لما فيها من الضعف ، لكونها لا تصلح ، ولكونها مراسيل أو ضعاف بغير الإرسال(٥)) .

---

(١) يراجع على سبيل المثال الصفحات ٣٤٦،٣٤٧،٣٤٨ .

(٢) يراجع على سبيل المثال من ص ٢٠، إلى ص ٢٦ .

(٣) صالح بن أحمد بن حنبل ، ولد في بغداد ، وتفقه على أبيه ، حدث عنه ابنه زهير وجماعة ت ٢٦٦هـ ، الذهبي سير أعلام النبلاء ج١٢ ص٥٢٩،٥٣٠، وعبدالله بن أحمد بن حنبل روى عن أبيه المسند وغيره وحدث عنه جمع كثير ت ٢٩٠هـ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٣ ص٥١٦ ، ٥٢٦ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٠ ص٣٢٥ إلى ص٣٤٣ .

(٥) ابن تيمية : منهاج السنة : ج٧ ص ٣٩٩ .

وقال أيضاً رحمه الله : (ثم أن هذا الكتاب زاد فيه ابنه عبدالله ، ثم أن القطيعي[١] ، الذي رواه عن ابنه عبدالله زاد عن شيوخه زيادات ، فيها أحاديث موضوعة باتفاق أهل المعرفة ، ولجهل الشيعة بهذا فهم ينقلون عن هذا المصنف وينسبون إلى المسند)[٢] .

وهو ما حشوا به كتبهم من أحاديث مسندة ينسبوها إلى مسند الإمام أحمد .

وممن نقل عنه ابن طاووس في كتابه بناء المقالة الفاطمية[٣]، والأربيلي في كتابه كشف الغمة في معرفة الأئمة[٤] .

اختيار الروايات والآراء التي تتفق مع هدفهم من كتب المغازي والتراجم :

من مصادر الشيعة في كتاباتهم للسيرة النبوية في هذا القرن كتب المغازي والتراجم لكن اعتمادهم على تلك الكتب كان محدوداً ، ولعل رغبتهم في روايات خاصة تخدم غرضهم في الكتابة حالت دون استفادتهم من هذا المصدر ، الهام ، الاستفادة المرجوة .

ومن أهم الكتب التي نقلوا عنها : كتاب المغازي للواقدي ، وسيأتي الحديث عنه لاحقاً ، وأما الآخر فكتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر ، وقد نقل عنه أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس في كتابه بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية في مواضع متعددة[٥] .

فقد وظف ابن طاووس الروايات الواردة عند ابن عبدالبر لخدمة هدفه ، ومن ذلك أنه أوحى للقارئ أن الوارد والثابت هو القول بأن علياً (رضي الله عنه) هو

---

(١) القطيعي : هو أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك ت٣٦٨هـ ، له زيادات على كتاب فضائل الصحابة ، الخطيب : تاريخ بغداد ج٤ ص٧٣،٧٤ . مطبعة السعادة ١٣٤٩هـ ، الأعلام ج١ ص١٠٣ .

(٢) منهاج السنة ج٧ص٣٩٩،٤٠٠ .

(٣) أنظر الصفحات ١٤١،١٤٦،١٤٨،١٥٢،٣٣٧ .

(٤) أنظر ص ٣٤٥ .

(٥) انظر على سبيل المثال الصفحات : ٢٧،٥٩،٩١،١٠٥،١١٥،١٤٥ .

أول من أسلم مع الخلاف الذي ذكره ابن عبدالبر[١] ، واعتمد على حديث موضوع ذكره ابن عبدالبر هو (أنا مدينة العلم وعلي بابها)[٢] لتأكيد منزلة علي (رضي الله عنه) .

الواقــــدي :

هو أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي ، ولد بالمدينة سنة ١٣٠هـ ، وأخذ العلم من صغار التابعين ومن بعدهم ، وعاش بقية حياته في كنف البرامكـة ، فولي القضاء حتى وفاته سنة ٢٠٧هـ .

خلف تركة علمية كبيرة ، من أهمها كتاب التاريخ والمغازي وأخبار مكة ، وغزوات الشام والعراق ، تتلمذ عليه جمع من طلاب العلم من أشهرهم كاتبه ابن سعد .

قال الذهبي بعد أن سرد أقوال العلماء فيه : (الواقدي ضعيف ، يحتاج إليه في المغازي والتاريخ)[٣] .

وقد اعتمده الشيعة في هذا القرن أكثر من غيره من أصحاب المغازي ، ولعل دعوى تشيعه بما ظهر من رواياته كانت وراء ذلك ، فأصبح كتابه المغازي من أشهر مصادرهم ، وممن نقل عنه شاذان بن جبريل في كتابه الفضائل[٤] ، فقد نقل روايات عدة سمتها الخرافة والبعد عن الواقعية ، ونقل عنه الأربيلي في كتابه كشف الغمة[٥] .

---

(١) ابن عبدالبر : الاستيعاب ج٣ ص١٠٨٩ إلى ص ١٠٩٥ .

(٢) ابن عبدالبر : الاستيعاب ج٣ ص١١٠٢، والشوكاني : جواب على معنى حديث (أنا مدينة العلم وعلي بابها) ص٢١ ، وقد أثبت المحقق محمد صبحي الحلاق بعد تحقيقه للحديث أنه موضوع .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٩ ص٤٠٤ إلى ٤٦٩، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص٥٠٦، ابن النديم : الفهرست ص ١١١ .

(٤) أنظر صفحات من ١٩، ألى٢٨ ومن ٣٠ إلى ٣٣ .

(٥) أنظر صفحات ١٨١ وعند الواقدي ج١ ص ١٥٢ وص ١٨٨ وص ٢٤٠ .

نسبة مرويات وأقوال لأئمتهم :

من الملاحظ على كتب الشيعة الخاصة بالسيرة النبوية في هذا القرن ، نسبتهم لكثير من الروايات والأقوال إلى أئمتهم والاستشهاد بها عند الحاجة .

وقد تبين لنا قلة اعتمادهم على كتب المغازي والسير المختصة في هذا الجانب مع أنه كان ميداناً واسعاً سينفع الشيعة بدراستهم لأحداث السيرة النبوية لخدمة معتقدهم ، ولعل مرد هذا إلى أمرين :

الأول : أن كلام الإمام عندهم مثل كلام الرسول ﷺ لا يختلف عنه بل هو يتحدث عن الرسول وعن الله ، غير أن الوحي لا ينزل عليه .

الثاني : أن خبر الواحد عندهم حجة إذا كان راويه إمامياً ، ورواه عن أئمتهم(١)ومن هذا المنطلق جاءت كتبهم في السيرة تزخر بأقوال أئمتهم أو مروياتهم وفق منطلقهم ومعتقدهم ، ومن أكثر من نسبوا إليه مرويات وأقوال :

١ - أبو جعفر الباقر :

هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ولد سنة ٥٦هـ ، وروى عن أبيه وجابر بن عبدالله وأبي سعيد الخدري وابن عمر وغيرهم ، وكان سيد بني هاشم في عهده ، عده النسائي من فقهاء التابعين (ت سنة ١١٧هـ)(٢) .

وممن نقل رواياته وأقواله من الشيعة – كتاب السيرة النبوية – الطبرسي في كتابه (الاحتجاج)(٣) ، وشاذان بن جبرائيل في كتابه الفضائل(٤)، والإربيلي في كتابه (كشف الغمة)(٥) .

٢ - جعفر الصادق :

هو أبو عبدالله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين

---

(١) محمد أبو زهرة : الإمام الصادق ص ٣٦٢، ٣٧٤ .

(٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج١ ص ١٢٤ ،١٢٥ ، العبر : ج١ ص١٠٩ .

(٣) أنظر صفحات ٦٨،٤٨،٨٤،٨٥ .

(٤) أنظر صفحات ١٦٥،١٧٠ .

(٥) أنظر ص١٤ .

بن علي بن أبي طالب ، ولد سنة ٨٠هـ ويعده الشيعة الإمامية أحد أئمتهم الأثناء عشرية ، لقب بالصادق لصدق مقالته وفضله ، واشتهر بورعه ، وقد نسب الشيعة إليه عدداً من الكتب هي : الجفر ، والبطانة ، واختلاف الأعضاء ، وجدول الهلال ، وأحكام الرعود والبرق ، والهفت ، ومنافع سور القرآن ، وقراءة القرآن في المنام .

يقول ابن تيمية رحمه الله : (ما كذب على أحد ما كذب على الصادق)[١] ، (ت ١٤٨هـ) بالمدينة ودفن بها[٢] .

وممن نسب له أو روى عنه الطبرسي في كتابه (الاحتجاج)[٣] ، وشاذان بن جبرائيل في كتابه (الفضائل)[٤]، وعلي بن موسى بن طاووس في كتابه (اليقين)[٥]، وعلي بن الوليد في كتابه (دامغ الباطل وحتف المناضل)[٦] .

٣ ـ علي الرضا :

هو أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ، ولد سنة (١٥٣هـ) بالمدينة ، وهو أحد الأئمة الاثنى عشر عند الشيعة ، وقد قربه المأمون الخليفة العباسي وأسند إليه ولاية العهد ، ت سنة ٢٠٣هـ [٧] .

٤ ـ محمد بن علي :

هو محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، ولد سنة ١٩٥هـ ، كان يروي أحاديث ، سنداً عن آبائه إلى علي رضي الله عنه ، وهو أحد الأئمة الاثنى عشر ، ت ٢٢٠هـ ببغداد[٨] .

---

(١) منهاج السنة ج١ ص٤٦٤ .

(٢) ابن خلكان ج١ ص ٣٢٧، ٣٢٨، الذهبي : العبر ج١ ص١٦٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج١٠ص١٥ .

(٣) أنظر صفحات من ١٤ إلى ص٢٤ ،وص٨٤ .

(٤) أنظر صفحات ١٣١، ١٨٢،١٥٤ .

(٥) أنظر ص ٤٦،٣٧،١٦ .

(٦) أنظر ج٢ ص ٣٨٠،٣٧٨،٣٧٠،٣٦٨ .

(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٣ص ٢٦٩-٢٧١ .

(٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٤ ص١٧٥.

وممن نسب إليه روايات وأفعال وأقوال الطبرسي في كتابه الاحتجاج(١) .

٥ - أبو الحسن العسكري :

هو علي بن الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا ، ولد سنة ٢١٣هـ ، وهو أحد الأئمة الاثنى عشر عند الأمامية ، كان فقيهاً متعبداً توفي بسامرا سنة ٢٥٤هـ(٢) ، وقد نسب إليه روايات وأقوال كل من الطبرسي في كتابه الاحتجاج (٣)، وشاذان(٤) بن جبرائيل في كتابه الفضائل وعلي بن موسى بن طاووس في كتابه اليقين(٥) .

مصادر متنوعة لبعض مصنفيهم :

لقد اعتمد كتاب السيرة من الشيعة في معرض حديثهم عن أحوال المصطفى ﷺ ، بالإضافة إلى ما سبق الحديث عنه ، على كتب لبعض مصنفي منهجهم والذين يسيرون وفق مسارهم ويعتقدون معتقدهم ، وقد أفردت الحديث عنهم لأن الكتب التي اعتمدت عليها لا تنضوي تحت فن خاص بل هي متعددة المواضيع ومتنوعة في العناوين ، ومن أهم من اعتمد عليه من أصحاب هذه المصادر :

١ - إبراهيم الثقفي :

وهو إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي ، محدث ، مؤرخ ، فقيه من الشيعة الإمامية ، من مصنفاته المغازي ، والجامع الكبير في الفقه ، وفضل

---

(١) أنظر صفحات ٤٨،٦٨،٨٤،٨٥ .

(٢) ابن خلكان : ج٣ص٢٧٢، الذهبي : العبر ج١ ص٣٦٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج١٠ص٥ .

(٣) النظر صفحات : ١٤،١٥،٢٦،٤٦،٤٧، ومن ٥٩إلى ٦٦ .

(٤) أنظر ص ١٧١ .

(٥) أنظر ص ٩٩ .

الكوفة ومن نزل بها من الصحابة ، والإمامة ، وكتاب المعرفة ، ت ٢٨٣هـ(١)، وكتابه المعرفة هو الذي نقل منه علي بن موسى بن طاووس في كتابه اليقين(٢).

٢ ـ محمد بن أبي الثلج :

هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله المعروف بأبي الثلج ، محدث ، مؤرخ ، ت ٣٢٥هـ ، من تصانيفه : تاريخ الأئمة ، وأخبار النساء الحمدوات ، وأخبار فاطمة والحسن والحسين ، وكتاب التنزيل(٣) وهو الذي نقل منه ابن طاووس في كتاب اليقين(٤) .

٣ ـ محمد الطبري :

هو محمد بن جرير بن رستم بن جرير الطبري الآملي ، من علماء الإمامية ت ٣١٠هـ ، من مصنفاته المسترشد في الإمامية ، ودلائل الإمامة الواضحة ، ومناقب فاطمة وولدها ، ونور المعجزات في مناقب الأئمة الاثنى عشر والرواة عن أهل البيت(٥)، نقل ابن طاووس من كتابيه المناقب(٦)، والدلائل(٧) .

٤ ـ أحمد الطبري :

هو أحمد بن محمد الطبري الآملي الخليلي ، ويقال له غلام خليل أبو عبدالله سكن بغداد وحدث بها ، من مؤلفاته : الوصول إلى معرفة الأصول ، وكتاب الكشف ، وفضائل أمير المؤمنين عليه السلام(٨)، وهو الكتاب الذي نقل منه ابن طاووس في كتابه اليقين(٩) .

---

(١) علي بن موسى بن طاووس : اليقين في إمرة أمير المؤمنين ص ٣٨، ورضا كحاله ج١ص٩٥ .

(٢) أنظر صفحات : ٣٨،٣٩،٤٠،٤١،٤٢،٤٣،٤٤ .

(٣) ابن طاووس : اليقين في إمرة أمير المؤمنين ص ٤٥، كحالة : معجم المؤلفين ج٩ص٩ .

(٤) أنظر ص ٤٥،٤٦،٤٧ .

(٥) كحالة : معجم المؤلفين ج٩ ص٤٤،١٤٧ .

(٦) انظر ص ٤٧،٤٨،٤٩ .

(٧) أنظر ص ٥٠ .

(٨) رضا كحالة : معجم المؤلفين ج٢ص١١٣ .

(٩) أنظر ص ٩٧،٩٨،٩٩،١٠٨،١٢٠ .

المبحث الخامس :

منهج استخدام المصادر

أ ـ طرق ذكر المصادر .

– ذكر اسم المؤلف .

– ذكر اسم الكتاب .

– ذكر اسم المؤلف والكتاب .

ب ـ طرق النقل من المصادر .

جـ ـ الإشارة إلى مواضع النقل .

د ـ المفاضلة بين المصادر .

طرق ذكر المصادر :

لم يكن هناك منهج يسار عليه في طريقة ذكر المصادر عند المؤرخين من المسلمين ، ولهذا نجد الاختلاف بينهم في ذلك كثير ، وأما كتاب السيرة في هذا القرن فالتباين بينهم في هذا الأمر واضح ، ولم يكن للاتجاه والمعتقد دور في تحديد طريقة يسار عليها في ذكر المصادر ، ولهذا نجد الاختلاف بين أصحاب الاتجاه الواحد .

وأما الطرق التي كاد الجميع أن يتفقوا عليها في ذكرهم لمصادرهم فهي :

١ ـ ذكر اسم المؤلف :

٢ ـ ذكر اسم الكتاب .

٣ ـ ذكر اسم المؤلف والكتاب .

٤ ـ السماع .

ذكر اسم المؤلف عند كتاب أهل السنة :

ومن ذلك ما جاء عند الفتح بن موسى في كتابه الوصول إلى السول ، فقد قال :(قال : السهيلي رحمه الله[١]) (وقال القاضي عياض[٢]) .

وجاء عند الزملكاني في كتابه مولد الرسول ﷺ قوله : (روى ابن جرير الطبري[٣]) .

ويرد اسم المؤلف كاملاً ، ومن ذلك ما جاء عند الكلاعي في كتابه الاكتفاء فقد قال : (وذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري[٤]) .

وجاء عند ابن دحية قوله : (قال الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى السمعاني[٥]

---

(١) الفتح بن موسى المغربي : الوصول إلى السول ورقة ١٠٠ .

(٢) الفتح المغربي : الوصول إلى السول ورقة ٢٠٠ .

(٣) الزملكاني : مولد الرسول ﷺ ورقة (٣) .

(٤) الكلاعي : الاكتفاء ص ٤٧ .

(٥) ابن دحية : نهاية السول ورقة (٢٣) .

ذكر اسم المؤلف : عند كتاب الشيعة :

من الطرق التي تدل على المصدر عندهم ذكر اسم المؤلف ، ويأتي ذلك بصورتين احداهما ذكر الاسم كاملاً ، والأخرى ذكر الاسم مختصراً ، وقد جاء ذكر الاسم مختصراً عند ابن طاووس في كتابه بناء المقالة الفاطمية في مواضع متعددة ومن ذلك قوله :

(قال ابن عبدالبر(١)) و (قال أبو عمر(٢)) ، (وروى الواحدي بإسناده)(٣)، و(قال ابن السمعاني في كتابه(٤)) .

وجاء الاسم كاملاً عنده فيقول : (وروى محمد بن عمر الواقدي(٥)) .

وجاء ذكر الاسم كاملاً عند علي بن موسى بن جعفر في كتابه كشف المحجة لثمرة المهجة ، في مواضع متعددة ، ومن ذلك قوله :

(ورأيت في كتاب إبراهيم بن محمد الأشقري(٦)، و (وجدت في كتاب عبدالله بن حماد الأنصاري(٧) .

ذكر اسم المؤلف عن كتاب الصوفية :

وأما الصوفية فلهم منهج خاص باستخدامهم المصادر في كتاباتهم ، فلا نجد إشارة إلى اسم مؤلف أو كتاب من خلال تناولهم أحداث السيرة إلا في حالات محددة .

فذكر اسم المؤلف عندهم في حالات خاصة .

- ومن ذلك ما جاء عند ابن عربي في كتاب اختصار سيرة رسول الله ﷺ حيث

---

(١) ابن طاووس بناء المقالة الفاطمية ج١ ص ٢٧ .

(٢) ابن طاووس بناء المقالة الفاطمية ج١ ص٢٨ .

(٣) ابن طاووس بناء المقالة الفاطمية ج١ ص٣٨ .

(٤) ابن طاووس بناء المقالة الفاطمية ج١ ص ٤٣ .

(٥) ابن طاووس بناء المقالة الفاطمية ج١ ص٣٠٤ .

(٦) علي بن موسى : كشف المحجة ص ١٤٥ ، وإبراهيم الأشقر : فقيه شيعي له كتاب الثقة ، كحالة : معجم المؤلفين ج١ ص٨٦ .

(٧) علي بن موسى : كشف المحجة ص١٩ .

قال :(كذا قال ابن إسحاق [١]) وجاء عنده أيضاً (خرج مسلم[٢]) .

ذكر اسم المؤلف عند الفلاسفة وأهل الكلام :

ورد اسم المؤلف عند أحد كتابهم وهو الحسن بن علي القطان ، وذلك في كتابه الروضات البهية الوسيمة في الغزوات النبوية الكريمة ، حيث قال : (ذكر ابن إسحاق[٣]) ، (قال الواقدي [٤])(وقال الطبري[٥]) ، (وقال ابن حزم[٦])، وقد كان ذكر في مقدمته اعتماده على ابن إسحاق[٧]، إلا ما دعت له الحاجة ، فكرر ابن إسحاق ، وأضاف إليه عند الحاجة كلاً من الواقدي والطبري وابن حزم وابن هشام ، ولم يرد عنده ذكر لاسم الكتاب ولا اسم المؤلف والكتاب معاً .

أما الكتاب الآخر لهم ، فهو ما كتبه ابن النفيس وسماه الرسالة الكاملية في السيرة النبوية ، ونظراً للطريقة التي كتبه بها وهو صياغة السيرة النبوية وفق المنهج القصصي ، فلم يرد عنده ذكر لاسم مصدر أو مؤلف على الإطلاق .

ذكر اسم الكتاب عند أهل السنة :

ومن ذلك ما جاء عند الطبري في كتابه ذخائر العقبى قوله : (خرجه بهذا السياق صاحب كتاب فضائل أبي بكر[٨]رضي الله عنه)[٩] .

وعند التلمساني في كتابه الجوهرة قوله : (وكذا في الاستيعاب)[١٠] .

كما جاء عند الفتح بن موسى في كتابه الوصول إلى السول في نظم سيرة

---

(١) ابن عربي : اختصار سيرة الرسول ﷺ ص ٧٥ .

(٢) ابن عربي : اختصار سيرة الرسول ﷺ ص ١١٧ .

(٣) ابن القطان : الروضات البهية ورقة ٦٣ .

(٤) المصدر السابق : ورقة ٦٣ .

(٥) المصدر السابق ٢٣ .

(٦) المصدر السابق ورقة ١١٧،١٢٧ .

(٧) المصدر السابق ورقة ٢٠ .

(٨) هو أبو القاسم علي بن سليمان المقدسي ت ٦٨٤هـ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج٥ ص٣٨٩ .

(٩) الطبري : ذخائر العقبى ص ٥٦ .

(١٠) التلمساني : الجوهرة ص ٥٥ .

الرسول قوله : (وذكر صاحب جامع الأصول)(١) .

ذكر اسم الكتاب عند الشيعة :

وردت أسماء كتب متعددة عند عدد من مصنفي الشيعة في السيرة ، وذلك إشارة إلى المصدر الذي نقلت منه مادتهم العلمية ، وقد فعل ذلك الأربيلي في كتابه (كشف الغمة في معرفة الأئمة) في مواضع متعددة فقال :

(وعن أبي ذر من طريق أخرى من كتاب المناقب)(٢)، وقال أيضاً : (نقلت من كتاب تاريخ المواليد)(٣) .

وجاء عند ابن طاووس في كتابه العثمانية قوله : (قال صاحب الاستيعاب(٤) .

ذكر اسم الكتاب عند الصوفية :

جاء ذكر اسم الكتاب عند الصوفية في حال واحدة عند ابن عطاء السكندري ، في كتابه لطائف المنن حيث قال : (وروي هذا الحديث في صحيح مسلم(٥)) .

ذكر اسم المؤلف والكتاب عند أهل السنة :

جاء ذكر اسم المؤلف والكتاب عند كتاب السيرة من أهل السنة متعدد الحالات ، فأحياناً يذكر اسم المؤلف والكتاب كاملاً ، ومن ذلك قول ابن دحية في كتابه نهاية السول في خصائص الرسول (ذكر أبو القاسم(٦) بن بشكوال في كتاب النواقص والمبهمات(٧) .

---

(١) الفتح المغربي : الوصول إلى السول ورقة ٢٠٤ .

(٢) الأربيلي : كشف الغمة ج٢ص٣٤٤ .

(٣) الأربيلي : كشف الغمة ١٤ ، وصاحب كتاب المواليد هو عبدالله بن أحمد البغدادي اللغوي النحوي ت ٥٦٧ ت ببغداد ، الأربيلي : كشف الغمة ص١٤ حاشية (١)

(٤) ابن طاووس العثمانية ص ٩١،٥٨، وصاحب الاستيعاب هو ابن عبدالبر .

(٥) ابن عطاء السكندري : لطائف المنن ص١٧٢ .

(٦) أبو القاسم بن بشكوال خلف بن عبدالملك بن مسعود الأنصاري القرطبي ، محدث الأندلس ومؤرخها ت ٥٧٨هـ ، الذهبي : العبر ص٧٥ ، ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٦ ص٩٤ .

(٧) ابن دحية : نهاية السول ورقة (٥) .

وقل في موضع آخر : (وذكر كثيراً من القصة المحدث نسابة الأندلس أبو محمد عبدالله بن علي اللخمي[١] في كتابه المسمى باقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة رواة الآثار)[٢] .

وجاء عند الطبري في كتابه ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى قوله : (وذكر الإمام أبو بكر أحمد بن نصر الذراع[٣] في كتاب تاريخ مواليد أهل البيت)[٤] .

وجاء عند التلمساني في كتابه الجوهرة قوله : (قال أبو نعيم أحمد بن عبدالله ابن أحمد بن إسحاق الأصبهاني[٥] في كتابه رياض المتعلمين)[٦] .

وأحياناً يذكر أحدهما مختصراً أو الآخر كاملاً .

فمن ذكر الاسم كاملاً والكتاب مختصراً ما جاء عن الإمام ابن تيمية في كتابه الصارم المسلول ، قوله : (وروى محمد بن سعد في الطبقات)[٧] .

ومما جاء في ذكر الاسم مختصراً والكتاب كاملاً ، ما ذكره الطبري في كتابه ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى قوله : (قال ابن الذراع في مواليد أهل البيت)[٨] .

---

(١) أبو محمد عبدالله بن علي اللخمي من أهل أشبيلية كان فقيهاً فاضلاً ت ٤٧٨هـ ، ابن بشكوال الصلة ج١ ص٢٧٥ .

(٢) ابن دحية : نهاية السول ورقة (٦٠) .

(٣) أبو بكر أحمد بن نصر الذارع ، بغدادي مشهور ، قال عنه الدارقطني دجال ، (الذهبي : ميزان الاعتدال ج١ ص١٦١) .

(٤) الطبري : ذخائر العقبى ص ١٠٢ .

(٥) أحمد بن عبدالله الأصبهاني ، حافظ ، مؤرخ ، له عدد من المصنفات ، ولد ومات بأصبهان ت ٤٣٠هـ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص٢٦ ، الذهبي : ميزان الاعتدال ج١ ص ٥٢ .

(٦) التلمساني : الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة ج١ ص١٠٠ .

(٧) ابن تيمية : الصارم المسلول ص ١١٠ .

(٨) الطبري : ذخائر العقبى ص ٢٠٦ .

ذكر اسم المؤلف والكتاب عند كتاب الشيعة :

ورد اسم المؤلف وكتابه عند مصنفي الشيعة للسيرة في هذا القرن بصور متعددة فجاء اسم المؤلف والكتاب مختصراً عند الأربيلي في كتابه كشف الغمة في معرفة الأئمة ومن ذلك قوله :

(قال الواقدي في كتاب المغازي)[١] ، (وروى البيهقي في دلائل النبوة)[٢]، ونقل الواحدي في كتابه هذا ، يعني أسباب النزول)[٣] .

والصورة الأخرى أن يذكر اسم الكتاب والمؤلف كاملاً ، وممن ذكره ابن طاووس في كتابه (اليقين في إمرة أمير المؤمنين) ومن ذلك قوله : (فيما نذكره من كتاب المناقب للحافظ أحمد بن مردوية)[٤] .

وقوله : (فيما نذكره عن موفق بن محمد المكي الخوارزمي من كتاب المناقب)[٥] .

وقوله : (فيما نذكره من كتاب المعرفة لإبراهيم الثقفي)[٦] .

وقوله : (فيما نذكره من كتاب المناقب لمحمد بن جرير صاحب كتاب التاريخ)[٧] ، وقوله : (فيما نذكره من كتاب التنزيل تأليف الكاتب الثقة محمد بن أبي الثلج).

(روى الحافظ أبو محمد بن عبدالعزيز الجنابذي في كتاب معالم العترة النبوية)[٨]، وما جاء في كتاب كشف المحجة لثمرة المهجة لعلي بن موسى بن جعفر بقوله : (وقد ذكر الطبرسي أحمد بن علي بن أبي طالب في كتابه

---

(١) الأربيلي : كشف الغمة ج١ ص١٨١ .

(٢) الأربيلي : كشف الغمة ج١ ص١٣ .

(٣) الأربيلي : كشف الغمة ص ١٨٠ .

(٤) ابن طاووس : اليقين ص ١٠ .

(٥) ابن طاووس : اليقين ص ٢٢ .

(٦) ابن طاووس : اليقين في إمرة أمير المؤمنين ص ٤٣ .

(٧) ابن طاووس : اليقين في إمرة أمير المؤمنين ص ٤٧ .

(٨) ابن طاووس : اليقين في إمرة أمير المؤمنين ص ٤٦ .

الاحتجاج)[١] . وأما كتاب الصوفية فلم نجد عندهم شيئاً من ذلك .

السماع :

من طرق نقل المادة العلمية عند أهل السنة سماع الروايات مسندة ، ومن ذلك ما ذكره ابن دحية قوله : (وهو ما حدثني بن الشيخ الصالح أبو جعفر محمد بن أحمد ابن نصر سماعاً مني عليه بمنزله بمدينة أصبهان)[٢] .

ومن الرواية بالسماع ما ذكره الدمياطي في كتابه مختصر سيرة الرسول بقوله (قرأت بحلب على الحافظ ابن الحجاج يوسف بن خليل بن عبدالله الدمشقي قال : أخبرنا أبو محمد عبدالله بن دهبل بن علي بن مكار بغداد الخ ...) [٣] .

وجاء كتاب ابن عساكر الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين ، يروي غالب ما جاء به سماعاً من طريقين ، هما : أخبرنا أستاذي الإمام قطب الدين حجة الإسلام إمام الحرمين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري رحمه الله في جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، نا الشيخ الفقيه أبو حمد عبدالجبار بن محمد بن أحمد البيهقي ، نا أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي الحافظ) .

الطريقة الأخرى : هو من قبل عمه وله عدة طرق ومنها قوله :

(أخبرنا عمي الإمام العالم الفقيه ثقة الدين صدر الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي قدس الله روحه ، نا الثقة الفقيه الإمام أبو القاسم الفضل المغراوي الصاعدي النيسابوري ، نا أبوبكر البيهقي ، نا أبو عبدالله الحافظ ، نا أبو العباس محمد بن عثوب ، نا أحمد بن عبدالجبار ، نا يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني ابن أبي الأشعث الكندي ، من أهل الكوفة ، حدثني إسماعيل بن إياس بن عفيف ، عن جده عفيف أنه قال : تابعه إبراهيم بن سعيد ، عن محمد بن إسحاق وقال الحديث[٤] .

---

(١) الأربيلي : كشف الغمة ج١ ص١٩٧ .

(٢) ابن دحية : نهاية السول ورقة ٩٩ .

(٣) الدمياطي : مختصر سيرة الرسول ورقة ١٠ .

(٤) ابن عساكر : كتاب الأربعين ص ٨١ .

السماع عند الصوفية :

يلاحظ على كتاب الصوفية تأثرهم بمصطلح الشيخ ومريده ، ولهذا فغالب مادتهم العلمية الواردة في كتبهم مرويات لهم عن مشايخهم .

ومن ذلك ما جاء عند ابن عطاء السكندري ، حيث كثيراً ما يقول : (قال الشيخ(١)) ، (سمعت شيخنا أبا العباس(٢)) ، (وقال الشيخ أبو العباس(٣)) ، (وقال يوماً يعني الشيخ(٤))، (وأخبرني بعض أصحابه(٥)) .

وجاء عند السهروردي في كتاب عوارف المعارف قوله : (أخبرنا شيخنا أبو النجيب السهروردي)(٦)، و (خبرنا ضياء الدين عبدالوهاب)(٧) .

وجاء عند ابن عربي في كتابه اختصار سيرة الرسول ﷺ قوله : (روينا من حديث أبي نعيم)(٨) .

طرق النقل من المصادر :

يلاحظ القارئ لمصنفات السيرة في هذا القرن إتباع أصحابها لطرق متعددة في نقل مادتهم من مصادرها ، وقد تمثل ذلك بالنقل الكامل للنص أو التصرف بالمادة المنقولة من حيث الحذف والإضافة والاختصار ، أو اعتماد تصرف الغير في المادة المنقولة والإشارة إلى ذلك .

طرق نقل المصادر عند أهل السنة :

النقل الكامل للنص دون التغيير فيه :

من طبيعة الاعتماد على المصادر اختلاف النقل حسب ما تستدعيه الحال، ومن طرق النقل التي ظهرت عند أهل السنة النقل الكامل للنص دون التغيير فيه ،

---

(١) ابن عطاء السكندري : لطائف المنن ص ١١١.

(٢) المصدر السابق ص ٢٢ .

(٣) المصدر السابق ص ١٣٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٩٥ .

(٥) المصدر السابق ص ٦٥ .

(٦) السهروردي : عوارف المعارف ص ٦٥ .

(٧) المصدر السابق ص ٢٤٦ .

(٨) ابن عربي : اختصار سيرة الرسول ﷺ ص ٣٥ .

ومن ذلك ما جاء عند ابن دحية حيث قال : (قال أبو القاسم هي أم المؤمنين) ثم سرد كامل الرواية (١) .

وجاء عند الطبري في كتابه السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين حيث نقل نصوصاً متعددة من ابن سعد في آخر كتابه(٢) .

وجاء عند ابن عساكر قوله : (هكذا ذكره ابن إسحاق)(٣) .

ومن النقل الكامل للنص ما جاء عند ابن تيمية في كتابه الصارم المسلول حيث كثيراً ما يكرر : (قال ابن إسحاق) ، (قال الواقدي) ثم يأتي بكامل النص(٤)

ومن طرق النقل التصرف في المادة المنقولة :

ويتم ذلك باختصار الحدث أو الرواية ، وذلك حسب الحاجة لها ومن ذلك ما أورده الدمياطي في كتابه مختصر السيرة النبوية ، فبعد أن ذكر روايات حادثة الذهاب إلى الشام التي قام بها النبي ﷺ مع عمه ، أورد رواية : (قال ثم ذكر الحديث بطوله) - يقصد ابن إسحاق(٥) - وهو بهذا لم يذكر كامل الحديث .

وجاء عند ابن عساكر في كتاب الأربعين قوله : (في الحديث طول أنا اختصرته(٦) .

وجاء عند الطبري في كتابه السمط الثمين قوله : (خرج ابن إسحاق قصة طويلة وقد ذكرناها في مناقب جعفر بن أبي طالب في كتاب مناقب ذوي القربى(٧) .

وهو بهذا يفيد أنه اختصر هذه القصة في كتابه هذا .

ومن طرق ذكر المصدر عند أهل السنة :ـ

الإشارة في المقدمة إلى اعتماد مصدر أساسي تؤخذ منه المادة العلمية واعتبار غيره روافد مكملات له ، ويذكر اسمه في ثنايا الحديث عن المادة المنقولة عنه

---

(١) ابن دحية : نهاية السول ورقة ٢٢ .

(٢) الطبري : السمط الثمين ص ٢٢١ ، ٢٣٠ .

(٣) ابن عساكر : كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين ص ٨٥ .

(٤) ابن تيمية : الصارم المسلول ، أنظر على سبيل المثال الصفحات ، ١٠٦،١٠٧،١١١،١١٣

(٥) الدمياطي : مختصر السيرة ورقة ١١٠ .

(٦) ابن عساكر : كتاب الأربعين ص ٢٢ .

(٧) الطبري : السمط الثمين ص ١٣٤ .

ويهمل ذكره في بعض الأحيان : وقد فعل ذلك ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ ، حينما اعتمد كتاب الطبري تاريخ الأمم والملوك مصدراً أساسياً له ، وذلك بقوله : (فابتدأته بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمام أبو جعفر الطبري ، إذ هو الكتاب المعول عليه عند الكافة) إلى أن قال : (فقصدت أتم الروايات فنقلتها، وأضفت إليها من غيرها ما ليس فيها(١)) وعمل ذلك الكلاعي في كتابه الاكتفاء حيث يقول : (ولكن عظم المعول بحكم الخاطر على ابن إسحاق)(٢) ، فنقل منه ، وأكمل من غيره ما احتاج إليه .

طرق نقل المعلومات من المصادر عند مصنفي الشيعة :

يظهر لقارئ كتب الشيعة المتعلقة بأحداث السيرة النبوية في هذا القرن أنها عددت طرق نقل المعلومات من المصادر وذلك وفق الآتي :

١ - النقل الكامل للنص دون التغيير فيه :

وقد جاء ذلك عند الأربيلي في كتاب كشف الغمة حيث قال : (فأما المفيد فقد ذكر في كتابه الإرشاد قال : (فصل : من ذلك ما كان منه في غزوة بدر) ثم عرض الفصل حتى انتهى)(٣) .

وقال في مكان آخر وبعد أن أنهى حديثه : (قلت : هكذا ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه)(٤) .

وجاء عند ابن طاووس في كتابه بناء المقالة الفاطمية قوله : (قال صاحب الاستيعاب : ولم يتخلف عن مشهد شهده رسول الله ﷺ (٥)) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ج١ ص٧ .

وللمقارنة ، أنظر ابن الأثير ج١ ص٧٥ ، وتاريخ الطبري ج٢ ص٢٩٨، وابن الأثير ج٢ ص ١٢ ، وتاريخ الطبري ج٢ ص٤٠٧ .

(٢) الكلاعي : الاكتفاء ج١ ص٤ ، للمقارنة أنظر الكلاعي ج١ ص٣٢١ ، والكلاعي ج١ ص٢٩٩ ، وابن إسحاق ص ٢١٢ ، تحقيق محمد حميد الله ، نشر دار الوقف بقونيه تركيا ١٤١٠هـ .

(٣) الأربيلي : كشف الغمة ج١ ص١٨٢ .

(٤) المصدر السابق : ج١ ص٢١٨ .

(٥) ابن طاووس : بناء المقالة الفاطمية ص ٥٩، وقارن بالاستيعاب ج٣ص١٠٩٧ .

وذكر ابن طاووس في كتاب اليقين في إمـرة أمـير المؤمنيـن مـا نصـه : (روينـا بأسانيدنا إلى الحافظ بن مردوية بما هذا لفظه[١]) ، وهذا نقل عن طريق الرواية .

٢ ـ التصرف في المادة المنقولة : من حيث الحذف منها أو اختصارها وفق ما تستدعيه الحاجة إليها مع المحافظة على ألفاظها وعدم الإخلال بنظمها :

ومن أمثلة ذلك : ما ذكره ابن طاووس في كتابه اليقين بقولـه : (ممـا نذكـره مـن كتاب المعرفة تأليف عباد بن يعقوب الراحينـي برجـالهم فـي تسمية النبـي ﷺ لعلـي عليه السلام أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين ، نذكـر منـه بلفظـه مـا يحتملـه هـذا الكتاب ويليق ذكره بالصواب[٢]) .

فهو بهذا قد تصرف بالنص وفق حاجته .

ويقول ابن طاووس في موضع آخر : (ونذكر ما نحتاج إليه بلفظه المعتمد عليـه ونترك ما لا ضرورة إليه)[٣] .

ويقول ابن طاووس صحاب كتاب بناء المقالة الفاطمية : (ومـن روايتـه مرفوعـاً – يعني أخطب خطباء خوارزم – في جملة حديـث ، يقـول رسـول اللـه وهـو عيبـة علمي ، فعلم رسول الله عنده)[٤] ، وقد اختار هذه الكلمة من الحديث ، وترك بقيته ، لأنها موضع استشهاده .

ويقول صاحب العثمانية في موضع آخـر : (روى ابـن حنبـل فـي المسند حديثـاً متصلاً بأبي رافع من متنه) وذكر الحديث[٥] .

٣ ـ الاستفادة من تصرف أهل المصادر في النصوص :

وذلك بقيام صاحب الكتاب بعرض نص تصرف به من قبله وقد نقل ذلـك الأربيلي في كتابه كشف الغمة فقد قال : قال علي بن عيسى رحمه اللـه : (هـذا مـا لخصته من كتاب ابن البطريق من فصل ذكر المؤاخاة إلى هنا[٦] .

---

(١) ابن طاووس : اليقين في إمرة أمير المؤمنين ص ١٣ .

(٢) ابن طاووس : اليقين في إمرة أمير المؤمنين ص ٧٦ .

(٣) ابن طاووس : المصدر السابق ص ٩٥ .

(٤) ابن طاووس : بناء المقالة الفاطمية ص ٧٨ .

(٥) ابن طاووس : بناء المقالة الفاطمية ص ٢٠١ .

(٦) الأربيلي : كشف الغمة ج١ ص٣٣٩ .

فهو قد اعتمد ما ذكره ابن البطريق ، ولكن بتصرف علي بن عيسى ، مع العلم أنه بدأ النص بقوله : (قال ابن البطريق) ، وقال الأربيلي في موضع آخر :

(قال ابن طلحة : وملخص المقصد فيها على ما ذكره أبو محمد عبدالملك بن هشام[١] .

فالأربيلي اعتمد على قول ابن طلحة ، والذي هو بدوره قد اعتمد ما ذكر ابن هشام ، وقال ابن طاووس في اليقين : (عن ناظر الحلة ابن الحداد ، مما انتقاه من تاريخ بغداد ...)[٢] ثم ساق النص .

طرق نقل المعلومات عند الصوفية :

النقل الكامل للنص :

وهذا غالب طرقهم في نقل المادة ، حيث يأتون بها كاملة كما هي في المصدر ، ومن أمثلة ذلك ما جاء عند السهروردي قوله : (يروي عن عبدالله بن الزبير[٣]) ثم ذكر كامل النص .

وجاء أيضاً قوله : (روي عن صهيب) ثم ذكر كامل الرواية[٤] .

وجاء عن ابن عربي في كتابه اختصار سيرة الرسول ﷺ قوله : (ورويناه من حديث ابن نعيم[٥]، ثم ساق جميع الحديث .

والطريقة الأخرى الاختصار للمادة المنقولة وذلك محدودة عندهم .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن عطاء السكندري في كتابه لطائف المنن حيث قال : (هذا الحديث مروي في صحيح مسلم ، وإنما ذكرناه هنا مختصراً[٦]) .

وجاء عند ابن عربي في كتابه اختصار سيرة الرسول ﷺ قوله بعد أو أورد حديث مولد الرسول ﷺ : (الحديث[٧] وهو كناية عن اختصار لهذا الحديث) .

---

(١) الأربيلي : كشف الغمة ج١ ص٢١ .

(٢) ابن طاووس : اليقين ص ١٨٤ .

(٣) السهروردي : عوارف المعارف ص ٤٠٣ .

(٤) السهروردي : عوارف المعارف ص ٢٥٦ .

(٥) ابن عربي : اختصار سيرة الرسول ﷺ ص ٣٧ .

(٦) ابن عطاء السكندري : لطائف المنن ص ١٧٠ .

(٧) ابن عربي : اختصار سيرة الرسول ﷺ ص ٤٠ .

طرق نقل المعلومات عند الفلاسفة وأهل الكلام :

جاءت صور نقل المعلومات عندهم كما هي عند غيرهم ، إما النقل الحرفي للنص ، أو التصرف بالمادة المنقولة ، وهو ما جاء في كتاب الروضات البهية الوسيمة في الغزوات النبوية الكريمة لابن القطان ، فمن النقل الكامل للنص ما جاء عند ابن القطان في حديثه عن فتح مكة فقد قال :

(قال ابن حزم) ثم ساق جميع ما ورد عند ابن حزم(١) .

وجاء عنده عرض غزوة حنين كما جاءت عند الواقدي(٢) .

وأما الصورة الأخرى وهي التصرف في المادة المنقولة ، فقد جاء في حديثه عن محمد بن مسلمة(٣) حيث قال : (قال الواقدي) ، ثم اختصر السرية مخالفاً بذلك ما جاء عند الواقدي (٤) .

وعند الحديث عن سرية أبي عبيدة قال : (قال الواقدي) ثم اختصر السرية(٥)، أما الإشارة إلى موضع النقل فلم نجد شيئاً عند ابن القطان .

الإشارة إلى مواضع النقل :

لم تعرف الطريقة التي يتم بها الآن الإشارة إلى مواضع النقل من المصادر والتي يذكر منها اسم المؤلف والكتاب ورقم الجزء والصفحة ، ولعل صعوبة الوصول إلى المصادر والحصول عليها لتملك أفرادها لها كان سبباً رئيسياً في ذلك .

---

(١) ابن القطان : الروضات البهية ورقه ١٤٣ ، أنظر للمقارنة ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٧٦ .

(٢) المصدر السابق : ورقة ١٥٧، أنظر للمقارنة ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٨٦،١٧٦ .

(٣) محمد بن مسلمة الأنصاري الحارثي شهد بدراً والمشاهد كلها مع النبي ﷺ مات بالمدينة سنة ٤٦هـ ابن عبدالبر : الاستيعاب ج٣ ص٣٧٧ .

(٤) ابن القطان : الروضات البهية الوسيمة ورقة (٢١١) ، وأنظر للمقارنة المغازي للواقدي ج٢ ص٥٢٥ .

(٥) ابن القطان : الروضات البهية ورقه ٢١٣ ، وأنظر للمقارنة المغازي للواقدي ج٢ ص٥٢٥

ولكن مع هذا وجد تنظيم خاص يستدل به على مصدر المادة المنقولة ، وتمثل ذلك بتنظيم شامل للمصنفات ، ومنه الطبقات والأنساب والوفيات والسنين والحروف ، وهذا التنظيم يسر لهم سهولة تناول المصادر ، وسنعرض لم قام به مصنفوا السيرة في هذا النظام .

الإشارة إلى مكان النقل من المصدر عند أهل السنة :

وكما ذكرنا أن منهج تحديد مكان الجزء والصفحة من المصدر الذي نقلت عنه المادة العلمية لم يكن معروفاً في ذلك الوقت ، إلا أن هناك طرقاً أخرى ابتكرت في ذلك الوقت تقوم مقامها .

وقد وجد شيء من ذلك عند كتاب السيرة من أهل السنة في ذلك الوقت ، فقد أشار ابن دحية في كتابه نهاية السول في مواضع منها قوله : (في صحيح البخاري في باب الإيمان والنذور(١)) ، وقوله : (أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صفة الجنة والنار(٢)) .

وجاء عند الدمياطي في كتابه مختصر السيرة قوله : (وروى مسلم في الفضائل (٣)) ، وقوله : (وروى البخاري في كتابه الجزية والموادعة(٤)) .

وجاء عند علي بن بلبان في كتابه تحفة الصديق قوله : (أخرجه أبو داود في الزكاة ، والترمذي في المناقب(٥)) .

الإشارة إلى مكان النقل عند الشيعة :

ومن الأمثلة التي جاءت عند بعض مصنفي الشيعة في تحديد مكان النقل من المصدر ما ذكر ابن طاووس في كتابه اليقين مستنداً إلى الجزء من الكتاب حيث قال : (وروينا ذلك من كتاب المعرفة تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد

---

(١) ابن دحية : نهاية السول ورقه ١٥ .

(٢) ابن دحية : نهاية السول ورقه ٢٥ .

(٣) الدمياطي : مختصر السيرة ورقه ١٢٢ .

(٤) الدمياطي : مختصر السيرة ورقه ١٢٢ .

(٥) علي بن بلبان : تحفة الصديق ص ٧٨ .

الثقفي من الجزء الأول[١]) ، وقال في موضع آخر : (مما نذكره من كتاب الدلائل من الجزء الأول[٢]) .

وقال في تحديد آخر نقله عن غيره : (مما نذكر من المجلد الأول من كتاب الدلائل)[٣] .

وأما الصوفية والفلاسفة وأهل الكلام فلم نجد عندهم شيئاً من ذلك .

المفاضلة بين المصادر عند أهل السنة :

يلاحظ المطلع على كتب السيرة التي صنفها أهل السنة في هذا القرن تفضيلهم آيات القرآن ، وكتب السنة النبوية ، وكتب المغازي الأولى ، على غيرها من المصادر ، ولذا نجد أن الكتب التي عنيت بحياة الرسول ﷺ الخاصة أمثال كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر ، والسمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين للطبري ، وكتاب نساء الرسول ﷺ للدمياطي ، قد اعتمدت كتب السنة النبوية وفضلتها على غيرها فيما كتبته عن نساء الرسول ﷺ .

وكذا الحال فيمن كتب في نسب النبي ﷺ ، ككتاب الجوهرة للتلمساني ، وكتب خصائص النبي ﷺ ، كنهاية السول لابن دحية وأشرف المناقب للزملكاني .

وأما كتب السيرة العامة كمختصر السيرة للدمياطي ، والاكتفاء للكلاعي ، فقد فضلا كتب المغازي ، حيث اعتمد الدمياطي علي ابن سعد في طبقاته ، واعتمد الكلاعي على ابن إسحاق في مغازيه .

وأما ابن تيمية رحمه الله ، فقد جمع بين آيات من القرآن وأحاديث من السنة وروايات من المغازي في كتابه الصارم المسلول .

المفاضلة بين المصادر عند الشيعة :

تبرز هذه الظاهرة واضحة جلية عند مصنفي السيرة من الشيعة في هذا القرن ، فيلاحظ المطلع على كتبهم انحيازهم التام إلى مصنفيهم وترك غيرهم ، إلا من وافقهم الرأي .

---

(١) ابن طاووس : اليقين ص ٣٩ .

(٢) ابن طاووس : اليقين ص٥١ .

(٣) ابن طاووس : اليقين ص ٥ .

وهذا الانحياز بدأ من اتخاذ قرآن خاص بهم ، ورواية سنة خاصة بهم ، أو افتراء أحاديث تخدم أهدافهم وتنسب إلى رواة أهل السنة ، وانتقاء روايات في كتب السير والتراجم والمناقب لم يثبت صحتها فيعولون عليها في عرض آرائهم ، وينسبون الأقوال إلى أئمتهم لتصب فيما يسعون إليه .

ونجد أن من هذه المصادر التي حددوها ليسار من خلالها في عرض أحداث السيرة النبوية مفاضلة بينها ، ومن أمثلة ذلك لديهم نجد أن علي بن موسى ابن طاووس صاحب كتاب اليقين ، واحمد بن طاووس صاحب بناء المقالة الفاطمية، كانت مصادرهما مرويات ينسبونها إلى أئمتهم ، وكتب لمصنفيهم أمثال محمد ابن أبي الثلج(١)، ومحمد بن علي الأصبهاني(٢)، أو من كتب مناقب وسير تحوي الضعيف والموضوع ، أمثال كتب الموفق المكي(٣)، والمغازلي ، والطبري الشيعي.

والإربلي في كتابه كشف الغمة – سار على هذا المنهاج فقدم في الحديث عن المولد النبوي ما كتبه أحد مصنفيهم في كتابه تاريخ المواليد ، وهو عبدربه أحمد الخشاب ، وقد عاش في القرن السادس ، على من سبقه من كتاب السير الأوائل(٤)، وفي موضع آخر نقل ما ذكره الواحدي عن سبب نزول آية وهي قوله تعالى : ﴿ **أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر ، وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله** ﴾(٥) الآية ، وأن المراد بها علي (رضي الله عنه)(٦)، مع العلم أن ابن عباس قال : (إن المَعْنى بذلك العباس بن عبدالمطلب(٧)) .

---

(١) ابن طاووس : اليقين ص ٣٩ .

(٢) ابن طاووس : اليقين ص ٥١ .

(٣) ابن طاووس : اليقين ص ٥ .

(٤) الأربلي :كشف الغمة ج١ ص١٤ .

(٥) سورة التوبة آية ١٩ .

(٦) الأربيلي : كشف الغمة ج١ ص ١٨٠ .

(٧) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٤٢ .

وأما الطبرسي صاحب كتاب الاحتجاج ، فقد كانت مصادره أقوال ومرويات نسبها إلى أئمتهم الاثنى عشر(١) .

وأما صحاب كتاب الفضائل شاذان بن جبرائيل ، فقد اقتصر في حديثه عن مولد النبي ﷺ على ما ذكره الواقدي مع كثرته ، وأهمل روايات غيره من كتاب السيرة الأوائل(٢)، كما أن غالب كتابته مرويات لأئمتهم(٣) .

المفاضلة بين المصادر عند الصوفية :

لقد قدم كتاب الصوفية أحداث السيرة النبوية في هذا القرن من مصادرهم الخاصة وأهملوا غيرها ، ولعل مرد هذا إلى طبيعة ما بنى الصوفية أنفسهم عليه من الولاء المطلق للشيخ .

ولهذا فلا نكاد نجد في كتبهم غير ما ينقلونه من مشايخهم ، وهم يروون أحداث السيرة النبوية من خلال إسناد الروايات لسامعها من مشايخهم ، ثم عرض سندها حتى الوصول إلى الصحابي راوي الحديث أو الاعتماد المباشر على الشيخ في ذكر الحديث ، وهذا المنهج هو الذي جعلنا نجد ذكراً محدوداً للمصادر التي نقلوا منها مادتهم العلمية ، فضلاً أن يكون هناك ذكر متصل لها .

المفاضلة بين المصادر عند الفلاسفة وأهل الكلام :

لم تتضح الصورة كاملة عندهم في هذا الجانب ويعود ذلك إلى إهمال ابن النفيس في كتابه الكاملية لذكر أي مصدر استفاد منه في عرض السيرة النبوية وفق المنهج الذي سار عليه ، وأما ابن القطان فقد ذكر في مقدمته(٤) أن الأولوية لابن إسحاق فيما يكتبه والاستفادة من الآخرين حسب الحاجة لذلك ، وهذا ما وضح من خلال كتابه ، فقد كان معوله الرئيس ابن إسحاق في غالب المواضيع التي يتحدث عنها ويذكر في بعضها مصادره من غيره ، كابن حزم ، والطبري ، والواقدي ، وابن هشام .

---

(١) أنظر على سبيل المثال الصفحات ٧،١٠،١١،١٤،١٥،٢٧،٤٣،٦٨ .

(٢) أنظر على سبيل المثال الصفحات من ١٥إلى ٥٦ .

(٣) أنظر على سبيل المثال الصفحات ١٣٠،١٣٤،١٣٩،١٧١ .

(٤) القطان : الروضات البهية ورقة ٨ .